الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة وهران - السانيا -
كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية

# الغيب والمستقبل
# في القرآن الكريم

مذكرة مقدمة لنيل درجة الماجستير في الحضارة الإسلامية

- تخصص لغة ودراسات قرآنية -

إعداد الطالب
بن زيان عقاب

تحت إشراف
أ.الدكتور محمد زعراط

أعضاء لجنة المناقشة:

| | | |
|---|---|---|
| الأستاذ الدكتور الجيلالي سلطاني | رئيسا | جامعة وهران |
| الأستاذ الدكتور محمد زعراط | مشرفا ومقررا | جامعة وهران |
| الأستاذ الدكتور لخضر لخضاري | عضوا مناقشا | جامعة وهران |
| الدكتور العربي قلايلية | عضوا مناقشا | جامعة وهران |

السنة الجامعية

1431 هـ 1432 هـ / 2010 م - 2011

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين

# قبس

اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَىٰ وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ

* عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ .

سورة الحجر، الآية 08 – 09

الكمال لله وحده . يتجلى ذلك فيما خلق وأبدع ، والإنسان مدفوع بعوامل شتى وأسباب كثيرة للتفكر في هذا الكون الذي غيّب عنا أكثره. وذلك بحثا خلف الحقيقة لإدراك المغيبات....

# بسم الله الرحمن الرحيم

رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ.

سورة النمل 19

يجدر بي الحديث أن أقول ما كان عملي هذا ليرى النور لولا تضافر جهود الكثير من المخلصين الذين لم يبخلوا علي بأي جهد. بالتوجيهات وبالنصائح وفي بعض الأحيان بالتشجيعات، ولذلك فإني أرفع إليهم أسمى عبارات الشكر والإمتنان. و أخص بالذكر أستاذي المشرف أ.د محمد زعراط على نصائحه المهمة وتوجيهاته القيمة لآخر مرحلة من مراحل إنجاز هذا البحث.

كما لا يفوتني في هذا المقام أن أشكر الأساتذة أعضاء لجنة المناقشة على تفضلهم لقراءة هذا البحث ومناقشته.

كما لا يفوتني أن أرفع شكري الخالص إلى اللجنة العلمية التي تفضلت بقبول مناقشة هذا البحث.

وفي الأخير أسأل الله عز وجل لي ولكل من قدم لي يد العون من قريب أو بعيد أن يجزيني وإياهم خير الجزاء وأن يوفقنا جميعا لما يحبه ويرضاه .... أمين.

# الإهداء

- إلى التي غمرتني بحبها .

- إلى التي شملني عطفها.

- إلى والدتي الكريمة .

- إلى زوجتي وأولادي .

- إلى أساتذتي ومشايخي ومن لهم فضل علي.

- إلى جميع الأصدقاء والزملاء.

- إلى هؤلاء جميعا.

أهدي هذا العمل المتواضع.

الطالبة / عقابة بن زيان

# المقدمة

لقد حظي القرآن الكريم على مر العصور باهتمام خاص، إذ تناوله الباحثون. وفي مقدمة هؤلاء، نجد المفسرين الذين كانوا يهتمون بالدرجة الأولى باستخراج الأحكام الشرعية وأدلتها التي جاء بها النص الديني، كما اهتم به اللغويون وذلك لفهم دلالة الألفاظ وتراكيبها، باعتباره أرقى النصوص اللغوية، التي تمثل قمة البلاغة والبيان، وقد تحدى بها القرآن الكريم فصحاء العرب منذ خمسة عشر قرنا.

والنص القرآني هو خطاب حامل لرسالة سماوية بلسان عربي مبين، حيث إن ألفاظه مستعملة في معانيها اللغوية، وجارية على قوانين الوضع والاستعمال والدلالة، ومن خصائصه أنه نظام لغوي يقوم على غير مثال، نجد فيه التجانس الصوتي، وقوة الإيقاع، وحركية المجاز، ولكنه رغم ذلك يمتاز عن الشعر والنثر، الذين سادا عند الخطباء والكهان.

وقد أدرك العلماء كل تلك الخواص التي يمتاز بها الخطاب القرآني، فاستظهروها وحددوا في ضوئها أنواع المتلقي للخطاب القرآني ومستوياته.

ويعتبر النص القرآني نصا مفتوحا، متكثر الدلالة، وهو بحاجة إلى استكشاف حقائقه وكشف أسراره، ومن ذلك المعنى الغيبي الذي يتضمنه ذلك الخطاب، وتناولته تلك العملية التفسيرية منذ بدايات التنزيل.

إن دراسة القرآن الكريم في بُعده الدلالي والتشريعي من الأهمية بمكان، ولكن ثمة مفردات لم يوفها حقها كثير من المفسرين وأهل التأويل، وفي مقدمتها مفهوم الغيب في القرآن الكريم، فالبُعد الغيبي يشكل معطى أساسيا في تحديد معالم

العقيدة الإسلامية، فما هي علاقة الغيب بالعقائد في القرآن الكريم؟ وما هي علاقة الغيب بالإيمان؟ وعلاقته بالعقل؟ وعلاقة الغيب بالجانب الإنساني؟ .

هذه التساؤلات التي أطرحها في هذه المقدمة تشكل نواة الإشكالية لهذه الأطروحة، وكذلك البحث في الأدوات المعرفية لتحديد مصطلح الغيب وتجلياتـــه في النص الديني، لأن هذا البعد الغيبي في جوهره يحمل دلالات لا يمكن إدراكها إلا من خلال عملية التأويل، وهذا يتجاوز عملية التفسير التي تشتغل على آلية الظهور والمعنى الحرفي للنص، وتعتبر تلك الدلالات أخطر المسائل المتصلة بالمسائل الإيمانية، والباعث على التأويلات التي جاءت بها لغة النص القرآني.

وبخصوص العوامل التي دفعتني إلى اختيار هذا الموضوع يمكن حصرها في عاملين اثنين:

1 – العامل الأول موضوعي يتعلق بالنص القرآني وما تضمنه من حقيقة مطلقة كانت الباعث على الكثير من التفسيرات والتأويلات التي دفعتني إلى تعميق الرؤية بهدف الاقتراب أكثر من الحقيقة الغيبية المطلقة.

2 – أما بالنسبة للعامل الثاني فهو عامل ذاتي يتمثل في ما عشته أنا شخصيا وما زلت أحياه من تجربة روحية جعلتني أتعامل مع لغة القرآن الكريم تعاملا وجدانيا يعتمد على الذوق واستكناه جمالية النص القرآني، وذلك لما يحويه من دلالات غيبية روحية.

أما الدراسات التي تناولت موضوع الغيب في القرآن الكريم فإضافة إلى المدونات التفسيرية كمدونة الطبري والرازي وصاحب الكشاف فهناك بحوث هامة نذكر منها: "كشوف جديدة في إعجاز القرآن الكريم" لمؤلفه عادل عبد الله القافلي، وكتاب "الظاهرة القرآنية" لمالك بن نبي، كما اعتمدنا دراسة صبري خدمتلي "العقيدة والفرق الإسلامية".

أما منهجنا في هذه الدراسة فهو مقاربة تأويلية تحليلية، حيث اعتمدنا المنهج الوصفي الذي يصف الظاهرة ويتتبع تطورها ويفسرها، أما المنهج التحليلي فهو منهج عقلي يعتمد على البرهان والاستقراء وتحليل الظاهرة، وأما النصوص التي كانت تحمل معاني الغيب وقد وردت في النص القرآني فقد عجز العقل عن تصور معناها وهي المتشابه، وقد أخضعناها لآلية التأويل والسياق، وما عداها من النصوص الواضحة الدلالة والبينة المعنى والتي عرفت بالآيات المحكمات فقد أخضعناها لآلية التفسير ودلالة الألفاظ، وقد كان منهجنا وسطا بين ما وضعه النص القرآني كله موضع تأويل، و اعتبار كل آية لها ظاهر وباطن رغم اختلاف مستويات الخطاب القرآني، و هو منهج الباطنية، وفي مقابلهم نجد السلف والظاهرية الذين أولوا النص القرآني مستخدمين مبدأي الأخذ بظاهر اللفظ والتفويض، مع احترامنا لمبدأ التأويل والخضوع للضوابط التي وضعها أهل التأويل والمتمثلة أساسا في عدم تجاوز المنقول والمعقول أو أصل من الأصول.

ويمكن لهذا البحث أن يفتح آفاقا للدارسين لمواصلة تعميق المعارف الإلهية في هذا الحقل المعرفي الخطير، ألا وهو التأويل وخاصة تأويل الغيب وتجلياته في النص

الديني، فمسألة الغيب هي المحور الأساسي الذي تدور حوله بقية المفاهيم والأحكام التي جاء بها القرآن الكريم، أما التأويلات الحقيقية فهي محفوفة بالظروف التي أنتجتها، وإن عصرنا هذا يتطلب منا أن نعالج قضايا الإيمان في ضوء معطيات هذا العصر. خاصة وأن الكتب والبحوث في هذا الموضوع تحديدا قليلة وهذا ما أضفى بعض الصعوبات التي واجهتها والتي يعود أساسها إلى طبيعة الموضوع ونقص المصادر والمراجع المتعلقة بهذا البحث .

إن عظمة القرآن الكريم هي التي تجعل الباحث غير قادر على الإحاطة بكل ما فيه فهو الكتاب المعجز الخالد الذي لا تنقضي عجائبه.

أما بالنسبة للبحث فقد قسمته إلى ثلاثة فصول:

**الفصل الأول:** دلالات الغيب عند المفسرين، وقد قسمته إلى مبحثين:

**المبحث الأول:** دلالات الغيب على الماضي.

**المبحث الثاني:** دلالات الغيب على المستقبل.

**الفصل الثاني** : الغيب والإعجاز في القرآن الكريم، وقسمته أيضا إلى ثلاثة مباحث:

**المبحث الأول:** الغيب والإعجاز البلاغي.

**المبحث الثاني:** الغيب والإعجاز العلمي.

**المبحث الثالث:** الغيب والحديث النبوي الشريف.

**الفصل الثالث**: دلالات الغيب عند علماء الكلام، وقد قسمته إلى مبحثين:

**المبحث الأول**: الغيب عند المعتزلة.

**المبحث الثاني**: الغيب عند الأشاعرة.

ثم ختمت بحثي هذا بما توصلت إليه من نتائج.

وفي الأخير لا يسعني إلا أن أشكر الأستاذ الدكتور محمد زعراط المشرف على هذا البحث، والذي لم يبخل علي بنصائحه وتوجيهاته القيمة، التي سهلت علي إنجاز هذا البحث المتواضع.

وهران في 23 فبراير 2011.

# مـــــد خـــــل

ورد في القرآن الكريم عن ظاهرة الغيب في مواطن كثيرة بحيث يكتسي هذا المفهوم في كل مرة من الدّلالات الضافية ما يناسب المقام ويفي بالمقال، وهذا ماله علاقة بأسباب النزول وغالبا ما تتجه دلالات الغيب في القرآن الكريم إلى ما هو آت في المستقبل كالإخبار عن الجنة والنار وعن النعيم والشقاء ومصير المؤمنين والكافرين وفي سائر الأحوال ولا يخلو مفهوم الغيب من التعبير عما يغيب عن الحواس أو ما لا يمكن أن يتبادر إلى الأذهان والعقول لذلك قال تعالى:(عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ) [1] أي ما يغيب عنكم وما تشهدونه ، والغيب في قوله تعالى:(يؤمنون بالغيب) [2] أي ما لا يقع تحت الحواس ولا تقتضيه بداية العقول، وإنما يعلم بخبر الأنبياء عليهم السلام وبدفعه يقع على الإنسان اسم الإلحاد[3] .

يفهم من الآية الأولى وهي قوله تعالى: ( عَالِمُ الْغَيْبِ...) أنها إقرار في حق الله تعالى بالقدرة النافذة التي تحيط علما سائر الموجودات في الزمان منذ الأزل وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، مما هو ممكن الإدراك وما هو غير ممكن، كل ذلك يعلمه الله تعالى علما يقينيا ويدبره كيف شاء وفق حكمة بالغة تجاوزت إدراك المخلوقات واستأثر الله بها، والسياق القرآني الذي وردت فيه الآية هو الوعد والوعيد والتخويف والتحذير، وهذا ما يفهم من قوله تعالى قبل هذه

[1] سورة الحشر الآية 22 .

[2] سورة البقرة الآية 03.

[3] أبو القاسم الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني، مفردات القرآن، بيروت دار المعرفة، (دت)، ج1، ص367.

الآية وهو قوله تعالى:(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ)[1].

فهذه دعوة إلى التقوى ومحاسبة النفس ومراقبة الأعمال وإشعار المؤمنين أن الله خبير بما يعملون، وبما يختلج في نفوسهم، وفي السياق نفسه تحذير لهم مما أصاب الكفار والفاسقين (وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ)[2].

ونسيان النفس هو إيرادها موارد الهلاك وإفساح المجال لها لتأتي من الأعمال ما ترغب فيه نزولا عند الرغبات الجامحة والنزوات الضالَّة، وبعدما أمر المؤمنين بتقوى الله حذرهم مما يحيق بالكافرين والفاسقين من عقاب، وما ينتظر المؤمنين من جزاء (لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ)[3] ثم جاءت الآية التي نحن بصددها دالة على وحدانية الله وعلى قدرته وهيمنته على سائر مخلوقاته ما نشاهده منها وما لا نشاهده، ما هو واقع في دائرة حسّنا وعلمنا وما هو خارج هذا النطاق، وتلاه قوله تعالى:(هو الرحمن الرحيم)[4] وقيل فيهما أنهما صفتان من صفات الله، لا يوصف بهما غيره، وجاءت على صيغتي (فعلان وفعيل) وكلاهما للدلالة على المبالغة في الرحمة وتقدمهما ذكر الضمير المنفصل (هو) للدلالة على الحصر وتقوية المعنى واختصاصه تعالى بهاتين

[1] سورة الحشر الآية 18.

[2] سورة الحشر الآية 19.

[3] سورة الحشر الآية 20 .

[4] سورة الحشر الآية 22 .

الصفتين (الرحمن الرحيم): كما أن إنهاء الآية بهذه الفاصلة (الرحمن الرحيم) جاء للتوكيد على أن باب الرحمة والمغفرة مفتوح لمن تاب وأناب، وجد الله رحمانا رحيما.

ومما يثير الانتباه ويدعو العقل إلى التفك ير في قدرة الله تبارك وتعالى فيزيده إيمانا، أن سورة الحشر ابتدأت بقوله تعالى: ( سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ)[1] وختمت بقوله تعالى: ( يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) [2] وذلك ليناسب حسن البدء حسن الختام، ومن مضامين هذه السورة أنها أخبرت عن غلبة المؤمنين اليهود وإخراجهم من ديارهم بالمدينة المنورة، وهو الحشر الأول ثم الحشر الثاني وهو إجلاؤهم إلى خيبر في عهد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه[3].

حيث ابتدأت السورة بتتريه الله تعالى بقوله جل وعلا: (سبّح) وفي ذلك إشارة إلى أنه عالم غيب السموات والأرض ومدبر للكون كيف ما شاء، وما اقتضته حكمته تعالى، وقد جاء قوله تعالى (العزيز الحكيم) [4] على وزن (فعيل) الذي يفيد في اللغة المبالغة والاختصاص، حيث أنه تعالى هو الحكيم الذي لا يوصف غيره بهذا اللفظ وكذلك العزيز لكونه من العزة وهي من المَنَعة والقوة التي لا تضاهى ولا تقهر، ومن معاني الحكمة الرَوِيَّة وتدبير الأمور على وجه

---

[1] سورة الحشر الآية 01.

[2] سورة الحشر الآية 24.

[3] جلال الدين محمد بن أحمد المحلى، و جلال الدين السيوطي، تفسير الجلالين، بيروت، دار الفكر، ( 2004/1424) ط/3 ص545.

[4] سورة الحشر الآية 24.

ملائم والإصابة في تسيرها، فقدرة الله تعالى وفق هذا الاعتبار سارية على مخلوقاته من غير حيف ولا ظلم، فإجلاء اليهود عن المدينة المنورة كان بأمر من الله تعالى لذلك قال سبحانه: (هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ..) [1] وما المؤمنون إلاّ وسيلة لهذا الإخراج، وكذلك أخبر بجلائهم الذي لم يتم أثناء نزول السورة، وإنما كان على يد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وختمت السورة (بالعزيز الحكيم) مثلما بدئت لتنبئ أن ما ورد فيها كان بأمر وحكمة من الله تعالى ولا اجتهاد فيه للمسلمين.

أما الثانية وهي قوله تعالى: (يؤمنون بالغيب) فقد وردت في سياق قر آني يدعو إلى الإيمان بالقرآن الكريم وبما تضمنه من شرائع في قوله جل وعلا:( ألم (1) ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ ( 2) الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ) [2] وللعلماء في الوقف على هذه الآية أوجه أهمها ما ذكره الزمخشري [3] (ولابد للواقف أن ينوي خبرا، ونظيره قوله تعالى (قالوا لا ضير) وقول العرب لا بأس،

---

[1] سورة الحشر الآية 02 .

[2] سورة البقرة الآيات 01 و 02 و03 .

[3] هو محمود بن عمر بن محمد بن أحمد الخوارزمي الزمخشري، جار الله، أبو القاسم: من أئمة العلم بالدين والتفسير واللغة والآداب، ولد في زمخشر (من قرى خوارزم) وسافر إلى مكة فجاور بها زمنا فلقب بجار الله. وتنقل في البلدان،ثم عاد إلى الجرجانية (من قرى خوارزم) فتوفى فيها أشهر كتبه (الكشاف في تفسير القرآن، وأساس البلاغة والمفصل والمقامات والفائق أنظر خير الدين الزركلي الأعلام قاموس تراجم، بيروت، دار العلم بالملايين،( 2002/1423) ،ط15،ج7 ، ص178.

وهي كثيرة في لسان أهل الحجاز والتقدير لا ريب فيه) [1]، ومما جاء في تفسير حروف التهجي التي استهلت بها بعض السور مثل البقرة (ألم) أنها للإعجاز أي أن هذا القرآن المنطوق بهذه الحروف التي كان العرب يعرفونها وينطقونها ويؤلفون منها كلامهم فقد تضمن من الأحكام والشرائع والأخبار ما أعجزهم وجعلهم يقفون مبهورين أمام محتواه وبلاغته وعقب عليها بـــ (ذلك) وهو اسم إشارة إلى الكتاب أي القرءان الكريم والإشارة هنا دالة على التعظيم من شأن الكتاب (وهو هنا القرآن وقيل التوراية وقيل الإنجيل وقيل اللوح المحفوظ وهو الصحيح الذي يدل عليه سياق الكلام ويشهد له مواضع من القرآن)[2] .

وقد تكون الإشارة إلى البعيد (ذلك) دالة على عمق غوره وقوة معانيه وبعد مداليله، بحيث لا يمكن أن تصل العقول إلى فهم حقائقه وصبر أغواره مهما أوتيت من المعرفة وإنما أنصِبَتها منه متفاوتة وأقساطها في الفهم مختلفة.

وهذا لا يعني أن القرآن الكريم منغلق الفهم بعيد عن العقول، وإنما لكونه معجزا، فمهما اختلفت في فهمه العقول فهي آخذة منه بقسط ومتصلة به بسبب، بعيدة عن الإحاطة به، لذلك قال تعالى:( وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ)[3] وقد تكون دلالة الإشارة (في ذلك) للقرب من قبيل مناداة القريب

---

[1] أبو القاسم جار الله محمد بن عمر بن محمد الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التنزيل، رتبه : محمد عبد السلام شاهين ، بيروت ، دار الكتب العلمية،(1995/1415)، ط1 ، ج1، ص35 .

[2] محمد بن أحمد بن جزي الكلبي ، التسهيل لعلوم التنزيل، دار الكتاب، بيروت، لبنان، (1981/1402)، ط/03، ج 01 ص 115-116.

[3]- سورة آل عمران الآية 07.

وكأنه بعيد لأن القر آن وقتئذ كان مستمر التزول مجيبا عن الوقائع والأحداث مشرعا للفرائض والأحكام، والعرب يومئذ يدركون معانيه على الجملة ويفهمون دلالاته وأحكامه، قال تعالى: (وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ) [1] ولقد تكررت هذه الآية في سورة (القمر) أربع مرات عقب ذكر كل أمر يدعو إلى التفكير والتبصير، أي الإيمان بالغيب الذي دلت عليه الدلائل من غير أن تشهده الأبصار أو تدركه الحواس، وقد نفى الريب عن القر آن الكريم كله في قوله: (ذلك الكتاب لا ريب فيه) [2] نفيا لجنس الريب كله مع تقديم ما أصله مبتـــدأ (لا ريب) وتأخير الخبر المحذوف (فيه) وكأن التقدير لا ريب فيه ولا في غيره من الكتب السماوية قبله من حيث الأصل فالعطف حينئذ عطف إيجاب، حكم المعطوف في حكم المعطوف عليه، ونظير ذلك قوله تعالى (لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ)[3] وذلك في خمر أهل الجنة التي لا تغتال العقول ولا تغيب الألباب ولا يملُها شاربوها كما هي الحال في خمر الدنيا، وقد تقدم الخبر (شبه جملة) على المبتدأ نكرة وكأن التقدير لا فيها غول كما هو الحال في خمر الدنيا، فتقديم الخبر على المبتدإ النكرة يفيد مفارقتها لخمر الدنيا، فلا يكون العطف عليها إلاّ سلبا، و(فيه هدى للمتقين) جملة مستأنفة في وصف القرآن الكريم بعدم الريب أثبت له

[1] سورة القمر الآية 17و 22 و32 و40.

[2] سورة البقرة الآية 02 .

[3] سور الصافات الآية 47 .

عكس ذلك وهو الهداية، فهو هداية لمن يؤمنون به ويهتدون بهديه وهم (الذين يؤمنون بالغيب) أي يعترفون به ويثقون أنه الحق، والمراد به الخفي الذي لا ينفذ فيه ابتداء إلا علم اللطيف الخبير ... وذلك نحو الصانع وصفاته، والنبوات وما يتعلق بها والبعث والنشور والحساب، والوعد والوعيد وغير ذلك [1] .

وعقب على ذلك بقوله (ويقيمون الصلاة) عطفا على يؤمنون بالغيب باعتبار الصلاة وما تضمنته من أقوال وأفعال كلها دلائل على الإيمان فهي من أمور الغيب، والإيمان بها إيمان بالغيب وتصديق لأحوال النبوة، والدلالة على الغيب في القر آن الكريم يستفاد من الكثير من الآي سواء بلفظ الغيب أو بما يقيده كما في قوله تعالى: (ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ( 44))[2]، قوله تعالى: (ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ ( 102))[3]، فالحادثة سبقت محمدا صلى الله عليه وسلم بزمن طويل، ومع ذلك فقد أخبره بها القرآن الكريم، وهي من الغيب و لم يرد التعبير عنها بلفظ الغيب كما نرى.

إن المتأمل في القر آن الكريم يجد الحديث عن الغيب يتردد كثيرا، سواء بلفظ الغيب صراحة أو بألفاظ أخرى يستفاد منها الغيب ضمنا، وذلك حسب

[1] الزمخشري، الكشاف، ج 1 ص 127-128.

[2] سورة آل عمران الآية 44.

[3] سورة يوسف الآية 102 .

السياقات المختلفة والمقامات المتعددة التي يعبر عنها القر آن الكريم، وبالخصوص في السور المكية التي تهدف غالبا إلى تربية العقيدة في النفوس وما رافق ذلك من إرشاد ووعظ تجلى في ضرب الأمثال وذكر قصص الماضين.

والملاحظ أن القرآن الكريم قد خلّص الفكر البشري من المعاناة الكثيرة التي واجهته أثناء البحث في ظاهرة الغيب، فقدم له حلولا عنها يقف دونها ولا يتجاوزها، إذ أن ظاهرة الغيب قد استحوذت على الفكر الإنساني منذ عصور بعيدة في القدم، ولقد حاول الإنسان أن يفسر الظواهر الغيبية تفسيرات شتى غير مستندة إلى منطق عقلاني يضبطها، لذلك جاءت معتقداته غيبية متناقضة في معظمها، ومختلفة غير مؤتلفة وذلك تماشيا مع التطورات الزمانية وما لها من أثر في تفكيره.

ففي العصور البدائية لجأ الإنسان إلى التفسيرات الخرافية إرضاء لعواطفه وأحاسيسه هروبا من المضار وتفاؤلا بالمنافع، كما هو الشأن عند اليونان قديما إذ جعلوا لكل ظاهرة كونية إله يعتقدون فيه جلب النفع ودفع المضرة، فهناك إله الحياة وإله الموت، وإله الرعب وغير ذلك، ومن أهم ما اشتهر من الآلهة أوديسيوس و زاس عند اليونان.

وهكذا فإن وقوف الإنسان عاجزا أمام ظاهرة الغيب هو الذي جعله يسعى إلى إيجاد أشياء في عالم الغيب يؤمن بها ويطمئن إليها باعتبارها القادرة على تعريف الأمور سواء كانت خيرا أم شرا، فتارة يستنجد بهذه القوى الغيبية

على جلب النفع له أو تسليط المضار والمصائب على عدوه أو تهوين من المخاطر التي تداهمه...أما بالنسبة إلى المجتمع العربي قبل الإسلام، فقد كان العرب يتطلعون إلى معرفة الأمور الغيبية فاتخذوا لذلك الرهبان والكهان والعرافين يستنجدون بأقوالهم عند الملمات والشدائد، وهذا ما يستنبط من أخبارهم التي دونها الرواة في مصادر الثقافة العربية.

وكان فيهم الكثير من الخطباء والشعراء الذين تحدثوا عن أمور غيبية أو وقفوا أمامها عاجزين حائرين.. أمثال قس بن ساعدة الإيادي في قوله: (...يا أيها الناس،استمعوا واسمعوا وعوا كل من عاش مات ، وكل من مات فات ، وكل ما هو آت آت ، ليل داج ، وسماء ذات أبراج ، ونجوم تزهر ، وبحار تزخر، وجبال مرساة ، وأنهار مجراة . إن في السماء لخبرا، وإن في الأرض لعبرا، أرى الناس يمرون ولا يرجعون ، أرضوا بالإقامة فأقاموا ؟ أم تركوا فناموا؟ ثم أنشأ يقول:يقسم قس قسما بالله لا إثم فيه:إن لله تعالى دينا هو أرضى مما أنتم عليه،ثم أنشأ يقول:في الذاهبين الأولين من القرون لنا بصائر لما رأيت مواردا للموت ليس لها مصادر ورأيت قومي نحوها يمضي الأكابر والأصاغر أيقنت أني لا محالة حيث صار القوم صائر.)[1].

وكذلك الشعراء أمثال: طرفة بن العبد[2] الذي تحدث عن الموت في معلقته.

---

[1] أبو زيد عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد ا لسُّيوطي، اللآلي المصنوعة في الأحاديث الموضوعة ، دار الكتب العليمة، بيروت، لبنان، (د ت)، ج 01 ص 168. وأنظر دلائل النبوة لأبي بكر أحمد بن الحسين بن علي ا لبيهقي تحقيق عبد المعطي أمين قلعجي،دار التكب العلمية،بيروت، لبنان، 1406هـ/1995، ط/01،ج 01 ص 408.

[2] طرفة بن العبد بن سفيان بن سعد، البكري الوائلي، أبو عمرو: شاعر، جاهلي، من الطبقة الاولى.نحو 86 - 60 ق ه = نحو 538 - 564 م) ولد في بادية البحرين، وتنقل في بقاع نجد.واتصل بالملك عمرو بن هند فجعله في ندمائه.ثم أرسله بكتاب إلى المكعبر عامله على البحرين وعمان يأمره فيه بقتله، لأبيات بلغ الملك أن طرفة هجاه بها، فقتله المكعبر، شابا، في

أَرى اَلموت يَعْتامُ الكِرَامَ ويَصْطفي *** عَقِيلَةَ مَالِ الْفَاحِشِ الْمُتَشَدِّدِ
أرَى الْعَيْشَ كتراً ناقصاً كلّ لَيْلَةٍ *** وَمَا تَنْقُصِ الأَيَّامُ وَالدّهرُ يَنْفَدِ
لَعَمْرُكَ إِنّ اَلموَتَ مَا أَخْطأَ الْفَتى *** لكَالطَّوَلِ الْمُرْخَى وثِنْيَاهُ بِاليَدِ[1]

وزهير بن أبي سلمى[2] في بعض حكمه المتعلقة بالغيب.

فَلا تَكْتُمُنَّ اللهَ ما في نُفُوسِكمْ *** لِيَخْفَى ومَهْما يُكْتمِ اللهُ يَعْلَمِ
يُؤَخَّرْ فيُوضَعْ فِي كِتَابٍ فَيُدَّخَرْ *** لِيَوْمِ الحِسابِ أَوْ يُعَجَّلْ فيُنْقَمِ

والشاعر أمية بن أبي الصلت الذي قال فيه الرسول صلى الله عليه وسلم كاد أن يسلم[3] ومن دلائل الاعتقاد بالغيب كذلك اتخاذهم بعض الظواهر الكونية آلهة يعبدونها كالشمس والقمر والنجوم والأصنام وغيرها، وقد حكى القرآن الكريم عنهم ذلك صراحة كما في قوله تعالى:(وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى ( 1)مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى(2) وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى (3) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى (4).. إلى قوله: أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى ( 19) وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى ( 20) أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنْثَى (21) تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى (22) إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا

---

هجر قيل: ابن عشرين عاما، وقيل: ابن ست وعشرين.من أشهر شعره معلقته، ومطلعها: (لخولة أطلال ببرقة ثهمد) وقد شرحها كثيرون من العلماء أنظر الأعلام للزركلي ج01 ص 18

[1] طرفة بن العبد، ديوان طرفة بن العبد ، دار الصدر،بيروت ، لبنان، (1401- 1980) ص 20.

[2] زهير بن أبي سلمى ربيعة بن رياح المزني،من مضر 13 ق ه/ 609 م) حكيم الشعراء في الجاهلية ولد في بلاد (مزينة) بنواحي المدينة، وكان يقيم في الحاجر (من ديار نجد) واستمر بنوه فيه بعد الاسلام.قيل: كان ينظم القصيدة في شهر وينقحها ويهذبها في سنة فكانت قصائده تسمى (الحوليات) أشهر شعره معلقته التي مطلعها: (أمن أم أوفى دمنة لم تكلم).

[3] رواه أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، تحقيق، مصطفى ديب البغا، دار بن كثير، بيروت، لبنان، (1407 – 1987) ط/3، رقم 3553 ج 7 ص 277.

أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى..)[1] إذ أقسم الله تعالى بالنجم حالة هويّه على صدق محمد صلى الله عليه وسلم فيما يوحى إليه، وفي ذلك دلالة ضمنية مفادها أن هذا النجم الذي تعبدونه وتتخذونه دليلا لكم في السير ليلا (وعلامات وبالنجم هم يهتدون)[2] يعتريه الفناء والزوال أما الله تعالى فحي لا يموت (ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام)[3] وكذلك الشمس في قوله تعالى على لسان خليله إبراهيم عليه السلام (فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ)[4] وفي هذا الحوار اللطيف الذي أجراه الله تعالى على لسان إبراهيم الخليل عليه السلام مع قومه حكمة بالغة وعبرة جليلة مفادها أن سيدنا إبراهيم عليه السلام أراد أن يبين لقومه أنهم على باطل في اعتقادهم، لذلك جاراهم ظاهرا في هذا الاعتقاد الباطل ليدرجهم بلطف نحو الاعتقاد الصحيح فبين لهم أن المعبود لا يأفل.

وأمام هذه الحيرة العارمة التي اجتاحت البشرية على مر العصور، وتاقت إلى تفسيرها أفكار المفكرين والفلاسفة جاء القرآن الكريم بالقول الفصل الذي لا يقبل تأويلا، وهو أن الغيب المطلق علم استأثر الله به دون عباده، وحتى الأنبياء عليهم السلام فإنهم لا يدركون الغيب، وإنما يتلقونه تلقيا عن طريق الوحي،

---

[1] سورة النجم من الآية 01 إلى 23.

[2] سورة النحل الآية 16 .

[3] سورة الرحمن الآية 27.

[4] سورة الأنعام الآية 78.

لذلك يقول ابن خلدون [1] "قال صلى الله عليه وسلم: (ألا وإني لا أعلم إلاّ ما علمني الله)[2] واعلم أنّ خبرهم في ذلك من خاصيته وضرورته صدق"[3].

أما الكتب السماوية التي سبقت الإسلام فقد جاء فيها الحديث عن الغيب بصفة عامة، حديث عن الجنة والنار، والجزاء والعقاب من غير ضبط ولا تحديد، أما القرءان الكريم فقد تضمن كثير من الآيات التي تتحدث عن الغيب وتضرب الأمثلة للناس، وتقطع الطرق أمام مدعي الغيب، فليس في مقدور مخلوق أن يطلع على الغيب أو يجرؤ على تحويل الأسباب والتأثير في مجريات الأحداث (وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلاّ هو..)[4] كما أن القرآن الكريم ذكر أمورا من الغيب محددة في الآية وهي (إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ (34) )[5] ويتفرع عن هذه الأشياء المذكورة في الآيات أمورا أخرى متصلة بها وجارية مجراها:

---

[1] ابن خلدون 732 - 808 ه = 1332 - 1406 م عبد الرحمن بن محمد بن محمد، ابن خلدون أبو زيد، ولي الدين الحضرمي الاشبيلي الفيلسوف المؤرخ، العالم الاجتماعي رحل إلى فاس وغرناطة وتلمسان والاندلس، وتولى أعمالا، واعترضته دسائس ووشايات، وعاد إلى تونس.ثم توجه إلى مصر فأكرمه سلطانها الظاهر برقوق.وولي فيها قضاء المالكية،ولم يتزي بزي القضاة محتفظا بزي بلاده. وعزل، وأعيد.وتوفي فجأة في القاهرة.اشتهر بكتابه (العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر) في سبعة مجلدات،أولها (المقدمة) وهي تعد من أصول علم الاجتماع، ترجمت هي وأجزاء منه إلى الفرنسية وغيرها.

[2] أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، رقمه محمد فؤاد عبد الباقي،دار الفكر، بيروت، لبنان، (د ت) ، ج 20 ص 447، إلاّ أنها وردت بلفظ (وَإِنِّي وَاللَّه لَا أَعْلَم إِلَّا مَا عَلَّمَنِي اللَّهُ).

[3] أبو زيد عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة، دار الصدر، بيروت، لبنان،(1421-2000) ط/1 ، ص 66.

[4] سورة الأنعام الآية 59 .

[5] سورة لقمان الآية 34 .

فعلم الساعة متصل بالقضاء والقدر وتسيير شؤون الكون وربط الأسباب بالمسببات وليس في المقدور مخلوق أن يغير من ذلك شيئا، وأما إنزال الغيب فمتصل بتقدير الأرزاق والأقوات والغنى والفقر وما إلى ذلك، وكذلك علم ما في الأرحام منه تقدير الذرية للإنسان ذكورا أو إناثا، صالحين أو طالحين، لذلك رأى علماء الإسلام أن من ادعى علم الغيب فقد ارتكب إحدى الكبائر التي لا تغتفر إلاّ بتجديد التوبة والعودة إلى الله تعالى، لأن ادعاء الغيب خارج عن حدود البشر، وهو اعتداء و تجاوز قد يؤدي إلى العجب والغرور والعناد، لذلك قال القرطبي في تفسير قوله تعالى (وعنده مفاتح الغيب...):" قال علماؤنا: أضاف سبحانه علم الغيب إلى نفسه في غير ما آية من كتابه إلاّ من اصطفى من عباده، فمن قال : أنه يترل الغيث غدا، وجزم فهو كافر أخبر عنه بأمارة ادعاها أم لا ، وكذلك من قال: أنه يعلم ما في الرحم فهو كافر... إلى أن قال:..أو أخبر عن الكوائن المجملة أو المفصلة في أن تكون قبل أن تكون، فلا ريب في كفره أيضا"[1].

أمّا ما وصلت إليه الأبحاث العلمية من حقائق لم تكن موجودة أمام الحس والمشاهدة فليست من قبيل ادعاء الغيب.

[1] أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: عرفان العشا، دار الفكر، بيروت ،لبنان، ( 1424-2003) ط/1، ج07، ص4.

# الفصل الأول

## الغيب عند المفسرين

### المبحث الأول: دلالات الغيب على الماضي

### المبحث الثاني: دلالات الغيب على المستقبل

تناول المفسرون على مختلف اتجاهاتهم ظاهرة الغيب في القر آن الكريم كل من زاوية معينة فالمشتغلون بأمور العقيدة والتوحيد رأوا في الغيب دعوة إلى الإيمان بالله وتوحيده، والمفسرون عموما رأوا في ظاهرة الغيب دلالات وأمارات تدعوا إلى الإيمان بالله وأن هذا الدين الإسلامي من عند الله وأن أمور التشريع والعبادات قائمة كلها على الإيمان بالغيب ومن هذا المنطلق الديني القائم على الإيمان بالغيب تتفرع عدة دلالات منها ما يدل على الماضي ومنها ما يدل على المستقبل.

**دلالات الغيب على الماضي:**

لقد نزل القر آن الكريم على محمد صلى الله عليه وسلم من عند علام الغيوب بواسطة جبريل عليه السلام ليكون دستورا سماويا ارتضاه الله تعالى للبشرية جمعاء من غير تمييز، لقد حوى القرآن قصصا كثيرة عن الغيب سواء تعلقت بأمور وحوادث أخبر عنها وقد سبقت نزوله أو بأمور لم تحدث بعد، كل ذلك داخل في موضوع الإعجاز الكبير، ومؤيد لنبوة محمد صلى الله عليه وسلم، ومدعاة إلى تصديق بهذا الدين الجديد، وما جاء فيه من شرائع وأحكام، حتى كأن حاجز الزمن يكاد ينعدم، فالقر آن يتحدث عن الأزمنة الغابرة ويربطها

بالحاضر، يتحدث عن الأنبياء منذ آدم عليه السلام إلى محمد صلى الله عليه وسلم، عما وقع لهم مع أقوامهم وما أصاب الكافرين منهم من مصائب جزاء كفرهم وعنادهم، ويتحدث عما لاقاه الأنبياء من مشاق في سبيل تبليغ رسالات ربهم ونشر الدين والهداية بينهم ودعوتهم للإيمان ... وفي هذا السياق واجه الرسول صلى الله عليه وسلم أسئلة محرجة من مشركي مكة على وجه الخصوص بإيعاز من النصارى واليهود على وجه الخصوص لأنهم كانوا أكثر عنادا ومعاداة للإسلام ونبي الإسلام، ولقد ترسب في عقولهم ضغائن وأحقاد قديمة ضد العرب المسلمين وكانوا يعتبرون أنفسهم أهل كتاب يعرفون أخبار السماء حاملين لما جاء في التوراة والإنجيل عاملين به، ولما أخبر القرءان الكريم عما هم فيه من زيغ وضلال أخذتهم العزة بالإثم وازدادوا كفرا وعنادا لذلك قال فيهم الله عز وجل: ( مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) [1] أي أنهم حملوها ظاهرا وادعوا معرفتها والعمل بها ولكنهم في الحقيقة حرفوها، لذلك كانوا يؤلبون مشركي مكة ويدلون إليهم بآراء وأفكار عن الدين، ليجادلوا بها الرسول صلى الله عليه وسلم ويختبروا نبوته، وفي هذا السياق تندرج الأسئلة التي

[1] سورة الجمعة الآية 5.

كانوا يطرحونها على الرسول صلى الله عليه وسلم، وليس في مقدور الرسول صلى الله عليه وسلم أن يجيبهم إلاّ بما يوحى إليه، لأن الأمور التي أجابهم عنها غائبة عنه سابقة لزمانه وعصره، ولكن القر آن أخبر عنها وحكى عن اعتقاداتهم وما أصابها من زيف فيكشف عن عقيدة النصارى المبنية على الزيف والتحريف في اعتقادهم في عيسى عليه السلام أنه ابن الله (وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ)[1] وكذلك عقيدة اليهود في أن عزير ابن الله (وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ) ويقرر الإيمان الصادق والصحيح المبني على التوحيد (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ( 1) اللَّهُ الصَّمَدُ(2) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ( 3) وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ( 4))[2]، واستنادا إلى أقوال المفسرين لسورة الإخلاص يمكننا استنباط ثلاثة حقائق عظمى ينعقد عليها الإيمان بل هي رأس الإيمان، وبدونها لا يصح ولو كان مشفوعا بأعمال ظاهرها ما جاء به الشرع:

الحقيقة الأولى:(هو الله أحد) أي الإقرار بالوحدانية وما يتبعها من عبودية وخضوع لله تعالى وإيمان مطلقا لثبوت قدرته على الخلق والتسيير والتقدير فهو

[1] سورة التوبة الآية 30 .

[2] سورة الإخلاص الآية من 1 – 4.

الأول والآخر بيده كل شيء وهو على كل شيء قدير (الله الصمد) الفرد الصمد الدائم لا يحده زمان ولا مكان ولا تسري عليه أحداث الزمان (كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ (26) وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ( 27))[1] وقوله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا)[2].

الحقيقة الثانية:(لم يلد و لم يولد) أي (ليس كمثله شيء)[3] (مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ)[4] (وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا)[5] فهو مترہ عن الأب والزوجة والولد، وهذا إبطال لمزاعم النصارى واليهود الذين نسبوا له الولد كما سبق ...(و لم يولد): كما قال أو سيقول كفار قريش ليخالفوا بمقالتهم في الكفر مقالة من سبقهم فيأتوا بكفر جديد.

الحقيقة الثالثة: (و لم يكن له كفؤا أحد) أي ليس له شبيه ولا نظير ولا مشارك في الملك، فهو الذي يحي ويميت ويحاسب ويغفر ويجازي ويعاقب فعال لما

---

[1] سورة الرحمن الآية 26 و 27 .

[2] سورة النساء الآية 48.

[3] سورة الشورى الآية 11 .

[4] سورة المؤمنون الآية 91.

[5] سورة الجن الآية 03.

يريد، ولو لم يرد في القر آن الكريم ما يدل على التوحيد إلاّ هذه السورة لكفت العقلاء، بهذا الأسلوب الموجز والألفاظ الدّالة الموحية المعبرة عن حقيقة الله تعالى وتنزيهه عن التبديل والتشبيه ومما جاء في مناسبة هذه السورة أن المشركين قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم أنسب لنا ربك فأنزل الله تعالى (قل هو الله أحد الله الصمد ...) فالصمد الذي لم يلد و لم يولد لأنه ليس شيء يولد إلاّ سيموت وليس شيء يموت إلاّ سيورث وإن الله تعالى لا يموت ولا يورث ... "[1] لذلك قال تعالى (قل لو كان فيهما آلهة إلاّ الله لفسدتا) [2] ومفاد الآية أن الله تعالى هو الله الذي لا إله إلاّ هو يدبر الكون كيف يشاء ولقد توقف العلماء عند (إلاّ) في هذه الأية، والشائع في كلام العرب أنّ (إلاّ) تأتي للاستثناء وهي أم الباب كما يقول النحاة، وجعلها هنا للاستثناء في هذه الأية يفضي إلى مخالفة التوحيد،أي لو كان فيهما آلهة ومعها الله لم تفسدا، يقول ابن هشام: (فلا يجوز في (إلاّ) هذه أن

[1] أنظر أسباب النزول للسيوطي، سورة الإخلاص ص 262.

[2] سورة الأنبياء الآية 22 .

تكون للاستثناء من جهة المعنى..ولا من جهة اللفظ) [1] ليخلص إلى أنّ (إلاّ) في الأية مؤكدة الوصف، إذ المعنى حينئذ لو كان فيهما آلهة لفسدتا، أي أن الفساد يترتب على تقدير تعدد الآلهة، وهذا هو المعنى المراد[2].

ومن دلالات الغيب على الماضي تلك الأسئلة التي كنت توجه إلى الرسول صلى الله عليه وسلم والمتصلة بأمور وقعت في الأزمنة الغابرة أي قبل محمد صلى الله عليه وسلم كما جاء عن أصحاب الكهف (سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ) [3] ذكر الزمخشري لهذه الأية مناسبة مفادها أن جماعة من اليهود قالوا لقريش: (سلوه عن الروح وعن أصحاب الكهف وذي القرنين، فسألوه فقال: ايتوني غدا أخبركم و لم يستثن فأبطأ عليه الوحي حتى ضاق عليه وكذبته قريش لذلك قال تعالى بعد الأية السابقة (وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا (23) إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ [4]... ) أي أن العزم على

---

[1] أبو محمد عبد الله جمال الدين بن هشام الأنصاري، مغني اللبيب عن كتب الأ عاريب، تحقيق مازن المبارك، دار الفكر، بيروت لبنان (1413-1993) ط/1، ج 01 ، ص 84-85.

[2] المصدر نفسه ص 85.

[3] سورة الكهف الآية 22.

[4] سورة الكهف الآية 23 و24.

فعل شيء من الأشياء مما هو مشروع شرعا لا بد أن يكون مقرونا بالمشيئة الإلهية والتوكل على الله)[1].

ولقد بينت الآيات السابقة ما كانوا فيه يختلفون فبعضهم قال: ثلاثة رابعهم كلبهم. وبعضهم قال: أربعة خامسهم كلبهم، وبعضهم قال: خمسة سادسهم كلبهم، وكلا القولين رجما بالغيب من غير تثبت ولا دراية، والرجم بالغيب الظن بالغيب المفضي بصاحبه إلى الخطأ من غير معرفة دقيقة ولا تثبت لذلك قال: زهير بن أبي سلمى

وما الحرب إلاّ ما علمتم وذقتم *** وما هو عنها بالحديث المرجّم [2]

أما الواو في قول تعالى: (ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم) فهي للتصديق مقالة المسلمين التي خالفوا بها النصارى واليهود، ودليل ذلك، أنه بعد ذكر القولين (ثلاثة رابعهم ... خمسة سادسهم كلبهم..) عقب عليها بقوله (رجما بالغيب) ثم قال (ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم) فأخرجه من دائرة الرجم بالغيب بذكر

[1] الزمخشري، تفسير الكشاف، دار المعرفة، بيروت، ط 03 - 1981 م 02 ص 480.

[2] زهير بن أبي سلم ى، ديوان زهير بن أبي سلمى، شرح أبو العباس تعلب، دار العراقية للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، (1415-1994) ، ص 19.

(الواو)، وجاء بعده (قل ربي أعلم بعدتهم ما يعلمهم إلاّ قليل) إشارة إلى معارضة أقوال الفريقين (اليهود والنصارى) وتأييد مقالة المسلمين[1].

وأغلب ما جاء في القر آن الكريم بصيغة الفعل الناقص (كان) مستندا إلى ضمير المخاطب (كنت) كان موجها إلى الرسول صلى الله عليه وسلم في سياق الإخبار عن أمور غيبية كانت قد سبقته في الزمان، أو في سياق بيان فضل الله تعالى عليه بأن جعله نبيا مرسلا واصطفاه بالوحي وجعله سيد المرسلين، وجعل رسالته خاتمة للرسالات السماوية السابقة، ومن عظائم القر آن الكريم وكله عظائم ما أخبر عنه من حقائق متصلة بالدين على العموم ومنها حقيقة عيسى ابن مريم عليه السلام حيث ترسبت في عقائد النصارى منذ أزمنة غابرة أن عيسى بن الله وبنو على هذا الزعم الباطل عقيدتهم التثليثية (الأب والابن وروح القدس) فأخبر القرآن الكريم محمدا صلى الله عيه وسلم بأن عيسى عليه السلام نبي الله اصطفاه كما اصطفى غيره من الأنبياء وآتاه بالمعجزات ما تؤيد نبوته قال تعالى: (إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آَدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ...) [2] فهذه الأية تفندُ ما هو شائع عند النصارى عن عيسى عليه السلام وإبطال

[1] ينظر: الزمخشري، الكشاف، ج 02، ص 480.

[2] سورة آل عمران الآية 59 .

لزعمهم أن يولد بشر من غير أب حتى نسبوا أبوته لله تعالى لذلك ذكّرهم القرآن الكريم بهذه الحقيقة وأن لا مجال للاستغراب فآدم عليه السلام خلقه الله من غير أب ولا أم وهذا أشد استغرابا من خلق عيسى من غير أب فقط وإن شأن عيسى عليه السلام بالنسبة لقدرة الله حيث خلقه من غير أب كمثال آدم عليه السلام حيث خلقه من غير أبوين، بل شأن آدم أعجب حيث خلقه من تراب يابس ، فمن آمن بقدرته تعالى في خلقه آدم من تراب كيف لا يؤمن بها في خلقه عيسى ابن مريم عليه السلام من غير أب، وقوله تعالى: (خلقه من تراب) كلام مستأنف لبيان أن المشبه به أخرق للعادة وأغرب[1] ولعل من الأسباب التي جعلت النصارى يزعمون هذا الزعم هو أن حضارتهم القديمة أي الحضارة

اليونانية مليئة بالأساطير والخرافات وبخاصة ما تعلق منها بجانب الاعتقاد: ولقد تعددت الآلهة وتنوعت عند المجتمع اليوناني القديم بحيث كان لكل بيت ومدينة أو جهة إلهها الذي تقدم له القرابين و تتوسل إليه لدفع ضرر أو جلب منفعة (واهتم الإغريق بمعرفة الغيب والرضوخ لمشيئة الآلهة عند حلول محنة أو قبل خوض معركة يتوجّه الأفراد إلى الهيكل ..وتجلس الكاهنة على مقعد مثلث القوائم فوق

[1] الصابوني محمد علي، صفوة التفاسير، شركة شهاب، (د ت)، ج01 ، ص 188 بتصرف.

شق في الأرض تحت الهيكل) [1] والناس يستمعون إليها، وهي تردد ألفاظا في الغالب غامضة يتأولها كل مستمع حسب اهتمامه ووفق مزاجه الأمر هو شبيه جدا بما كان شائعا في المجتمع العربي الجاهلي حيث كان سجع الكهان شائعا لديهم...

والكهانة والعرافة كانتا مشهورتين قبل الإسلام وبعده ، ولهذا حذر النبي صلى الله عليه وسلم منها فقال : « من أتى عرافاً فسأله عن شيء لم تقبل له صلاة أربعين ليلة »[2].

يقول محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله [3]:(والعراف: هو الحازي والمنجم الذي يدعي علم الغيب، وهي العرافة وصاحبها عراف، وهو الذي يستدل على الأمور بأسباب ومقدمات يدَّعي معرفتها . وقد يعتضد بعض أهل هذا الفن في ذلك بالرجز والطرق والنجوم ،

---

[1] لبيب عبد الساتر ، الحضارات دار المشرق، بيروت، لبنان،(1407- 1986) ط 07، ص 150.

[2] أبو الحسين محمد بن الحجاج النيسابوري، صحيح مسلم، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت لبنان (1413-1992) كتاب السلام ( 39) باب تحريم الكهانة وإتيان الكهان ( 35) حديث رقم 2230، ج09، ص 59- 76.

[3] محمد الأمين بن محمد المختار. (1325 - 1393هـ، 1907 - 1973م) عالم ومحقق ومفسر. له العديد من الكتب. ولد في بلاد شنقيط (موريتانيا الآن)، طلب العلم في سن مبكرة فحفظ القرآن ودرس الفقه المالكي، ثم رحل إلى الحج، وآثر البقاء في المملكة العربية السعودية، فدرس على شيوخها وتتلمذ على كثير من علمائها، تولى التدريس في المعاهد العلمية والكليات الشرعية في الرياض والمدينة، وكان ضمن هيئة كبار العلماء وعضوًا في رابطة العالم الإسلامي. ترك عدة - كتب أبرزها تفسيره المشهور أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن الذي وصل فيه إلى سورة المجادلة، وأتمه فيما بعد تلميذه الشيخ عطية سالم. ويُعد تفسير الشنقيطي متميزًا في بابه، حيث أودعه علومًا نافعة ومسائل محققَّة توفي بمكة.

وأسباب معتادة في ذلك ، وهذا الفن هو العيافة بالياء ، وكلها ينطلق عليها اسم الكهانة ، قاله القاضي عياض، والكهانة : ادعاء علم الغيب .

قال أبو عمر بن عبد البر في ( الكافي ) : من المكاسب المجتمع على تحريمها الربا ، ومهور البغايا ، والسحت ، والرشا ، وأخذ الأجرة على النياحة ، والغناء ، وعلى الكهانة ، وادعاء الغيب ، وأخبار السماء ، وعلى الزمر واللعب والباطل كله . اه من القرطبي بلفظه ، وقد رأيت تعريفه للعراف والكاهن .

وقال البغوي : العراف الذي يدعي معرفة الأمور بمقدمات يستدل بها على المسروق ، ومكان الضالة ونحو ذلك ، وقال أبو العباس بن تيمية : العراف : اسم للكاهن والمنجم والرمال ، ونحوهم ممن يتكلم في معرفة الأمور بهذه الطرق .

والمراد بالطرق : قيل الخط الذي يدعي به الإطلاع على الغيب ، وقيل إنه الضرب بالحصى الذي يفعله النساء ، والزجر هو العيافة ، وهي التشاؤم والتيامن بالطير ، وادعاء معرفة الأمور من كيفية طيرانها ومواقعها وأسمائها وألوانها وجهاتها التي تطير إليها .

ومنه قول علقمة بن عبدة التميمي :

ومن تعرض للغربان يزجرها ... على سلامته لا بد مشؤوم

وكان أشد العرب عيافة بنو لهب حتى قال فيهم الشاعر :

خبير بنو لهب فلا تك ملغياً ... مقالة لهبي إذا الطير مرت

وإليه الإشارة بقول ناظم عمود النسب :

في مدلج بن بكر القيافة ... كما للهب كانت العيافة

ولقد صدق من قال :

لعمرك ما تدري الضوارب بالحصى ... ولا زاجرات الطير ما الله صانع

ووجه تكفير بعض أهل العلم لمن يدعي الإطلاع على الغيب أنه ادعى لنفسه ما استأثر الله تعالى به دون خلقه ، وكذب القرآن الوارد بذلك كقوله { قُل لاَّ يَعْلَمُ مَن فِي السماوات والأرض الغيب إِلاَّ الله }[1] وقوله هنا { وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الغيب لاَ يَعْلَمُهَآ إِلاَّ هُوَ } ونحو ذلك[2] .

ثم ما لبث أن المجتمع اليوناني أن اهتم بالفلسفة وثار على الآلهة غير أنه لم يستطع أن يتحرر من اعتقاده فيها وإنما نزع عنها لباس التقديس فالإله عند اليونان ليس شيئا مقدسا، فهو خاضع للحتمية عاجزا عن إعطاء كل ما يطلب منه لذلك فإن المجتمع اليوناني قائم على فكرة الصراع والمحاداة والمغامرة، ومحاولة اكتشاف المجهول، قائم على التطور والتحول وعدم الاستقرار، وعندما انتشرت

[1] سورة النمل، الآية 65.

[2] محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، حققه محمد عبد العزيز الخالدي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،(1424-2003) ط/2، ج2، ص 300.

المسيحية في الغرب امتزجت تعاليمها ببقايا هذا الفكر اليوناني فكانت عقيدة التثليث لونا من ألوان هذا الفكر الذي يعود إلى قرون خلت قبل المسيحية، ثم إن العداوة بين اليهود والنصارى والتي ترجع إلى صلب المسيح، جعلت النصارى يرون في المسيح المصلوب على حدّ زعمهم إلها مخلصا للبشرية من شرورها وآثامها، وأن صلبه كان تكفيرا عن ذنوب البشر جميعا، والقر آن الكريم يصحح هذا الخطأ الجسيم ويبين لنا أن الله هو الذي رفع المسيح عليه السلام فلم يقتل و لم يصلب كما يدعي النصارى قال تعالى:(وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا(156) وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ( 157) بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا (158))[1].

ووردت هاتان الآيتان في سياق الحديث عن محاداة أهل الكتاب وعنادهم وبالخصوص اليهود، إذ يروي أن اليهود اختلفوا في قتل عيسى عليه السلام،

[1] سورة المائدة الآيات 156 – 157- 158.

حيث قال بعضهم قتلناه حقا وتردد فيه آخرون وكذلك اختلفت أقوال النصارى فيه لذلك قال فيهم القرءان الكريم (إلاّ اتباع الظن)[1].

وهكذا تتوالى قصص الإخبار عن الغيب في القر آن الكريم في مواضع شتى بأساليب متنوعة حسب مقتضيات المقام ومتطلبات السياق وبناء على الأحداث والمناسبات التي تستدعي التذكر و الاتعاظ، أو رفع اللبس للتثبت واليقين أو تفنيد الكذب للتصديق برسالة محمد صلى الله عليه وسلم، وكل ما جاء من هذا القبيل في القرآن الكريم لا يخرج عن الإطار العام الذي يبين أنه وحي يوحى من عند الله وليس للعقل البشري فيه دخل أو تصرف أو إرادة، وأهم ما يلفت الانتباه في هذا المجال هو قصص الأنبياء كقصة آدم عليه السلام وخروجه من الجنة، وقصة ابني آدم قابيل وهابيل وكيف سولت لقابيل نفسه قتل أخيه هابيل قال تعالى: (وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آَدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآَخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ( 27) لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ (28) إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ

[1] مخلوف حسنين، صفوة البيان لمعاني القرءان، دار المشرق، بيروت، لبنان، (د ت) ط/3، ص 138.

الظَّالِمِينَ ( 29) فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ (30)...)[1] وقصة نوح عليه السلام والطوفان الذي أصاب الكافرين من قومه، (كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ ( 9) فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ (10) فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ ( 11) وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ( 12) وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ (13) تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفِرَ ( 14) وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ (15))[2] وقصة هود عليه السلام مع قومه عاد، وصالح عليه السلام مع قومه ثمود (وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ ( 42) وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ (43) وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ وَكُذِّبَ مُوسَى فَأَمْلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ) [3] وإبراهيم وإسماعيل عليهما السلام (وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا (54) وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا ( 55))[4]..وذي القرنين (وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا ( 83) إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ

[1] سورة المائدة الآية 27- 30

[2] سورة القمر من الآية 09 -15 .

[3] سورة الحج الآية 42 - 44 .

[4] سورة مريم الآيتان 54 و55.

كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا ( 84) فَأَتْبَعَ سَبَبًا ( 85) حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ( 86) قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَى رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُكْرًا (87) وَأَمَّا مَنْ آَمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَى وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا (88) ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ( 89) حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَى قَوْمٍ لَمْ نَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِهَا سِتْرًا ( 90) كَذَلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا (91) ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ( 92) حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا (93) قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ( 94) قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ( 95) آَتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آَتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ( 96) فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا ( 97))[1]

ويعقوب عليه السلام (أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا

[1] سورة الكهف الآية 83 – 97 .

تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ( 133))[1].. وكذا يوسف (الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ (1) إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ( 2) نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ (3) إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ (4))[2] وموسى وهارون عليهم السلام (وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَى مُوسَى الْأَمْرَ وَمَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ (44))[3] وغيرهم ...( وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا) [4] قوله تعالى (تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ)[5].

إنّ الإخبار عن هذه الأمور الغائبة والتي حدثت قبل محمد صلى الله عليه وسلم بقرون من الزمن لأكبر دليل على صدق ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم وأنه الوحي الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ومن معاني الوحي

---

[1] سورة البقرة الآية 133 .

[2] سورة يوسف الآية 01 إلى الآية 04 .

[3] سورة القصص الآية 44.

[4] سورة النساء الآية 64.

[5] سورة هود الآية 49.

الاصطلاحية أن يدل على القرءان الكريم وعلى الحق والصدق والأمر والشرع عامة، وأن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يحضر و لم يشاهد هذه الأمور و لم يقرأ عنها أو يخبر بها، وإنما أوحيت إليه وحيا من عند الله تعالى.

إن توارد هذه الأخبار والقصص في القر آن الكريم بذلك الأسلوب الرفيع والمعجز الذي يُنبئ بأنّ الفاعل هو الله تعالى لأكبر دليل لتفنيد أقوال المكذبين بالوحي، ولو كان ذلك كله من عند محمد صلى الله عليه وسلم كما يدعون لما جاء في هذا الأسلوب وبهذه الكيفية وبهذا التنوع وكذلك يبين الله تعالى لنبيه وللناس أن هذا الأمر من عند الله وليس لأحد فيه دخل قال تعالى:(وَمَا كُنْتَ ثَاوِيًا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُو عَلَيْهِمْ آَيَاتِنَا وَلَكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ( 45))[1]وقوله تعالى: (وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَى مُوسَى الْأَمْرَ وَمَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ (44))[2] وقوله تعالى: (وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا..) [3] وقوله تعالى:( وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ)[4].

[1] سورة القصص الآية 45 .

[2] سورة القصص الآية 44 .

[3] سورة القصص الآية 46 .

[4] سورة آل عمران الآية 44 .

وكذلك لا يقف القر آن الكريم عند هذا الحد من الإخبار والقصص وإنما يستمر مبينا الزيف والتحريف والمغالطات التي أحدثها أهل الأديان السابقة وخاصة اليهود والنصارى .. فالإخبار عن الغيب في القرآن الكريم وجه من أوجه الإعجاز بل أعظم حجة للإعجاز القرآني.

## دلالات الغيب على المستقبل:

من أخبار الغيب في القرآن الكريم ما أفاد الاستقبال، وذلك في آيات عدّة أوحى الله تعالى بها إلى نبيّه محمد صلى الله عليه وسلم، ولعلّ المقصد والغاية منها هو إثبات أنّ هذا القرآن من عند الله لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه كما أن طريقة الوحي في حدّ ذاتها ليست في متناول البشر ولا ممّا تأتى لهم أو يخطر في عقولهم ؛ من ذلك مثلا الوعد بانتصار المسلمين وهيمنة الإسلام على جميع الأديان الأخرى ؛ وذلك في وقت ما زال الإسلام فيه محصورا في جزيرة العرب و لم يعمّها بعد هذا ما جاء في قوله تعالى من سورة التوبة : (هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ (33))[1].

ولفظ المشركين هنا يطلق على عبدة الأوثان التي أشركوا بها الله وعلى النصارى واليهود معا باعتبار ما قالوه من أنّ عيسى ابن الله وعزير ابن الله وعدم تنزيه الله والإقرار له بالوحدانية والعبودية فمشركو مكة اتخذوا الأوثان آلهة و دأبوا على عبادتها ردحا من الزمن، وأمّا النصارى واليهود فكان إشراكهم في عدم تنزيه العقيدة في حدّ ذاتها، والطوائف الثلاثة من المشركين كانوا قد اخذوا في التآزر و الاتفاق على محاربة الإسلام والإحالة بينه وبين الانتشار و المسلمون يومئذ قليلو العدد ضعاف العدّة والجهاد لم يؤذن به بعد، ولكن الوحي أخبر الرسول صلى الله عليه وسلم بالغيب الآتي وهو انتصار للإسلام ولقد انتصر الإسلام فعلا وعمّ أقطارا عديدة لم يكن المسلمون قد تطلعت أنظارهم إليها بعد؛ و جاء في هذا السياق أيضا من الإخبار بالغيب الآتي ما يثبت قلوب المؤمنين يطمئنهم و يواسيهم ويذهب الرّوع عن نفوسهم وهم يومئذ قلّة بين قوتين

[1] سورة التوبة الآية 33 .

كبيرتين: المنافقين واليهود في المدينة وكفار قريش بمكة لذلك قال تعالى:( وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آَمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ)[1].

والآية كما نرى فيها وعد للمسلمين بالانتصار و بدخول الناس في الإسلام وتكثير عدد المسلمين؛ و فيها وعد بالاستخلاف في الأرض والاستخلاف أي جعلهم خلفاء فيها يخلفون من كان قبلهم، فتؤول إليهم أمور تسيير شؤونها (وليمكّنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم) و لم يقل (ليمكّننهم) لأنّ التمكين في الأرض لدين الله وشرعه، وما المسلمون إلاّ حماة لهذا الدين وقائمون بأمره وفق ما أمر به الله ، وليس وفق ما يريدون هم، لذلك كان التمكين للدّين، والملاحظ أنّ هذه الآية اشتملت على ثلاثة أساليب قسمّية (ليستخلفهم) (وليمكّنن) (ليبدّلنهم) والقسم عند العرب من أساليب التوكيد بل هو أكد المؤكدات ولا يكون القسم إلاّ بمقسم به تتعلّق به الهمة سواء كان عزيزا أو مقدسا أو محبوبا والعرب يومئذ يعطون قيمة القسم و يدركون دلالا ته البلاغية و يميّزون استعمالاته الفصيح ـــة؛ و أنّ من يقسم على شيء إثباثا أو نفيا لا بدّ أن يبّر بقسمه، ولا يقسم على باطل أو شيء لم يعلم على وجه اليقين صح ـــة تحققه[2]؛ والأسلوب القـــرآني بهذه الفصاحة المتناهي ـــة والبلاغة الرائعة قد جمع بين الشكل والمضمون أي بين الأسلوب و المعنى المعبـّـر عنه ولئن كان الأسلوب جاريا في معظمه على المعهود والمحتمـــل في كلام العـــرب ممّا هو في متنـــاول أفهامهم من غيـــر

[1] سورة النور الآية 55.

[2] أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي بن القيم الجوزية، التبيان في أقسام القرآن، تحقيق: فواز أحمد زمرلي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، (1414- 1993) ص 30.

أن يجـ ـــري على ألسنتهم،فإن محتواه ومضمونه أبعد غورا وأعمق محتوى فيما أخبر به من أمور غيبية ؛ والفصيح حين يستمع إلى هذه الآية وأمثالها يدرك أنّ ذلك فوق طاقته؛ ويدرك أنّ القسم فيها لا يكون إلاّ صادقا وإنّ الاستخلاف والتمكين وتبديل الخوف أمنا لابدّ أنه آت لا محالة، لأنه لا يملك دليلا قاطعا على تكذيبها أو مخالفتها، فلا يسعه إلاّ التصديق وبعد الإخبار بهذا الغيب الذي لم يحن وقته بعد شرط ذلك بالتزام العبادة وعدم الإشراك بالله حتى لا تتزعزع النوايا ولا تستبد الأهواء بالنفوس،كما فيه تحذير ضمني لما قد يصيب المنتصر من نشوة أو كبرياء أو تباه أو حيف عن جادة الصواب تحت طائلة النصّر وختمت الآية:(ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون ). والفسوق في أصل اللّغة للنبات(يقال فسق النّبات) إذا شقّ التراب و أخد في الظهور ؛ وتوسع في استعمال اللّفظ على سبيل المجاز؛فكان منه الفاسق وهو الخارج عن الطاعة عموما؛ والفاسق الخارج عن طريق الدّين؛و منه قوله تعالى: (إلاّ إبليس كان من الجّن ففسق عن أمر ربّه ) [1] أي خرج عن طاعته وعصاه والتعقيب بقوله تعالى:(ومن يكفر ....) بعد التأكيد على الاستخلاف والتمكين وتبدل الخوف أمنا؛يفيد الوعيد والتوعّد للذين يرتدون بعد الإيمان وبعد أن رأوا من الآيات ما يدّل على قدرة الله وعظمته .....و ممّا أخبر به القرآن أيضا من أمور الغيب؛ انتصار المسلمين في غزوة بدر وكان المسلمون قلّة في العدد والعدّة؛ و كانوا يطمعون في الحصول على أرزاقهم ممّا توفره لهم قافلة قريش العائدة إلى مكة فأرادوا اعتراضها و لم يكونوا يطمعون في التغلّب على صناديد قريش وكسر شوكتهم؛ ولكن الله أراد لهم الانتصار على قريش وكسر قوتها وإذلالها ؛ قال تعالى:((وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ

[1] سورة الكهف الآية 50 .

لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ ( 7) لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ (8))[1].

فانتصار المسلمين في هذه الغزوة التي تعتبر أول مواجهة بين المسلمين والكفار فيه انتصار للإسلام على الشرك وتعزيز لدين الله على عبدة الأوثان وكسر لشوكة قريش التي عتت و تعالت وعذّبت المسلمين وقهرتهم وهجرتهم واستولت على أموالهم وممتلكاتهم ولنطرح السؤال:كيف ستكون الموازين وكيف ستنقلب الأحوال لو أنّ الدائرة كانت لقريش في هذه الغزوة، الاّ يكون في ذلك زعزعة للإسلام و المسلمين وفرحة كبرى للكفار ولكن الله أراد أن يقطع دابر الكافرين فقطعه.

ومن ذلك وعد الله رسوله بلوغ مكة و دخول المسجد الحرام، وذلك بعد أن لبث المسلمون في المدينة عدّة سنين يحنون إلى رؤية مكة والبيت الحرام و لم يجدوا إلى ذلك سبيلا ؛فبشرهم القرآن الكريم بأنّ الله سيمكنهم من ذلك في القريب العاجل قال تعالى:(لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آَمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا (27) هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا (28))[2] فعلم الله ما لم تعلموا فجعل من دون ذلك فتحا قريبا،وفي ذلك إشارة هذا الأمر الغيبي الذي لم يكن مدركا لدى المسلمين؛ ولكنّ الله قدره، ولقد ذكر الإمام الفخر الرازي [3] عدّة وجوه في تفسير لفظ الغيب، وذلك أثناء وقوفه على قوله

---

[1] سورة الأنفال الآية 07 – 08.

[2] سورة الفتح الآية 26 – 27.

[3] الفخر الرازي هو محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي البكري، أبو عبد الله، فخر الدين الرازي: الامام المفسر 544 – 606 هـ = 1150 – 1210 م، قرشي النسب، أصله من طبرستان، ومولده في الري وإليها نسبته، ويقال له (ابن خطيب الري) رحل إلى

تعالى: (يؤمنون بالغيب) [1] منها "يتناول الإيمان بالغائبات على الإجمال ثم بعد ذلك قـــوله: (والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك) [2] يتناول الإيمان ببعض الغائبات فكان هذا من باب عطف التفصيل على الجملة وهو جائز كما في قوله تعالى: ((وملائكته وجبريل وميكائيل[3])) [4] والغيب عنده قسمان من المدلول به عليه فهو إمّا ما قام عليه دليل وهو في متناول البشر؛ و إمّا ما لا يقوم عليه دليل وهو الذي استأثر الله تعالى بعلمه (وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو) [5] ثم أعقب بالإمام الفخر الرازي بقوله"ولذلك قال العلماء للاستدلال بالشاهد على الغائب أحد أقسام الدلالة وعلى هذا الاعتبار نجد المتكلمين يقولون هذا من باب إلحاق الغائب بالشاهد ويريدون بالغائب ذات الله تعالى وصفاته والله أعلم"[6].

أمّا الإمام أبو زهرة [7] فبعد أن تناول قوله تعالى: ((ألم ذلك الكتاب،لا ريب فيه هدى للمتقين )[1] ويقرر أنها أربع جمل متناسقة متكاملة من غير حرف نسق بينها ويخلص

---

خوارزم وما وراء النهر وخراسان،وتوفي في هراة. أقبل الناس على كتبه في حياته يتدارسونها.كان يحسن الفارسية.من تصانيفه (مفاتيح الغيب في تفسير القرآن الكريم، و لوامع البينات في شرح أسماء الله تعالى والصفات وغيرها.

[1] سورة البقرة الآية 03 .

[2] سورة البقرة الآية 04 .

[3] سورة البقرة الآية 98.

[4] أبو عبد الله فخر الدين محمد بن عمر بن الحسن الرازي،مفاتيح الغيب،دار الفكر، بيروت، لبنان، ( 1405-1985) ط/3، ج02 ص 28.

[5] سورة الأنعام الآية 59 .

[6] أبو عبد الله فخر الدين محمد بن عمر بن الحسن الرازي،مفاتيح الغيب،دار الفكر، بيروت، لبنان، ( 1405-1985) ط/3، ج02 ص 28.

[7] أبو زهرة (1316- 1394 هـ = 1898 - 1974 م) محمد بن أحمد أبو زهرة:أكبر علماء الشريعة الإسلامية في عصره. ولد بمدينة المحلة الكبرى وتربى بالجامع الأحمدي وتعلم بمدرسة القضاء الشرعي ( 1916 - 1925) وتولى تدريس العلوم – الشرعية والعربية ثلاث سنوات، وعلم في المدارس الثانوية سنتين ونصفا.وبدأ اتجاهه إلى البحث العلمي في كلية أصول الدين ( 1933) وعين أستاذا محاضرا للدراسات العليا في الجامعة ( 1935) وعضوا للمجلس الأعلى للبحوث العلمية.وكان وكيلا لكلية الحقوق بجامعة القاهرة، ووكيلا لمعهد الدراسات الإسلامية وأصدر من تأليفه أكثر من 40 كتابا، منها المطبوعات الآتية: (الخطابة) و (تاريخ) وغيرها.

إلى قوله تعالى:(الذين يؤمنون بالغيب) ليقرر أن هذا أول وصف للمتقين فيقول:" الغيب كلّ ما يغيب عن الشخص، ويستتر ..فالغيب هو الله تعالى لأننا نؤمن به ولا نراه،فالبرهان يوجب الإيمان به وهو لا يرى بالحسّ بل يرى بالقلب،وفسّروه بأنّه القدر، وفسروه بأنّه الإيمان بالملائكة، وفسروه بالقرآن وما فيه من أخبار الملائكة واليوم الآخر والجنة والنار وقال آخرون الغيب:الغيب كلّ ما أخبر به الرسول صلى الله عليه وسلم ممّا لا تهتدي العقول إليه من علامات الساعة والحشر والنشر والصّراط والميزان .." [2].

وهذه الأقوال في جميعها متكاملة تصّب في اتجاه واحد فالغيب هو ما ليس في متناول مدركاتها الحسّية والعقلية، وهو ثلاثة أقسام : قسم إطلاق: و لا يمكن أن نهتدي إليه أبدا إلاّ عن طريق الوحي: و هذا القسم تندرج تحته سائر الأمور التي دعانا الشرع إلى الإيمان بها و التصديق بوقوعها كالإيمان بالله وملائكته

ورسله وكتبه و اليوم الآخر و القدر خيره و شره و ما يلحق ذلك من أمور العبادات والمعاملات و إقامة الحدود والشرائع ؛ قال ابن عاشر[3] في منظومته :

أن تعبد الله كأنك تراه --- فإن لم تكن تراه فإنّه يراك .

---

[1] سورة البقرة الآية 01 - 02 .

[2] محمد بن أحمد أبو زهرة ، زهرة التفاسير دار الفكر العربي، القاهرة (1394-1974) ،ج 01 ص 104.

[3] هو عبد الواحد ابن أحمد ابن عاشر صاحب المرشد 484 - 567 هـ = 1091- 1172م رأس المفتين في زمانه بالأندلس ولد في حصن ينشتة Iniesta وسكن شاطبة، وولي خطة الشورى ببلنسية، ثم قلد قضاء مرسية، وحمدت سيرته. واستمر إلى انقراض الدولة اللمتونية، في آخر سنة 539 ه، فصرف صرفا جميلا. وعاد إلى شاطبة، فدرس بها الفقه. وألف في شرح المدونة كتابا سماه (الجامع البسيط) توفي قبل إكماله، وقد كف بصره أنظر الأعلام للزركلي ج 03 ص 247.

و القسم الثاني من الغيب هو ما نستطيع إدراكه حسّا أو معنى فمنه ما نعلمه عن طريق الإخبار عنه أو نستدل عليه من خلال تتبع آثاره : و يندرج تحت هذا القسم سائر الأخبار والوقائع التي جاءتنا في القرآن الكريم كأخبار الأمم السابقة والحوادث الماضية ومنها قصة آدم وحواء وخروجهما من الجنة وهبوطهما إلى الأرض وقصص الأنبياء ؛ ومعلوم أنّ القرآن الكريم حينما أخبرنا بهذه الأمور الغائبة عنا إنما تناول فيها ما يثبت الدليل وتقوم به الحجّة على قدرة الله تعالى في تصريف شؤون خلقه وسريان حكمته على سائر مخلوقاته؛ وقسم ثالث من الغيب يتناول أمورا لم تقع بعد مع أنها في متناول الإدراك الحسي و العقلي ومن هذا القسم أيضا ما أخبر عن بعضه القرآن الكريم.

والغيب علاقة وطيدة بالإيمان وذلك أنّ من الناس الماديون ال ضالون الذين لا يؤمنون إلاّ بالمادة وحدها مدعين أنهم : عقليّون و منهم المؤمنون الذين مدحهم الله تعالى ولذلك قال فيهم ( مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ (33))[1] كما قال أيضا ( إنّ الذين يخشون ربهم بالغيب لهم مغفرة وأجر كبير )[2] ومن معاني الغيب في الآية السابقة (الباطن) أي يؤمنون باطنا كما يؤمنون ظاهرا ليفارقوا أهل النفاق الذين يؤمنون بألسنتهم فقط[3] .

ولقد جعل الله تبارك وتعالى الإيمان بالغيب أوّل صفة للمتقين عندما قال (ألم ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب و يقيمون الصلاة وممّا

[1] سورة ق الآية 33 .

[2] سورة الملك الآية 12 .

[3] أبو عبد الله مصطفى بن العدوي، التسهيل لتأويل التنزيل، دار ابن كثير، مصر، (1416- 1996) ط 01، ج 01 ص 172.

رزقناهم ينفقون)[1] فالغيب أول مرتبة في الهدى لأنّه أساس الإيمان كلّه؛ ولا تقبل العبادات من دونه أفرأيت لو أنّ أحدا عمل أعمالا ممّا أمر به الشرع و أتى بها على أكمل وجه فهل تقبل منه عند الله وهو غير مؤمن بالله ورسوله وسائر متطلبات الإيمان الأخرى؛ طبعا لن يقبل منه شيء منها إلا إذا كان ذلك مسبوقا بالإيمان لذلك كانت أول آية نزلت على محمد صلى الله عليه وسلم هي قوله تعالى:( اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (1) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ (2) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (3) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (4) عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (5))[2] يستفاد من هذه الآيات الحثّ على التعلم و طلب المعرفة عامة إنطلاقا من الإيمان بالله تعالى وما يلحق هذا الإيمان من الإذعان له تعالى والخضوع له و طاعته؛ وهذه كلّها أمور غيبية ؛ وحين تناول الإمام الشعراوي الغيب, فرق بين الإدراك بالحواس؛والإدراك بغير الحواس وكلاهما معلوم ويتوصل إلى معرفة الأشياء المدركة، فهناك ملكات في النفس هي الحواس الظاهرة ؛ وهناك إدراكات في النفس وهي حواس لا يعلمها إلا خالقها،وعندما يتوصل العلماء إلى حقائق علمية كانت مستورة عنّا، فلا يقال إنهم اطلعوا على الغيب، بل اكتشفوا موجودا له مقدمات فتوصلوا إلى هذه النتائج العلمية الباهرة فاكتشافهم هذا ليس غيبا، ونحن نجد في القرآن الكريم عددا كبيرا من الآيات التي تحثنا على التعلّم وطلب المعرفة و انتهاج طرق البحث العلمي الجاد للوصول إلى حقائق كانت غائبة عنا، ومجهولة لدى ملكاتنا النفسية، فهذه الآيات تدعو ملكاتنا النفسية إلى الاستيقاظ والتنبه إلى الظواهر الكونية

[1] سورة البقرة الآية 01 - 04 .

[2] سورة العلق الآية 01 – 05 .

للبحث فيها والانتفاع بها وتسخيرها أو تدعونا إلى الإيمان بالخالق انطلاقا من ملاحظتها، و لذلك قال الشاعر :

تلك الطبيعة قم بنا يا ساري حتّى أريك بديع صنع الباري

الأرض حولك و السماء اهتزتا لروائع الآيات و الآثار

دلت على ملك الملوك فلم تدع لأدلة الفقهاء و الأحبار

وانطلاقا ممّا سبق، فالغيب هو الشيء الذي ليس له مقدمات و لا يمكن أن يصل إليه علم خلق من خلق الله)[1].

فالغيب بهذا المفهوم هو ما اختفى الله تعالى بعلمه دون سائر مخلوقاته من ملائكة و إنس وجن لذلك جاء في القرآن الكريم على لسان الملائكة:(سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنّك أنت العليم الحكيم ) [2] وانظر إلى المؤكدات في هذه الآية (أنت العليم الحكيم) فالضمير المنفصل (أنت) تأكيد للمتصل (ك) وصيغة فعيل في (عليم و حكيم) تفارق (عالم وحاكم) فالعالم ومن علم على وجه عام ، والحاكم من بيده الحكم (والعليم ) من اختفى بالعلم على وجه الدّقة بحيث لا يجاريه في علمه غيره ، ولا يصل إلى مرتبة علمه سواه كما أنها تفيد أيضا القدرة على التعرف و تسيير المعلوم.

وكذلك حكيم أي الحاكم بتدبر وعناية بحيث لا يفلت عن دائرة حكمه شيء و لا ينافسه فيه أحد ؛ و قد نصّت الآية صراحة على اعتراف الملائكة بجهلهم الغيب الذي

[1] محمد متولي الشعراوي، تفسير الشعراوي، الجزائر، مكتبة الشهاب، (د ت)، م 01 ص 126.

[2] سورة البقرة الآية 32 .

هو من صفات الله وحده ،و كذلك الجّن في قوله تعالى (فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ (14) )[1].

إنّ الإخبار عن الغيب المتصّل بالمستقبل يأخذ أبعادا شتى و اتجاهات عدّة ، منها :

ما هو واضح الصفحة بادي الدّلالة جلّي المعنى نتوصل إلى فهمه وتقبله عقولنا ومنها ما هو عميق المعنى بعيد الغور تختلف الأفهام في الوصول إلى حقيقته، تتبدّى معانيه بحسب الملابسات و الظروف الطارئة على البشرية واجتهادات ذوي العقول منهم على مرّ العصور ، كما أنّ الأخبار الغيبية منها ما هو قريب الوقوع ومنها ما هو بعيد.

ومن أخبار الغيب القريبة؛ لإخبار بهزيمة قريش يوم بدر قبل حدوثها،قال تعالى:(سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ ( 45))[2] وكان المسلمون حينئذ في مكة قلّة مستضعفة يخافون أن يتخطّفهم الناس حتى قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه :"كنت لا أدري أي جمع سيهزم ؟" ثم جاءت وقعة بدر فهزم الكفار و ولّو الدّبر ؛ و كذا الإخبار بأنّ أبا لهب عمّ الرسول صلى الله عليه وسلم سيموت كافرا وسيعذب، قال تعالى:(تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ (1) مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ (2) سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ (3) ...)[3] ولقد أسلم كثير من المشركين من نظراء أبي لهب؛ فما الذي منع أبو لهب أن يسلم و لو نفاقا كما فعل كثير من المنافقين، ولو فعلها لأبطل بالكلية ما نزل فيه من قرآن و لوجد المشككون والكافرون السبيل واضحا للطعن في القرآن الكريم، ولكّن

[1] سورة سبأ الآية 14 .

[2] سورة القمر الآية 45 .

[3] سورة المسد الآية 01 -03.

الله حال دونه ودون ذلك ليبقى القرآن صادقا معبّرا عن الحقيقة الأزلّية التي لا تدركها أفهام البشر ولا تحيد عنها.

و كذلك تحدي القرآن العرب و هم أهل فصاحة أن يأتوا بمثل القرآن، أو أن يأتوا بعشر سور،قال الله تعالى: ((أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ( 13) ..)[1] ثم تحداهم أن يأتوا بسورة واحدة، قال تعالى :(أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (38))[2]

ثم ختم ذلك التحدي بقوله تعالى:((قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ( 88))[3] و لم يسجل لنا التاريخ أن واحدا منهم أو جماعة ممّن هم أهل لسن وفصاحة حاولوا أن يفعلوا ذلك.

والسؤال الذي قد يتبادر إلى الأذهان، هل كان بإمكان فصحاء العرب أن يقلدوا أسلوب القرآن ؟ و هل كان بإمكانهم أن يقلدوا أسلوب القرآن سواء في طريقة نظم ألفاظه أو في سبك معانيه ؟. ممّا لا شك فيه أنّ القرآن بهرهم بنظم ألفاظه وسبك معانيه إلى الحد الذّي جعلهم يقفون أمامه عاجزين غير قادرين، فهو يتحدث عن الأمور الغيبية التي لا قبل لهم بها كأخبار الماضي من الأمم والسابقين من الأنبياء، كما يتحدث عن أمور لم تقع بعد،ويبشر المتقين بالجنة

[1] سورة يونس الأية 13 .

[2] سورة يونس الأية 38 .

[3] سورة الإسراء الأية 88 .

التي وعد الله، و الكفار المنافقين والجاحدين، يتوعدهم بالعذاب المقيم ويسترسل القرآن الكريم في أسلوبه العجيب المعجز ، وفي معانيه السامية الرفيعة التي لا قبل لأفكار البشر بها ولكنهم إذا سمعوها لم يعدموا فهمها بالكلية؛و لم تنغلق معانيها أمام أفهامهم انغلاقا كليّا وإنما يأخذون قسطهم منها كلّ حسب قدراته واستعداداته هذا فيما يتصل بالمتشابه والغريب، ولكن لا أحد منهم يجرؤ على المُساءلة والنقاش فيما انغلق فهمه وقصرت الهمم عن إدراكه، وأمّا المحكم الذي وضحت معانيه وظهرت مراميه فالكلّ في فهمه سواء إلاّ من كابر وجحد وكان إلى اللجاجة والخصام أميل،فأنظر إلى قوله تعالى:(إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا (1))[1] فقال صلى الله عليه وسلم: (لقد أنزلت عليّ آية هي أحبّ إليّ من الدنيا و ما فيها)[2].

-وإجمالا لما سبق فإنه ليس غريبا أن يمزق القرآن الكريم حواجز الغيب، فهو مترل من عالم الغيب والشهادة، أو من علام الغيوب سبحانه وتعالى، فاخترق حاجز المكان وحاجز الزمان، بماضيه ومستقبله، وأخبر النبي صلى الله عليه وسلم عن أمور غيبية أسهم المكان والزمان في حجبها وتغييبها، فالله تبارك وتعالى يملك زمام العالم (وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ (59))[3].

[1] سورة الفتح الآية 01 .

[2] صحيح مسلم كتاب الجهاد والسير ( 32) باب صلح الحديبية في الحديبية ( 24) حديث رقم 1786 ج08،ص 458 ورقم 3341 ج 09 ص 262.

[3] سورة الأنعام، الآية 59.

و هذه الآية التي ذكر المفسرون بصددها بأن لها اتصال بالآية التي قبلها والتي ختمها الله تعالى بقوله :((و الله أعلم بالظالمين)) فالله يعلم خزائن الغيب و مفاتيحها، وبعلم كلّ دقيق و جليل.

و لكن معنى الحصر لا يتماشى والسياق القرآني (( لا يعلمها إلا هو )) فالأولى أن يوجه الاتصال بما يشتمل عليه مجموع الآيتين ، أعني قوله ((قل إني على بيّنة من ربي إلى قوله ..... والله أعلم بالظالمين )) حيث يدل المجموع على أنّ ما كانوا يقترحونه من الآية وما يستبعه من الحكم الفصل والقضاء بينه و بينهم إنما هو عند الله لا سبيل إليه لغيره فهو العالم بذلك الحاكم به ، ولا يخط ئ في حكمه الفصل وتعذيب الظالمين لأن ه أعلم بهم فهو عالم الغيب لا يشاركه فيه أحد، وعالم بكل ما جلّ و دقَّ لا يضل ولا ينسى، وعندما جاءت الآية (وعنده مفاتيح الغيب ) كما يتبين به اختصاصه تعالى بعلم الغيب وشمول علمه كلّ شيء، والمفاتيح جمع مفتاح يفتح الميم و هو الخزينة ، و ربما قصد به مفرد مفتاح ويؤيده قراءة شاذة وعنده مفاتيح الغيب، و مراد المعنيين واحد فإن من عنده مفاتيح الخزائن هو عالم بما فيه قادر على التصرف فيها كيف شاء عادة كمن عنده نفس الخزائن ، يؤيد هذا الكلام قوله تعالى: ((أم عندهم خزائن ربك ))[1] و قوله تعالى: (( لا أقول لكم عندي خزائن الله ))[2] و قال : (( وإن من شيء إلا عندنا خزائنه))[3] وقوله تعالى:((و للّه خزائن السموات و الأرض)) [4] والأقرب إذن أن يكون المعنى القريب لمفردة مفاتح الغيب هي خزائنه.

---

[1] سورة الطور الآية 37.

[2] سورة الأنعام الآية 50.

[3] سورة الحجر الآية 21.

[4] سورة المنافقون الآية 07.

وصدر الآية و إن أخبر عن انحصار علم الغيب فيه تعالى لكن آخر الآية لا يختص بعلم الغيب بل ينبئ عن شمول علمه تعالى بكل شيء وهذا اعمّ من أن يكون غيبا أو شهادة فإن كلّ رطب و يابس لا يختصّ بما يكون غيبا وهو ظاهر فالآية بمجموعها تبيّن شمول علمه تعالى لكل غيب وشهادة إلا أنّ ذيلها يخبر على أنّ علمه — جزئيات وكليات– أعمّ من الغيب والشهادة.

و قد تحدثت الآية السابقة عن الغيوب التي هي واقعة في خزائن الغيب تحت أستار الخفاء وأقفال الإبهام، وقد ذكر تعالى في قوله:(( و إن من شيىء إلا عندنا خزائنه وما نتزله إلا بقدر معلوم )) [1] إن أسرار الغيب عند الباري أمور لا يحيط بها الحدود المشهودة في الأشياء ولا يحضرها الأقدار المعهودة ، فالأمور الغيبية المخزونة لا تخضع للحكم والحد والقدر،لأن الإنسان لا يحيط علما إلا بما هو محدود ومقدور وأما التي في خزائن الغيب من الأشياء فهي قبل النزول في عالم الشهود )) [2] ومن أمثلة ذلك قوله تعالى:(( ويسألونك عن الروح قل الروح من امر ربي و ما أتيتم من العلم إلا قليلا )) [3] فالروح من الأمور الغيبية التي لا يدرك ماهيتها إلا الباري تعالى .

كذلك الأمور الواقعة في هذا الكون المشهود والحبيسة في سجن الزمان هي من قبل وقوعها وحدوثها موجودة عند الله ثابتة في خزائنه نوعا من الثبوث مبهما غير مقدر وإن لم نستطع أن نحيط بكيفية ثبوثها فمن الواقع في مفاتيح الغيب وخزائنه الأشياء قبل حدوثها واستقرارها في مترلها المقدر لها من منازل الزمان،ولعل أنّ ثمة أشياء مخزونة

[1] سورة الحجر الأية 21.
[2] الميزان ج 07 ص 125.
[3] سورة الإسراء الأية 85.

لاتتماشى ، وما عندنا من الأمور الزمانية المشهودة،ولنسم هذا النوع من الغيب غير الخارج إلى عرضة الشهود بالغيب المطلق.

وأما الأمور والأشياء التي تُلبس لباس التحقق والوجود و نزولها منزلة للجبر والقدر، والذي داخل لحدودها يعود بالحقيقة إلى ما في خزائن الغيب ويرجع إلى الغيب المطلق، وأما التي تخضع للجبر والقدر ، فهي التي يتعلق بها علمنا و يقع عليه شهودنا، فعندما نعلم بها تصير من الشهود وعندما نجهلها تصير من علم الغيب، ومن الضروري أن نسميها عندما تصير مجهولة لنا غيبا نسبيا، لأن هذا الوصف الذي يطرأ عليها عندئذ وصف نسبي، يختلف بالنسب والإضافات،كما أن ما في الدار مثلا من الشهادة بالنسبة إلى من فيها، من قبيل الغيب بالنسبة على ما هو في خارجها، والتي عدها المولى عز وعلا بقوله: ((ويعلم ما في البر و البحر و ما تسقط من ورقة إلا يعلمها و لا حبة في ظلمات الارض ولا رطب و لا يابس )). من هذا الغيب النسبي فإنها جميعا أمور محدودة مقدرة لا تأبى بحسب طبعها أن يتعلق بها علمنا و لا أن يكون مشهودة لنا فهي من الغيب النسبي .

لقد ختمت الآية بقوله تعالى: (( في كتاب مبين )) فما هو هذا الكتاب المبين؟. هل هو هذه الأشياء من جهة شهادتها وغيبها؟. أم هي أمر هي الكون المشتمل على أعيان هذه الأشياء لا يغيب عنه شيء منها وإن غاب بعضها عن بعض؟. أم هو ما وراء هذا الكون مكتوبة فيه الأشياء نوعا من الكتابة مخزونة غائبة عن شهادة الشهداء من أهل هذا العالم، فيكون ما في الكتاب من الغيب المطلق؟.

إن نسبة الأشياء الواقعة في الكون، في الآية أهي واقعة بنفسها في الكتاب المبين كما تقع الخطوط بأنفسها في الكتب التي نملكها عادة أم هي واقعة بمعانيها فيه كما تقع الأفكار التي تكتبها في الصحف و الرسائل، ثم تطابق الخارج مطابقة العلم لليقين وقوله تعالى:((ما أصاب من مصيبة في الأرض و لا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها))[1]. يدل على أن نسبة هذا الكتاب إلى الحوادث الخارجية نسبة الكتاب الذي يكتب فيه برنامج العمل إلى العمل الخارجي ويقرب قوله تعالى:(( و ما يغرب عن ربك من مثقال ذرة في الأرض و لا في السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين))[2] . وما الكتاب المبين هو غير تلك الأمور الخارجية من الأشياء، فهو كالبرامج المكتوبة للأعمال التي تشمل على مشخصات الأعمال قبل وقوعها ثم تحفظ المشخصات المذكورة بعد الوقوع.

على أن هذه الموجودات والحوادث في عالمنا متغيرة متبدلة تحت القوانين الحركة العامة والآيات تدل على عدم جواز التغيير والفساد فيما يشتمل عليه هذا الكتاب كقوله تعالى: (( يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ))[3].

وأما الغيب المطلق الذي لا سبيل إلى معرفته والإطلاع عليه فإنما وصفه بأنه في خزائنه والمفاتح التي عنده لا يعلمها إلا هو بل و ربما أشعرت أو دلت بعض الآيات على جواز إطلاع غيره على الكتاب دون الخزائن كقوله تعالى: (( في كتاب مكنون لا يمسه إلا المطهرون))[4].

---

[1] سورة الحديد الآية 22.

[2] سورة يونس الآية 61.

[3] سورة الرعد الآية 39.

[4] سورة الواقعة الآية 79.

فما من شيء خلقه الله تعالى إلا والكتاب المبين يحصيه قبل وجوده وعنده وبعده غير أن الكتاب أقل درجة من الخزائن التي تشتمل على الأشياء قبل خضوعها للقدر، وهي تشتمل على غيب كل شيء على حد ما يدل عليه قوله تعالى:((وما من شيء إلا عندنا خزائنه وما نتزله إلا بقدر معلوم))[1].

وأما المراد بالكتاب المبين فنسبته إلى الأشياء كنسبة برنامج العمل إلى العمل ذاته ففيه نوع تعيين وتقدير للأشياء إلا أنه موجود قبل الأشياء ومعها وبعدها،وهو المشتمل على علمه تعالى بالأشياء وتحققها بالخارج والذي لا سبيل للتغيير فيه.

وهذا الكتاب يحصي جميع ما وقع في عالم الصنع والإيجاد مما كان ويكون وما هو كائن من غير أن يشذ عنه شاذ إلا أنه مع ذلك إنما يشتمل على الأشياء من حيث تقديرها وتحديدها، وراء ذلك ألواح وكتب تقبل التغيير والتبديل، وتحتمل المحو والإثبات كما في قوله تعالى: ((يمحو الله ما يشاء و يثبت و عنده أم الكتاب)) فإن المحو والإثبات أن يكونان في الكتاب.

إن مفاتيح الغيب هي من قبيل العلم وهي الصورة المأخودة من الأشياء بعد وجودها وتقدرها بالأقدار و مفاتح الغيب هو علم بالأشياء و هي غير موجودة و لا تقدر بأقدارها الكونية أي علم غير متناه[2].

ومنهم من أعتقد أن الغيب هو الوحي فلا يظهر الله على غيبه أحد، والمراد فلا يكشف الله على وحيه أحد إلا من اختاره من نبي، ومن ثم فإن الغيب هنا يعني الوحي

[1] سورة الحجر الآية 21.

[2] إبن طباطبا، الميزان، بيروت، دار الأعلمي للمطبوعات (1392- 1973) ج 07 ص 128 .

أي الرسالات الربانية التي يجب على الأنبياء إبلاغها وفي هذا قال تعالى:(( عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا (26) إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا (27) لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا (28)))[1].

فالإنسان يعلم الغيب من خلال أخبار الأنبياء و ذلك عن طريق الوحي قال تعالى:(( تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا))[2] والدليل على عدم العلم قبل الوحي قوله تعالى (( ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا)).فالعلم حصل بعد الوحي للنبي صلى الله عليه وسلم.

و قد يرى الكثير أن هناك مخلوقات تعلم الغيب أي المجهول فبين الله أن تلك المخلوقات لا تعلم الغيب (العلم) كما قي قول تعالى عندما أمات سليمان مثلا و لم يعلم الجن أنه قد مات حتى أكلت الأرضة عصا سليمان عليه السلام فسقط على الأرض عندها أدركت الجن أنهم لو كانوا يعلمون الغيب ( وهو المجهول ) ما ظلوا في العذاب المهين طول فترة بقاء سليمان عليه السلام على الكرسي دون سقوط، قال تعالى : (فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إلا دابة الأرض تأكل منساته فلما خر تبينت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين ))[3].

والغيب من حيث الزمان والمكان في القرءان الكريم من ثلاثة وجوه :

وجه حال الحاضر ، ووجه الزمن الماضي ، ووجه الزمن المستقبل.

---

[1] سورة الجن الآية 26- 28.

[2] سورة هود الآية 49.

[3] سورة سبأ الآية 14.

أما وجه حال الحاضر أو الغيب الحاضر هو ما اتصل بالله تعالى والملائكة والجن والجنة والنار ونحو ذلك ، مما لم يكن للرسول صلى الله عليه وسلم سبيل إلى رؤيته ولا العلم به ، فضلا على أن يتحدث عنه على هذا الوجه الواضح الذي أيده ما جاء به الأنبياء وكتبهم عليهم الصلاة والسلام.

ومن وجه حال الحاضر ما فضح الله به المنافقين في عصر محمد صلى الله عليه وسلم مما كان قائما بهم وخفي أمره كقوله تعالى : (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ (204) وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ (205))[1].

وكقوله في مسجد ضرار الذي بناه المنافقون : (الَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَى وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (107) لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ (108) أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (109) لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (110))[2]

[1] سورة البقرة ، الآيتان 204- 205.

[2] سورة التوبة، الأية 107 - 110

ووجه الزمن الماضي أو الغيب الماضي ، يحجبه عدم الاطلاع والسماع كقوله تعالى : (تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ (49)) [1].

ومن أمثلة هذا الغيب القصص الرائعة التي لم يشهدها رسول صلى الله عليه وسلم زمان وقوعها و لم يكن له صلى الله عليه وسلم سبيل للعلم بها بأي وجه من الوجوه.

ونذكر منها قصة ابني آدم عليه السلام إذ قربا قربانا فتقبل من أحدهما و لم يتقبل من الآخر ...وكيف سولت لقابيل نفسه قتل أخيه هابيل.

وكذا قصة نوح عليه السلام و وقوع الطوفان وكيف نجاه الله ومن آمن معه.

وقصة هود عليه السلام وقومه عاد وما حدث معهم .

وقصة صالح عليه السلام وقومه ثمود وقتلهم الناقة التي أكرمهم الله بها وكيف انتقم منهم.

وقصة إبراهيم عليه السلام وما كان معه من أحداث كبناء الكعبة المشرفة ونحوها.

وقصة إسماعيل عليه السلام وتسليمه لأمر الله.

وقصة لوط عليه السلام وقومه وفراره إلى الله تعالى.

وقصة أيوب عليه السلام وما حدث معه من ابتلاء وكيف عافاه الله منه.

وقصة موسى وهارون وعيسى عليهم السلام وغيرهم.

[1] سورة هود الآية 49.

إنّ النبي صلى الله عليه وسلم لم يحضر هذه الحوادث، والله عز وجل هو من أخبره بها وبتفاصيلها. ووجه الزمن المستقبل، حيث تحدث القرءان عن المستقبل بتمزيق حاجبه وكان ذلك على مراحل:

مرحلة المعاصرة، التي مزق فيها القرءان حاجب المستقبل لثبات أصحاب الرسالة والمؤمنين على طريقهم، ومعرفة غيرهم أنه الحق الذي جاءت به الرسل والأنبياء.

مرحلة المستقبل البعيد ، لكي يعرف كل عصر سيأتي أن كتاب الله حق .

ومن نماذج أنباء القرءان بالمستقبل:

-هزيمة الفرس وانتصار الروم:

فقد أخبر القرآن النبي محمد صلى الله عليه وسلم بهزيمة الفرس أمام الروم حتى يزيل الحزن عن قلوب المؤمنين بسبب الهزيمة النكراء التي تلقها الرومان المسيحية من دولة الفرس الوثنية، فنزل القرءان يَعدُ المؤمنين بانتصار الروم بعد سنوات بالرغم من الحالة المزرية التي آلت إليها دولة أهل الكتاب بسبب الحروب والغزو الذي شهدته في عقر دارها فكانت شماتة المشركين الوثنيين قاسية على المسلمين، حيث سخروا منهم فقالوا إن الروم يشهدون أنهم أهل الكتاب وقد غلبهم المجوس فكيف لكم أن تغلبوننا بالكتاب الذي أنزل عليكم، فنزلت الآية الكريمة يبشر الله فيها المسلمين بأن هذه الهزيمة يعقبها انتصار قال تعالى: ﴿الم (1) غُلِبَتِ الرُّومُ (2) فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ (3) فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ (4)﴾[1] .

[1] سورة الروم الآية – 04.

-إنباء القرآن بأن الله يتكفل بحماية نبيه صلى الله عليه وسلم .

أنزل الله سبحانه وتعالى على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم : (يا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ (67))[1]

لقد تحققت هذه النبوة و لم يتمكن أحد من المشركين أن يقتله عليه الصلاة والسلام بالرغم من كثرة ووفرة تعدادهم فبعد نزول هذه الآية أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم من حراسه الانصراف عنه فقال: (أيها الناس انصرفوا فقد عصمني الله)[2].

-عجز الناس عن الإتيان بمثل هذا القرءان:

تحدى القرءان العرب بفصاحتهم وبلاغتهم أن يأتوا بمثله، أو أن يأتوا بعشر سور من سوره، ثم تحداهم أن يأتوا بسورة واحدة، وفي معرض هذا التحدي قال سبحانه وتعالى: (فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا)[3] وقوله : (قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا (88))[4]

-إنباء عن فتح مكة :

وقد وعد الله تعالى المؤمنين بدخول المسجد الحرام محلقين رؤوسهم ومقصرين لا يخافون فقال تبارك وتعالى: (لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ

[1] سورة المائدة الآية 67.

[2] مسلم، صحيح مسلم، كتاب الفتن عن رسول الله (34) باب 75، حديث رقم 2262 ، ج4 ص 527.

[3] سورة البقرة ، الآية 24.

[4] سورة الإسراء، الآية 88 .

ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا (27))[1] وقد كان لصلح الحديبية الأثر الكبير في نفوس المسلمين، فنبذوا شروط الصلح القاسي الذي منعهم أداء مناسكهم فأنزل الله تعالى (إنا فتحنا لك فتحا مبينا...) [2]

-النبوءة بانتصار المسلمين على المشركين يوم بدر:

قال تعالى : (سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ (45))[3] ولقد نزلت هذه الأية والمسلمون في مكة وهم قلة يتربص بهم المشركون،حتى قال عمر بن الخطاب:(كنت لا أدري أي جمع سيهزم؟)[4] ثم جاءت موقعة بدر بالهزيمة وولوا الأدبار منهزمين، وصدق الله وعده.

-النبوءة بالمستقبل الأسود للمشركين:

عندما تمرد المشركون على النبي صلى الله عليه وسلم دعا عليهم بالجوع والقحط حتى يتوبوا ويؤمنوا بالله ورسوله فأجابهم الله بهذه الآيات، قال سبحانه: (فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ (10) يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ (11) رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ (12) أَنَّى لَهُمُ الذِّكْرَى وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُبِينٌ (13) ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَجْنُونٌ (14) إِنَّا كَاشِفُوا الْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ (15) يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى إِنَّا مُنْتَقِمُونَ (16))[5]

---

[1] سورة الفتح ، الآية 27.

[2] سورة الفتح ، الآية 01.

[3] سورة القمر الآية 45.

[4] أبو زيد عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد السيوطي، الدر المنثور في تفسير القرآن بالمأثور،دار المعرفة، بيروت ،لبنان،( 1406-1985) ط/1، ج 09 ص 346.

[5] سورة الدخان ، الأية 10 - 16

والبطشة الكبرى[1] هو يوم بدر، لقد حقق ذلك كله فأصيبوا بالقحط حتى أكلوا العظام وجعل الرجل ينظر إلى السماء فيرى بينه وبينها كهيئة الدخان من شدة جوعه وعطشه.

-النبوءة بمقتل الوليد بن المغيرة المخزومي:

-يقول الله تعالى في حق الوليد بن المغيرة المخزومي: ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ (10) هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ (11) مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ (12) عُتُلٍّ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ (13) أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ (14) إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ (15) سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ (16)﴾[2]

فقد كان المشرك العدو اللذوذ للإسلام يتمادى في غيه وعناده، فأتى يوم بدر لمحاربة المسلمين فأصيب بضربة سيف على أنفه فأردته قتيلا، وهو الذي نزلت فيه هذه الآيات.

-الإخبار بموت أبناء النبي صلى الله عليه وسلم :

أنزل الله سبحانه وتعالى على نبيه صلى الله عليه وسلم ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا (40)﴾[3] وقد تحقق هذا النبأ الغيبي فقد رزق النبي صلى الله عليه وسلم إبراهيم والطاهر والقاسم وماتوا جميعا قبل أن يبلغوا مبلغ الرجال.

-الإخبار بموت أبي لهب وزوجته كافرين:

---

[1] أبو جعفر محمد بن جرير الطبري،جامع البيان عن تأويل القرآن – تفسير الطبري، تحقيق أحمد شاكر مؤسسة الرسالة، ( 1420 هـ - 2000 م ) ط/ 1، ج22 ص 14.

[2] سورة القلم، الآية 10 - 16

[3] سورة الأحزاب الأية 40.

لقد أخبر القرءان الكريم النبي صلى الله عليه وسلم بموت عمه كافرا، فبالرغم من إسلام الكثير من المشركين الذين حاربوا الإسلام والمسلمين كخالد بن الوليد وعمرو بن العاص وغيرهم إلاّ أبى لهب فإنه أبى أن يسلم هو وزوجته ولو نفاقا، فجاء قوله تعالى : (تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ (1) مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ (2) سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ (3) وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ (4) فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ (5))[1]

-إخبار النبي صلى الله عليه وسلم بمن يتربص به من الكفار والمشركين:

بعد أن وصف الكفار النبي صلى الله عليه وسلم بقولهم بأنه شاعر وغيرها من الصفات النابية التي لا تليق بمقام النبوة، إنتقل الكفار إلى نوع آخر من الإذاية، إذ اجتمع رؤوسهم بدار الندوة مجمعين أمرهم على التربص بالنبي صلى عليه وسلم وقتله، فقال أحدهم : (إحبسوه في وثاق ثم تربصوا به المنون حتى يهلك كما هلك من قبله ثم انتظروا موته) فرد الله عليهم بقوله: (أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ (30) قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُتَرَبِّصِينَ (31))[2] ثم جاء يوم بدر فنزل العذاب بالسيف على هؤلاء المتربصين وحفظ الله نبيه صلى الله عليه وسلم.

-إخبار القرءان بكذب وعود المنافقين لليهود:

وعد المنافقون بزعامة عبد الله بن أبي بن سلول يهود بني قريضة والنضير أن ينصروهم ويخرجون معهم إن أخرجوا ، فأنزل الله تعالى: (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ

[1] سورة المسد، الآية 01-05 .

[2] سورة الطور ، الآية 30 – 31.

قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (11) لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِنْ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُونَهُمْ وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنْصَرُونَ (12)) [1]

وفي هذا الإخبار دليل على صحة النبوة لأنه إخبار بالغيب، حيث قاتل النبي صلى الله عليه وسلم يهود بني قريضة وبني النضير وأخرجهم، وجاء الدليل على صحة الإخبار بخذلان المنافقين لهم، ويكشف علم الحديث أنباء الغيب وهو نوع طريف كان مخبوءا في الزمن، وحول أعداء الأمة هذا الحق إلى شبهة ولفقوا تهمة إلى دين الله فهم من قال فيهم الله عز وجل: (بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ (39))[2]

ومن أنباء الغيب التي كشف عنها العلم في العصر الحديث، قوله عز وجل : (وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ (30))[3] لقد ردت اليهود على القرءان أنه يقولنا ما لا نقول في كتبنا ولا في عقائدنا لكن التاريخ الحديث كشف إسم عزير لم يكن معروفا عند بني إسرائيل إلى بعد دخولهم مصر واختلاطهم بأهلها واتصالهم بمعتقداتهم الشائعة، واسم عزير هو أوزيرس أو أوزر كما ينطق به القدماء المصريين، وكانوا يعتقدون في عوزر أنه إبن الله حتى صار اليهود يسمون أولادهم بهذا الإسم الذي قدسوه كفرا وضلالا، لقد كشف العلم الحديث هذه الدسيسة التي حاول أعداء الأمة الإسلامية أن يشوهوا من حقيقة القرءان.

---

[1] سورة المنافقون، الأية 11 – 12 .

[2] سورة يونس، الأية 39.

[3] سورة التوبة ، الآية 30.

كما كشف العلم الحديث عن فوائد الصيام الذي توهم البعض من الناس المضرة في هذا الفعل (الصيام) فجاءت الحقيقة وكذبت هذا التوهم حيث كشفت أبحاث طبية عن فوائد الصيام ومن بينها:

تطهير الأمعاء ، التهاب الكلى ، أمراض القلب ، التهاب المفاصل ..إلخ.

كما كشفت العلوم الفزيائية [1] عن ظاهرة طبيعية تكلم عنها القرءان ، حيث قال سبحانه وتعالى : (فَلَا أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ (16) وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ (17) وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ (18) لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ (19))[2] لقد أفادت الأبحاث الفزيائية الضوئية أن للضوء إذا لاقى جسما ما ترتبت عنه الأحوال التالية:

أولا: إذا كان الجسم شفافا ذا شكل معين كالموشور فإن الضوء يجتاز الجدسم بعد أن ينكسر عن خط سيره الأصلى بزاوية معينة [3] ومن المعلوم أن الضوء أبيض كضوء الشمس ليس ضوء واحدا ، بل هو مركب من عدة ألوان مندمجة معا ، فعندما يقع على جسم شفاف كالموشور فإن ظاهرة الإنكسار تجعله يتحلل إلى ألوانه الأصلية ، أدناها الأحمر وأعلاها البنفسجى، وهو ما يحدث تمام لضوء الشمس حين يلاقي قطرات الماء التي في الغيوم فيتحلل إلى ألوان قوس قزح المعروف وهو ما يسمى بالطريق الشمسي.

ثانيا : إذا لم يكن الجسم شفافا وكان عاتما فهو إما يمتص الضوء بكامل ألوانه عندما يكون الجسم أسود ، وإما أن يعكس الضوء بكامل ألوانه عندما يكون الجسم أبيض ،

[1] عادل عبد الله القاقلي،كشوف جديدة في إعجاز القرءان،دار الثقافة والتوزيع،القاهرة،مصر(1427-2006)،ط1،ص30.

[2] سورة الانشقاق، الآيات 15- 19.

[3] عادل عبد الله القاقلي،كشوف جديدة في إعجاز القرءان،دار الثقافة والتوزيع،القاهرة،مصر(1427-2006)،ط1،ص31.

وإما يعكس بعض الألوان ويمتص البعض الأخر فيظهر لنا باللون الذي يعكسه ، أي أن الظواهر الضوئية ثلاث: إنكسار ومعه تحلل ، وامتصاص ، وانعكاس.

والآيات القرءانية الكريمة تشير إشارات واضحة إلى هذه الظواهر الثلاث،وبهذا الترتيب:

أ -إنكسار الضوء وتحلله (فَلَا أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ) إن الشفق الأحمر اللون هو حادثة ضوئية ناتجة عن إنكسار أشعة الشمس بعد الغروب بسبب تعرضها إلى طبق الهواء الشفافة ، فيتحلل ضوء الشمس إلى ألوانه المتعددة ، فيكون الضوء الأحمر أقلها إنكسارا ، لذلك يكون أقرب إلى الأرض من الألوان الأخرى التي تنكسر مبتعدة كثيرا عن الأرض فلا نراها بينما نرى اللون الأحمر وهو الشفق ، فالآية تشير إلى إنكسار الضوء وتحلله.

ب - إمتصاص الضوء (وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ):

فالليل أسود لأن الألوان جميعا تنعدم فيه لغياب أشعة الشمس ، واللون الأسود إشارة واضحة إلى إمتصاص الألوان.

ت - إنعكاس الضوء (**وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ**):

إن الشمس منبع ضوئي مولد للضوء ، بذاته، أما القمر فلا يولد الضوء ، وإنما يتلقى الضوء من الشمس فيعكسه إلى الأرض ، وخاصة عندما يكون بدرا (إذا اتسق) وهذه إشارة واضحة إلى ظاهرة الإنعكاس الضوئي.

إن إشارة القرءان الكريم واضحة إلى الظواهر الفزيائية الضوئية التي لم تتشف إلى في العصور الأخيرة.

يرى علماء الاجتماع وعلى رأسهم مالك بن نبي[1] أن من بين مظاهر الإنحطاط في المجتمع طغيان عالم الأشخاص وعالم الأشياء على الصعيد النفسي والأخلاقي والفكري وأن يقيم الفرد في ضوء الأشياء التي يملكها ويقيم الكتاب مثلا بعدد الصفحات، كما يعاني من طغيان الأشخاص وفي ذلك خطر كبير إذ أن أخطاء الشخص الذي يتجسد فيه المثل الأعلى يحسب على المجتمع الذي جعل منه المثل الأعلى والقدوة، وأن جميع إنحرافاته تقع نتائجها على هذا المجتمع .

ويرى مالك بن نبي أن استبدال لمشكلة الأفكار يشكله الأشخاص قد يلحق ضررا كبيرا بالفكرة الدينية الإسلامية عندما تجسدت في أشخاص لم يكونوا أهلا لحلها، ولذلك يقول مالك بن نبي : (نجد القرءان الكريم يحذر المسلمين من خطر هذا التجسيد عندما قال الله تعالى: (وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ)[2]. وكان المقصود بذلك بيان خطورة تجسيد الأفكار في شخص معين إذ في غياب الفكرة يظهر الوثن أو الصنم ، وقد حققت مقاومة الفكر بالوثن أو الصنم نجاحا باهرا في الخدع السياسي التي مارسها في بلادنا مستغلا الأشخاص مفكرين أنفسهم وفي حال طغيان مقياس الأشياء على مقياس الأفكار في المجتمع فإن هذا مؤشر للتخلف والانحطاط)[3].

---

[1] نورة خالد السعد ،التغير الاجتماعي في فكر مالك بن نبي،دار السعودية للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة السعودية ( 1418-1997) ط/1، ص90.

[2] سورة آل عمران ، الآية 144.

[3] مالك بن نبي، مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، ترجمة د/ بسام بركة، دمشق، دار الفكر، (1409-1988) ط 1، ص 105.

# الفصل الثاني

## الغيب والإعجاز في القرآن الكريم:

**المبحث الأول: الغيب والإعجاز البلاغي.**

**المبحث الثاني: الغيب والإعجاز العلمي.**

**المبحث الثالث: الغيب والحديث الشريف.**

لقد رافقت فكرة الإعجاز في القر آن الكريم منذ نزول أول آية على المصطفى صلى الله عليه وسلم وهي قوله تعالى ( اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ( 1) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ( 2) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ( 3) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ( 4) عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ)[1] .

لقد بينت هذه الآيات ثقل الوحي على المصطفى صلى الله عليه وسلم فهو لم يكن يعرف قبلها القراءة ولا الكتابة ولا التعليم...لذلك تلقى هذه الآيات في وجل وخوف لشدة وذعر لشدة وقعها على سمعه وقلبه ( إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا(5))[2] فهو النبي المهيأ لتلقي الوحي من علاّم الغيوب وهي في حقيقتها غيب، بل هي كل الغيب لأنها تأمر بالإيمان بالله تبارك وتعالى والاستعانة به في سائر الأعمال فهو الذي خلق الإنسان وعلمه ما لم يعلم والوجوه المتعلقة بالإعجاز في القرءان الكريم منها ما يرجع إلى طبيعة الجملة العربية التي خرجت عن المعهود من نظام جميع كلام العرب، بحيث أصبح لها أسلوب خاص في النص القرآني تتميز به عن نظيرتها في الكلام العربي الفصيح ، وذلك أن الجملة القرآنية لها وقع خاص وطريقة معينة في النظم والسبك، فالكلمات في الأية يأخذ بعضها بطرف بعض لا انفصام بين أجزائها ولا تفاوت بين أطرافها، والكلام البليغ مهما علت درجته وتعلقت همته بأسباب البيان فإنه لا محالة تعتريه الهفوات والسقطات وتطرأ عليه الهنات والغلطات، والقرءان مترّه عن ذلك، متعـــال في جميـــع

[1] سورة العلق ، الآية 01 – 05 .

[2] سورة المزمل ، الآية 05 .

أطرافه لذلك قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا (82)﴾[1].

والقرآن معجز في محتواه أيضا، بل إن إعجازه الموضوعي هو المعول عليه، وذلك لأن الفصاحة والبلاغة ارتبطتا بزمن معين محدود بفترة العصر الجاهلي وصدر الإسلام تقريبا، وأما الإعجاز المتصل بالمضمون فباق على مر العصور واختلاف الأحوال ومن هذا النوع الإعجاز المتصل بما أخبر به القرآن الكريم من الأمور الغيبية، بل لقد جعل القرآن الكريم الإيمان بالغيب أساس الإيمان بكل ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم قال تعالى: ﴿الم (1) ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ (2) الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (3)﴾[2] فالإيمان كله مبد أه الإيمان بالغيب، بالله وملائكته وكتبه ورسله وباليوم الآخر وبالقدر خير وشره ...وعطف عليه بإقامة الصلاة، لأن الصلاة قائمة على أساس الغيب أي على التلفظ بما يدل على التوحيد والاعتقاد في الله بأنه الواحد الأحد الأكبر (الله أكبر ...).

ولقد حصر الباقلاني[3] الوجوه التي ثبت بها الإعجاز في ثلاثة أوجه[4]:

---

[1] سورة النساء ، الآية 82 .

[2] سورة البقرة، الآية 01 إلى 03 .

[3] القاضي الباقلاني (338 – 403 ه = 950 – 1013 م) هو محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر، أبو بكر: قاض، من كبار علماء الكلام.انتهت إليه الرياسة في مذهب الأشاعرة.ولد في البصرة، وسكن بغداد فتوفي فيها.كان جيد الاستنباط، سريع الجواب.وجهه عضد الدولة سفيرا عنه إلى ملك الروم، فجرت له في القسطنطينية مناظرات مع علماء النصرانية بين يدي ملكها.من كتبه إعجاز القرآن الإنصاف ومناقب الأئمة ودقائق الكلام والملل والنحل وهداية المرشدين و الاستبصار وغيرها، أنظر الأعلام للزركلي ج 06 ص 176.

[4] أبو بكر محمد بن الطيب بن محمد البقلاني، إعجاز القرءان، تحقيق سيد أحمد صقر، دار المعارف، مصر 1383-1963 ص 34 – 35.

-الوجه الأول: يتضمن الإخبار عن الغيوب، وذلك مما لا يقدر عليه البشر، ولا سبيل لهم إليه ...

-الوجه الثاني: ويتضمن الإخبار عن أحوال الأزمنة المتقدمة منذ آدم عليه السلام وابتداء خلقه ثم قصص الأنبياء من بعده وكبريات الأحداث التي وقعت لهم مع أقوامهم و لم يكن ذلك معروفا لدى العربي في الفترة التي نزل فيها القرآن الكريم، ولا كان محمد صلى الله عليه وسلم يقرأ ويكتب ويدرس قبل نزول الوحي عليه، لذلك قال الله تعالى ( وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ (48))[1].

-الوجه الثالث :أنه بديع النظم عجيب التأليف ،متناه في البلاغة إلى الحد الذي يُعلَمُ عجزُ الخلق عنه ...

والملاحظ أن علماءنا القدماء الذين تحدثوا عن الإعجاز في القر آن الكريم لم يكونوا يريدون فقط الجانب البلاغي منه كما هو الحكم عليهم شائع عندنا اليوم وإن كان هذا الجانب البلاغي اللغوي هو الذي انسلكت فيه أغلب رسا ﷺم وآرائهم ،ولكنهم في الراجح اتخذوا البلاغة عنوانا لسائر أوجه الإعجاز الأخرى سواء ما اتصل منها بالأمور الغيبية الماضية منها والآتية كأخبار الأمم السابقة وقصص الأنبياء، أو ما سيأتي من حساب وجزاء في الدار الآخرة أو ما اتصّل منها بالتشريعات وإقامة الحدود وتنظيم المجتمعات وغيرها ..... فالبحوث في مجال الإعجاز البلاغي اتخذت آفاقا واسعة لترسم معالم حضارة جديدة هي

[1] سورة العنكبوت، الآية 48

الحضارة العربية الإسلامية القائمة على قدسية النص القرآني و اتخاذه عنوانا للنشاط الفكري العربي الإسلامي، لأن الفكر العربي قبل الإسلام كان يدور نشاطه في مجال محدود رسمته له جملة من العادات والتقاليد الجاهلية ولقد تمثل ذلك في أنماط من السلوك اليومي يتبع قوالب جاهزة لا يتعداها.

أما الفكر العربي في ظل الإسلام فقد أصبح فكرا خلاّقا باحثا مفكرا ، له أسس يرتكز عليها وينطلق منه ا، أعلى هذه الأسس هي الإيمان بوحدانية الله تبارك وتعالى وبمتطلبات هذا الإيمان ويكاد عبد القاهر الجرجاني [1] يقترب من هذه الحقائق التي عبّر عنها الباحثون في الإعجاز، يقول:"أعجزتهم مزايا ظهرت لهمّ في نظمه،وخصائص صادفوها في سياق لفظه،وبدائع راعتهم من مبادئ آيه ومقاطعها، ومجاري ألفاظها ومواقعها، وفي مضرب كلّ مثل ومساق كلّ خبر وصورة كلّ عظة وتنبيه وإعلام ، وتذكير وترغيب وترهيب،ومع كلّ حجة وبرهان، وصفة وتبيان .... بل وجدوا اتساقا بهر العقول وأعجز الجمهور، ونظاما وإلتئاما واتفاقا وإحكاما لم يدع في نفس بليغ منهم – ولو حكّ بيافوخه السماء – موضع طمع حتى خرست الألسن عن أن تدعي وتقول وخلدت القروم فلم تملك أن تصول ... )[2]. هذا ما استخلص عبد القاهر الجرجاني من تأملاته في القرآن الكريم.

---

[1] عبد القاهر الجرجاني (000 - 471 ه = 000 - 1078 م)هو عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني، أبو بكر: واضع أصول البلاغة،كان من أئمة اللغة، من أهل جرجان بين طبرسات وخراسان من كتبه أسرار البلاغة و دلائل الاعجاز و الجمل في النحو، وغيرها، أنظر الأعلام للزركلي ج 04 ص 48 .

[2] أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني، دلائل الإعجاز، تحقيق السيد رشيد رضا ، دار المعرفة، بيروت (1403-1982 ) ص 23.

فالبلاغة إنما هي وجه من الوجوه التي يحصل بها الإعجاز والأداة التي صيغت بها محتويات القر آن الكريم، سواء تعلقت تلك المحتويات بالأحكام والشرائع أو بالمواعظ والعبر أو بأخبار الآخرة ووصف مشاهدها من نعيم أو جحيم في كل ذلك إخبار عن غيوب ما كان الإنسان يدريها ولا يسمع عنها شيئا لولا هذا القرآن العظيم، من هنا فإنه يمكننا أن نقسم ما جاء في القر آن الكريم من كلام عن الغيوب إلى ثلاثة أقسام :

1. قسم لا يعلمه إلا الله كقيام الساعة والبعث وكيفي ة الخلق والقضاء والقدر والحكمة من العبادات قولا وعملا وكذا الحكمة من تحديد أوقاتها، ومهما اجتهد العلماء في ذلك فإنهم ولاشك لا يعلمون إلا قليلا منها، لذلك قال ابن جني [1] وهو يتحدث عن علل الفقه"وليس كذلك حديث علل الفقه، وذلك إنها إنما هي أعلام وأمارات لوقوع الأحكام، ووجوه الحكمة فيها خفية عنّا غير بادية الصفحة لنا، ألا ترى أن ترتيب مناسك الحج وفرائض الطهور وغير ذلك إنما يرجع في وجوبه إلى ورود الأمر بعمله ... "[2] .

2. وقسم من الغيوب قرّبه القر آن الكريم إلى أفهام العباد بأوصاف مشابهة لنظائره في الدنيا كأوصاف الجنة والنار والحساب والعقاب وأحوال المؤمنين ومهاوي المشركين، ولقد حاول علماء التفسير قديما وحديثا أن يقربوا هذه

[1] ابن جني (392 هـ = 1002 م) هو عثمان بن جني الموصلي، أبو الفتح: من أئمة الأدب والنحو، له شعر. ولد بالموصل وتوفي ببغداد، عن نحو 65 عاما.وكان أبوه مملوكا روميا لسليمان بن فهد الازدي الموصلي ، من تصانيفه رسالة في من نسب إلى أمه من الشعراء وشرح ديوان المتنبي والمبهج في اشتقاق أسماء رجال الحماسة، والمحتسب في شواذ القرآآت، وسر الصناعة الأول منه في اللغة، والخصائص وغيرها أنظر الأعلام للزركلي ج 04 ص 204.

[2] أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي، الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان (1385-1965)، ج 01 ص 48.

المعاني إلى أذهان الناس مستعينين بالصور البيانية التي صيغت بها تلك المعاني والمضامين، مثلما فعل الزمخشري قديما، والشعراوي وسيد قطب وبكري شيخ أمين حديثا،الذي يتوقف عنه قوله تعالى :(أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ ( 12))[1] فيقول:"إنّ من يغتاب الآخرين كمن يأتي إلى ميت خترت روائحه، وامتلأ بالدود لحمه،وسالت منه الأقذار من كل ثغرة وفتحة في جسده، فاقتلع منه جانبا، وراح يقتطع من لحمه قطعا فينهشها ثم يعلكها وطبيعي أن حيوانا يأنف من هذه القاذورات، فكيف بالإنسان الذي كرّمه الله وأعلى مكانه، وما المغتاب إلاّ كناهش لحوم الموتى.."[2].فانظر إلى بشاعة هذه الصورة، وكيف صوّرها القرآن الكريم تصويرا بليغا يوفى بالمعنى المقصود، وهو بشاعة فعل الفتنة وسوء عاقبة المغتاب، وقد جاءت في صيغة سؤال (أيحب أحدكم ....) لا ينتظر منه الجواب لأنه يفيد النفي مسبقا، وذلك كأن تقول للرجل:أترضى أن يهينك أحد أو يُذلك و أنت تعلم مسبقا أنه لا يرضى لنفسه الإهانة أو الذّل فما الفائدة من السؤال إذّن ؟ الجواب عن ذلك : أن هذه الآية قد تقدمها نهي الله تعالى لعباده عن أن يسخر بعضهم من بعض، أو يلمز بعضهم بعضا بما لا يرض ى من الألقاب ، ومن يفعل ذلك فكأنما يأكل لحم أخيه ميّتا، وما دام المرء لا يستطيع أكل لحم أخيه ميّتا لما أجمع فيه من قذارة ونتن وغيرهما، فالأولى له أن يكّف عن الغ يبة، ويتقي الله، فالجزاء الذّي يناله المغتاب غائب عنّا لا ندريه ولا نعرف كيف يكون يوم القيامة،

[1] سورة الحجرات، الآية 12 .

[2] بكري شيخ أمين ،التعبير الفني في القرءان، دار الشروق، بيروت، (1400-1980) ،ط/04 ، ص 293.

فالوجه الحقيقي غائب عنا وغير بادي الصفحة لنا، ولكن الأية الكريمة نقلت لنا هذه الصورة الغيبية إلى صورة حسيّة قريبة من أذهاننا .

وأما القسم الثالث من الغيب: فيتعلق بأمور سبقت زمان الرسول صلى الله عليه وسلم، فأخبر القرآن الكريم بها الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم كما هو الشأن في قصص الأنبياء وأخبار الأمم السابقة، ومن ذلك أمور أخبر عنها القرآن الكريم و لم تحدث بعد، ولكنها حدثت فعلا، وبكل هذه الأقسام حصل التحدي والإعجاز في أسلوب بليغ لا يضاهى وطريقة من الرصف والسبك لا تقارن بغيرها من أساليب العرب يومئذ، فانظر إلى قوله تعالى:(وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى (1) مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى (2) وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى (3) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى (4) عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى (5) ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى (6) وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى (1) مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى (2) وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى (3) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى (4) عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى (5) ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى (6))[1] توالت هذه الآيات في نسق من التعبير عجيب في أسلوبه وبلاغته، تشابهت فواصلها بحيث يمتد معها النفس صاعدا صعود معانيها وتواصلها، ثم أنها احتوت على معان (عظيمة) لها علاقة بما كان يدور في تلك البيئة الجاهلية، ولقد كان المعاندون من المشركين، كلما نزل شيء من القرآن ازدادوا عنادا وطغيانا، وأخذتهم العزة بالإثم، وتعالوا وتكبروا، وادعوا أنهم قادرون على أن يأتوا بمثله، ولكنهم في الحقيقة لم يستطيعوا ولو أنهم قدروا على ذلك ما قصروا ولما توانوا حتى أقيمت عليهم الحجة لذلك قالوا: (قَدْ

[1] سورة النجم الآية 01- 06.

سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ( 31)..)[1] وهذا دليل على عجزهم (ولذلك أورده الله مورد تقريعهم، لأنه لو كانوا على ما وصفوا به أنفسهم لكانوا يتجاوزون الوعد إلى الإنجاز، والضمان إلى الوفاء، فلما لم يفعلوا ذلك مع استمرار التحدي وتطاول زمان الفسحة في إقامة الحجة عليهم بعجزهم عنه علم عجزهم، إذ لو كانوا قادرين على ذلك لم يقتصروا على الدعوى فقط)[2].

وآيات النجم السابقة جاءت في سياق من القسم بل السورة كلها ابتدئت بقسم مثل عدد من السور المكية والقسم عند العرب كثير الاستعمال في كلامهم ، فقد كانوا يقسمون بالعمر والسيف والرمح والفرس وغير ذلك، واستعمالات القرآن الكريم للقسم متنوعة ومتعددة فقد أقسم الله تعالى في كتابه العظيم بذاته الجليلة وبأشياء كثيرة من مخلوقات، كالجبال والشمس والقمر والنجم والليل والنّهار وغيرها، كما أقسم مرة واحدة بنبيه محمد صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى: (لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ (72))[3].

ولفظ القسّم مأخو ذ من القسامة وهي الجماعة يحلفون على الشيء ويأخدونه لذلك يقال: حكم القاضي بالقسامة أي بالأيمان[4].و لعلّ حاجة العرب إلى تأكيد مخاطباتهم بعضهم بعضا هي التي دعت إلى إيجاد هذا النوع من الأساليب في كلامهم لأن القسّم يفيد التوكيد والاطمئنان، ومعناه ما تعلق بالهمّة

[1] سورة الأنفال، الآية 31 .

[2] الباقلاني، إعجاز القرءان ص 43.

[3] سورة الحجر، الآية 72 .

[4] المنجد في اللغة والأعلام، دار المشرق، بيروت، لبنان،(د ت) ، ط 21 ص 629.

وصدق العزم، والذي لا يصدق في قسمه ليس له عهد ولا ذمة ولا مروءة وفي آيات النجم السابقة أقسم الله تعالى بالنّجم حالة هويه على نفي الضلال والغواية عن رسوله الكريم، ثمّ عطف عليه بنفي الخطأ والهوى عنه في قوله الذّي هو الوحي المترّل عليه وليس له فيه أيّ تصرف أو تبديل أو تغيير، وإنما ينطق به مثلما أوحى إليه به، والملاحظ أنّ المقسم به في هذه الآيات وهو (النجم) ، ممّا يصيبه الزّوال والاضمحلال والفناء، وفي ذلك إشارة ضمنيّة إلى أنّ كلّ معبود غير الله زائل لا محالة،والمعبود الذي لا يزول ولا يحول ولا يؤثر فيه شيء هو الله تعالى الذي ليس كمثله شيء، ولقد كانت الأقوام قديما تتّخذ معبودات كثيرة كلّها مخلوقة وليست خالقة، ومنهم العرب قبل الإسلام فقد كان منهم من يعبد بعض هذه الأشياء ومنها النجوم لذلك يبيّن الله تعالى في هذه السورة أنّ هذا المعبود (النجم) زائل لا محالة أمّا هذا الوحي الذي يأتي إلى النبّي صلى الله عليه وسلم،فهو الحّق الذي نزّله الحقّ، ليحقّ به الحّق في الاعتقادات والعبادات والمعاملات كما جاء ذلك كلّه في القرآن الكريم و فصّلته السّنة النبويّة الشريفة، والمقسم به في الآية السابقة (النجم) يحتمل دلالات عدّة وعظات شتى منها:

1-أن الله تعالى أقسم بالنجم باعتباره آية كونّية عظمى، وفي ذلك دعوة للإنسان إلى التدبّر والتفكير في خلق الهآ تعالى عموما ومن ذلك ما ورد واضحا مباشرا في الكثير من الآي من مثل قوله تعالى:( أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ( 17) وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ( 18) وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ (19) وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ( 20)...)[1] وقوله تعالى:(وفي أنفسكم أفلا

[1] سورة الغاشية، الآية 17 – 20 .

تبصرون )[1] ، و قوله تعالى : ( سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ...)[2].

فالقسم إذن في هذا الموضع وغيره يدعوا إلى التأمل والتبصّر في هذه الأشياء المقسم بها والتي كان يراها الإنسان ولا يفكر فيها، وفي كيفياتها وحركاتها،ومنافعها أو مضارّها لأنه ألفها بمرور الزّمان، وها هو ذا القرآن الكريم يدعوه إلى تأملها تأمّلا واعيا يقوده إلى الإيمان بالخالق.

2- وإنّ القسم بالنجم هنا حالة كونه يهوي لدليل عند العاقل على أنّ الذي يستحق العبادة لا يعتريه الهوى و الزّوال، و ما دام هذا النّجم ممّن يعتريه الفناء، فلا يعقل أن يعبد، إذ كيف يزول المعبود و يخلق بعده من عبدوه بدون إله .

3- وهناك دلالات بعيدة يمكن استنباطها من خلال هذا السياق القرآني العجيب وهي أنّ ظهور الإسلام و نزول الوحي على محمّد صلى الله عليه وسلم تضاءل أمامه كلّ اعتقاد فاسد لقوله تعالى : (( وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا )[3] و في كلّ ما سبق يثبت الإعجاز للقرآن الكريم في نظمه و محتواه، وتستقيم له الحجّة ويتضّح الدليل أمام العاقل، فلقد أثبت القرآن الكريم الزّوال إلى كلّ اعتقاد فاسد غير مبني على التوحيد، والحق للقرآن الكريم، فالمعبود المقدّس الذي لا يزول هو الله تعالى، ثمّ إنّ هذا الإعجاز البلاغي ينتظم في القرآن كلّه من أوّله على خاتمته في ألفاظه وتركيبه ومعانيه ومضامينه، فانظر إلى قوله

[1] سور الذاريات ، الآية 21 .

[2] سورة فصلت ، الآية 51 .

[3] سورة الإسراء، الآية 81 .

تعالى :(وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ (5) ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (6)وَأَنَّ السَّاعَةَ آَتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ( 7))[1] فانظر إلى هذا النسج العجيب، وهذا الوصف البديع، الذي يبهر العقول، ويحرّك الألباب، ويوقظ الضمائر إلى تأمل هذه المضامين الغيبيّة التي ورد الإخبار عنها في هذه الآيات،ونستطيع أن نميّز هنا المقارنة بين ظاهرتين إحداهما محسوسة ملموسة،والأخرى غيبيّة لا تدركها العقول ولا تتوصل إليها الأفهام ونحن أمام ظاهرتين معا عاجزين عن معرفة كيفية الحدوث والأسباب فكلاهما متصل اتصالا وثيقا بالغيب الذي هو بيد الله تعالى.

[1] سورة الحج، الآية 05-07 .

## الغيب والإعجاز العلمي:

إضافة إلى الإعجاز البلاغي الذي حواه النص الديني هناك الإعجاز العلمي وله صورتان:

1 - الصورة الأولى: هي رؤية الإنسان الأرض هامدة جرداء عارية قاحلة لا نبات فيها و لا اخضرار، حتّى إذا نزل عليها المطر من السماء، أعشوشبت بعد جدب واخضرت بعد يبس ، وانبتت من النباتات ما يعجب النّفوس ويدخل عليها البهجة والسّرور، كلّ ذلك يمثل صورة حسّية طالما ألفها الإنسان مدّة وجوده حيّا، والذي لم يعرفه و لم يحاول أن يتبصّره حتى وقت نزول هذه الآية وهذا هو الجانب الغيبي الذي لا يهتدي إليه العقل عن طريق تعاليم السماء (الدّين) أي أنّ الله تعالى هو الذي أنزل الماء من السماء،لذلك أسند العقل إليه تعالى(أنزلنا)... إنّ هذه الصورة في جانبها الحسّي متصلة بالجانب الغيبي الذي نحن نجهله، فإذا تمّ الإخبار عنه من خلال الآية بأنّ الله هو الذي أنزل عليها الماء فنقلها من حالة اليبس والجدب إلى حالة الاخضرار و الابتهاج، سهل على العقول إدراك حقيقة البعث من غير أن نراها وهذا ما عبّرت عنه الصورة الثانية.

2- الصورة الثانية: هي التي ترسمها الآيات من قوله تعالى: (ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ( 6) وَأَنَّ السَّاعَةَ آَتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ (7))[1] في خمس جمل إسميّة متتابعة مؤكدة كلّها

[1] سورة الحج الأية 06 - 07 .

بإنّ ، والجمّل الاسمية كما يرى علماء اللّغة أنّها حالة على ثبوت الصّفة للموصوف، أي إتصاف الله تعالى بالحقّ وبالقدرة على الإحياء، وتقدير ما يريد ومجيء الساعة وقدرة الله على بعث الخلق للحساب...

وقد صدرت هذه الجمّل الخمس ب ـــ(ذلك) وهو اسم إشارة إلى أنّ المذكور[1] من خلق الإنسان وإحياء النبات شاهد بانّ الله هو الحقّ[2].حتّى إذا تأمّل الإنسان في هذه الأمور العجيبة قاده تأمله إلى الإيمان بأن وراء هذا النظام العجيب الذّي يتحّكم في سنن الكون وقوانينه خالق ومنظم هو الله تعالى الفرد الأحد الذي يسيّر الأمور ظاهرها وغائبها وفق مشيئته وقدرته، فإذا أدرك العقل الإنساني ذلك سهل عليه أن يدرك أيضا ب أنّ الله تعالى قادر على إحياء الموتى ومحاسبتهم، إنّ الصورة الأولى المتمثلة في إحياء الأرض بعد موتها واخضرارها بعد يبسها وتنويع ثمارها وازدهارها بعد أن كانت قاحلة لشبيهة من وجوه بالصورة الثانية الغائبة عن حسّنا ومشاهدتنا وهي إحياء الموتى ومجيء البعث والحساب والملاحظ أنّ آية الخلق السابقة (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ...) [3] فآية الخلق هذه عدّدت الأطوار التي تمرّ بها النطفة في الرّحم إلى أن تستوي بشرا ذكرا أو أنثى

[1] إشارة إلى الآيات التي سبقت وهي قوله تعالى:(يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا) الأية 05 سورة الحج.

[2] ينظر صفوة البيان لمعاني القرءان للشيخ حسنين مخلوف دار الشروق ط/03 ص 424.

[3] سورة الحج ،الأية 05 .

وتزرع فيه الروح، فهذه كلّها غائبة عن حسّنا ومشاهدتنا وتتم في نظام عجيب دقيق: وإن كان علم الطّب في مجال علم (الأجّنة) قد توصل في ضوء الدراسات الحديثة إلى نتائج عجيبة: إلا أن هذه النتائج مبنية على اكتشاف هذه الظاهرة أمّا كيفية حدوثها وأسباب مجيئها على هذا النحو أو ذاك فهو من علم الله: فلا يستطيع الإنسان أن يخلق،والملاحظ أن هذه الآية قد وردت في أسلوب شرط محذوف الجواب، وقد ذكر النحويّون أن حذف الأجوبة يقع في مواقع التفخيم والتعظيم ولعلم المخاطب بها[1].

وهذا كثير في كلام العرب ولعلّه راجع إلى الإيجاز؛والإيجاز من البلاغة وكذلك ذكر الفراء أنّ العرب تحذف جواب الشرط إذا كان معلوما إرادة الإيجاز[2] والشائع عند النحويّين أيضا أن الأصل في جواب الشرط أن يكون مسببا عن الشرط[3]. أي أن الشرط سببا في الجواب، وهذا ما يقتضي في الآية الكريمة أن يكون ارتياب الناس من البعث سببا في أن الله خلقهم من تراب ثم ... ولا يستقيم فهم الآية على هذا النحو ؛ لذلك فإنّ جواب الشرط محذوف؛ وأما قوله تعالى ( فإنّا خلقناكم ...) قائم مقام الجواب ودال عليه وكأنّ التقدير: يا أيها الناس إن كنتم في ريب من البعث ، فتأملوا خلقكم، فإنّ الله خلقكم من تراب ثمّ.. فإذا فكرتم في خلقكم، حيث لم تكونوا شيئا يذكر، ثم مررتم بمراحل

---

[1] د .عبد الفتاح أحمد الحموز ، التأويل النحوي في القر آن الكريم ، مكتبة الرشد ، الرياض ، المملكة العربية السعودية، (1405- 1984) ط/1، ج1 ص633.

[2] أبو زكريا يحيا الفراء، معاني القرءان، تحقيق عبد الفتاح شلبي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة، مصر، ( 1405-1984) ج1 ص 649.

[3] ينظر التأويل النحوي في القرآن الكريم، لعبد الفتاح أحمد، ج1 ص 649.

دقيقة وفق نظام معيّن وإتقان عجيب حتّى أصبحتم على ما أنتم عليه من القوة والقدرة لو فكرتم في هذا كلّه و غيره لسهل عليكم إدراك حقيقة البعث الغائبة عن حسّكم ومشاهدتكم؛ كما كنتم أنتم غائبين عن عالم الحسّ والمشاهدة؛ وحذف جواب الشرط في هذه الآية وفي غيرها؛ أبلغ مقاما وأرفع دلالة من ذكره؛ وذلك لأنه لو ذكر الجواب لوقع الاكتفاء به؛ أمّا حذف وإقامة ما يدلّ عليه مقامه أتاح للكلام أن يطول بحيث ذكرت مراحل الخلق كلها.

فكان ذلك زيادة في العبرة وتقوية في الرّدع و قرع أسماع الجاحدين بكلام ما هم قادرون على ردّه أو إيجاد البديل المكافئ له ، كما أنه تثبيت لقلوب المؤمنين وتقوية في إيمانهم بالخالق القدير ، و هكذا فإنّ ظاهرة الغيب في القرآن الكريم تعمّق فكرة الإعجاز؛ ولقد درس علماؤنا القدماء الإعجاز في القرآن الكريم مقرونا بالجانب البلاغي، و إن كان الإعجاز يأخذ اتجاهات شتى و يتشعب بحيث يتناول أمورا كثيرة سواء تعلقت بالجانب اللّغوي أو الكوني أو العلمي وغير ذلك ؛ إلا أنّ الجانب البلاغي هو النسق الذي صيغ فيه الإعجاز واللّون المهيمن على أسلوب القرآن كلّه؛ وانظر إلى قوله تعالى :(لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ (40) )[1] لقد تطورت وسائل العلم الآن واتسعت مجالات التخصصات و تفرّعت؛ فكان منه علم الفلك، الذي يبحث في الظواهر الكونية ويسعى إلى تعليلها ومعرفة كيفية حدوثها وما زالت البحوث جارية(الشمس والقمر يتحركان، و لكلّ منهما

[1] سورة يس، الآية 40 .

حركته الخاصّة فكل منهما له مساره، وله زمن معيّن لحركته، وهناك نهاية لهذه الحركة في مكان يعلمه الله سبحانه و تعالى) [1].

لذلك جاء في القرآن الكريم ( وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ( 38))[2] ؛ هذه بعض نتائج العلم في هذا المجال ولكنّنا إذا تأملنا الآية السابقة (لا الشمس ...) أو التي بعدها وتوقفنا قليلا عند ألفاظها :(تدرك، سابق، النهار، فلك، يسبحون) لوجدنا لهذه الألفاظ معانيها في الكلام العربي سواء من حيث وضعها اللّغوي وما أطلقت عليه أو باستعمالاتها المجازية الواسعة التي لا يمكن حصرها وإنما تظهر من خلال السياق الكلامي؛ وإنما الذي تغيب عنّا دلالته الدقيقة هو مجيئها في السياق القرآني؛ ومهما حاولنا التعمّق في ألفاظها وسبر أغوارها فلا تظهر إلاّ بأفكار عامة يلفّها الغموض لكنها تبهر عقولنا وتنبه أفكارنا وتحثنا على المزيد من التفكير ومن هنا تنشأ لدينا فكرة الملاحظة التي هي أساس كلّ علم؛ ومن آيات الإعجاز القرآني في أيّ مجال كان، أنّك تجده يتخذ مستويات عدّة بالنظر إلى المتلقي فكلّ دارس ومتأمل في القرآن الكريم يأخذ منه بحسب قدراته الفكريّة ومستواه العلمي ولا يستطيع أن يجزم ويغامر ف يطابق مفهوم الآية لنتيجة علميّة معيّنة مطابقة تامة؛ونحن نعلم أنّ النتائج العلمية في تحولات مستمرة، أما ما جاء به القرآن الكريم فثابت على مرّ الزمان قابل لأن يطابق ما توصل إليه العلم من نتائج مهما تطورت وما ذلك إلى لأن الأسلوب الذي نزل به القرآن معجز، ومن علامات هذا الإعجاز أنه يتميّز بتعدد مستويات

[1] عبدو محمد خير،الكون والنسبية بين القرآن الكريم والنظرية، مكتبة الأسد، دمشق، سوريا (1415- 1994) ص 21.

[2] سورة يس، الآية 38 .

الإقناع وجعلها صالحة لكلّ زمان ومكان؛ ولقد توصّل علم الفلك إلى نتائج باهرة واكتشافات مذهلة وما زال البحث جاريا؛ ومهما تضاربت الآراء وتطورت النظريات أو تناقضت فإن الآية الكريمة باقية في المصحف ثابتة في دلالتها ومضمونها لذاتها بغضّ النظر عن أفهام الناس المتناقضة أو نظريات العلماء المتضاربة، تدعو البصير إلى التأمّل في ملكوت السموات و الأرض وتحثّ الباحثين على المزيد من البحث،فالعبرة في البحث وتعاطي العلم والمعرفة للانتفاع بما سخّر الله لنا في هذا الكون، ولقد أتاح لعقولنا البشرية أمورا تنتفع بها في الدّنيا فسخّرها لنا وأقدرنا عليها سواء بالوسائل العادية التي نملكها أو بوسائل أخرى نابجة عن المعالجة الفكريّة وتعاطي العلم والمعرفة وهذه الجوانب من المعارف هي التي يتبارى فيها البشر ويتنافسون؛ ويستخدمون قدراتهم الفكرية أو ملكاتهم الإبداعية للوصول إليها والسيطرة عليها؛ وهذه كلّها تخضع لفكرة التّسخير التي ذكرها القرآن الكريم في حدود ما يسمح به الإيمان الصحيح وهناك حقائق غيبية دعانا القرآن للإيمان بها، وقد سبقت عقولنا ولا نستطيع أن نتبيّنها انطلاقا من مقدرتنا الفكرية فهي حقائق غيبية مطلقة لا يعلمها إلا الله، فهو خالقها ومقدرها ومؤقتها فهو (عَالِمِ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ( 3)...)[1] وهذه لا تدخل في دائرة العلم البشري المبني على الوصف والتعليل، أو ربط الأسباب بالمسببات... وقد قال النُظَّامُ[2]: (الآية والأعجوبة في القرآن ما فيه من الأخبار عن الغيوب،

[1] سورة سبأ، الآية 03 .

[2] النظام (231 هـ - 845 م) إبراهيم بن سيار بن هانئ البصري، أبو إسحاق النظام: من أئمة المعتزلة، قال الجاحظ: (الأوائل يقولون في كل ألف سنة رجل لا نظير له فان صح ذلك فأبو إسحاق من أولئك).تبحر في علوم الفلسفة واطلع على

فأما التأليف والنّظم فقد كان يجوز أن يقدر عليه العباد لولا أنّ الله منعهم بمنع وعجز أحدثهما فيهم )[1].

وإشارة النّظام هنا إلى أنّ القرآن معجز بما أخبر به من غيوب؛ تجعلنا نتوقف عندها كثيرا؛ لندرك أولا أنّ هذا العالم الجليل لم ينقص من قيمة الإعجاز؛ و لم يهوّن من نظم القرآن الكريم ليدّعي أنه في متناول البلغاء والفصحاء من البشر كما اتهمه من جاء بعده؛ ورأوا في قوله هذا إنقاصا من قيمة أسلوب القرآن ونظمه؛ ولكنّنا إذا تأملنا قوله مليّا نجده من جهة يرى الإخبار عن الغيوب في القرآن أعجوبة لا يستطيع أن يعرفها العقل البشري مهما أوتي من علم فكيف به من جهة أخرى يرى نظمه في مستوى نظم البشر؟ فلا يعقل أن يرى عاقلا الإعجاز في محتوى وينكره في الشكل أو الأسلوب؛ ولكننا نحسب أن النظّام كان يريد أنّ الله تعالى جعل أسلوب القرآن الكريم فوق أساليب البشر، ولو شاء لأقدرهم على أن يأتوا بمثله ولكن حكمته سبقت فلم يركب في طباعهم اللّغويّة تلك القدرة التي أودعها في أسلوب القرآن الكريم ولعل الجاحظ [2] قد فهم هذا

---

أكثر ما كتبه رجالها من طبيعيين وإلهيين، وانفرد بآراء خاصة تابعته فيها فرقة من المعتزلة سميت (النظامية) نسبة إليه.وبين هذه الفرقة وغيرها مناقشات طويلة.وقد ألفت كتب خاصة للرد على النظام وفيها تكفير له وتضليل.أما شهرته بالنظام فأشياعه يقولون إنها من إجادته نظم الكلام، وخصومه يقولون انه كان ينظم الخرز في سوق البصرة.وفي كتاب (الفرق بين الفرق) أن النظام عاشر في زمان شبابه قوما من الثنوية وقوما من السمنية وخالط ملاحدة الفلاسفة وأخذ عن الجميع.وفي (لسان الميزان) أنه (متهم بالزندقة وكان شاعرا أديبا بليغا)له كتب كثيرة في الفلسفة والاعتزال.ينظر الأعلام للزركلي ج 1 ص43.

[1] أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري، مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، مكتبة النهضة، القاهرة ، مصر (1401-1980) ج 01 ص85.

[2] الجاحظ (163 - 255 هـ = 780 - 869 م) عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء،الليثي،أبو عثمان، الشهير بالجاحظ : كبير أئمة الأدب، ورئيس الفرقة الجاحظية من المعتزلة. مولده ووفاته في البصرة.فلج في آخر عمره.وكان مشوه الخلقة. ومات والكتاب على صدره. قتلته مجلدات من الكتب وقعت عليه. له تصانيف كثيرة، منها "الحيوان و البيان والتبيين

الفهم من أستاذه وقد رأى الجاحظ أنّ القرآن معجز بنظمه وتأليفه وأنّ العباد عاجزون عن الإتيان بسورة من مثله، وإن وردت كلمة (الصرفة) على لسانه فإنّما كان يريد بها نوعا من التدبير الإلهي لئلا يكون لأهل الشغب متعلق حين يحاول المعارضة محاول.. "[1] والجدير بالذكر أنّ هذا العصر (عصر النظّام والجاحظ)كثرت فيه النزعات الإلحادية والمذاهب الفاسدة والزندقة،وكانوا يصنعون الآثار ويولدون الأخبار ويظنون في القرآن الكريم ويسألون عن الأمور الدقيقة التي تفتح أبواب الجدال كالمتشابه والخاص والعام وغيرها...[2].

لذلك فإنّ النظام أراد أن يقع على شيء في القرآن لا يستطيع أحد أن يعترض عليه أو يمد يده إليه فكان موضوع الغيب؛وذلك لأنّه يمكن أن تجري الكلمة من القرآن أو الكلمتين أو الثلاث في أسلوب أحد من الناس؛ كأن يقول ؛ سبحان الله... أو بسم الله... أو الله أحد... وكلّها ألفاظ وردت في القرآن و لكنه لا يستطيع أن يحركها في نسق أسلوبيّ على غرار ورودها في القرآن ، فانظر إلى هذه الألفاظ مثلا ، وكلها من كلام العرب ( الله، شهد، الملائكة، أولو العلم، القسط، العزيز، الحكيم ) فهل يستطيع أحد البلغاء أن يصوغها على الشكل الذي جاءت به في قوله تعالى:( شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ

---

وسحر البيان و التاج ويسمى أخلاق الملوك، والبخلاء والمحاسن والأضداد والتبصر بالتجارة و تنبيه الملوك و الدلائل والاعتبار على الخلق والتدبير وغيرها.

[1] عبد العزيز عبد المعطي ، قضية الإعجاز القرآني وأثرها في تدوين البلاغة العربية ، عالم الكتب، (1406-1985) ط/1 ص 155.

[2] أبو العباس محمد بن يزيد المبرد، الكامل في اللغة والأدب ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار النهضة، القاهرة،(د ت) ج2 ،ص 111.

وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ( 18))[1] ابتدأت بالإقرار للّه تعالى أنه الواحد الأحد، وعقب على ذلك بالملائكة المقربين وهم أرواح نورانيّة يطيعون الله ما أمرهم، ثم أولو العلم باعتبارهم أقرب إلى خشية الله من غيرهم ، ثم عقب على ذلك ب(قائما) وهي حال دائمة ملازمة لذات الله تعالى كونه متصفا بالقسط أي العدل والحكمة فيما قدّر وقضى وتختتم الآية بتكرار (لا إله إلا هو) لإفادة دلالة التوحيد والتصرف والإرادة لذاته ، متلوة بـــ (العزيز الحكيم) من العزّة التي بمعنى المنعة، والقوة التي لا تضاهى ولا يطمع أحد في مكافأتها فضلا على مضاهاتها أو محاداتها.... وكذلك في قوله تعالى:(يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ ( 33))[2]. يقول الزمخشري: "إن استطعتم أن تهربوا من قضائي وتخرجوا من ملكوتي ومن سمائي وأرضي فافعلوا، ثم قال: لا تقدرون على النفوذ إلاّ بسلطان يعني بقوة وقهر وغلبة وأنّي لكم ذلك...."[3] .

فللمخاطبون في هذه الآية الجن والإنس ، وقدّم الجن على الإنس ليعلم البشر أنه ربّ العالمين وكل ما في الكون مخلوق له ما يرى وما لا يرى، والبشر منذ القديم يعرفون أمورا عن الجن هذا العالم الخفي وفق معتقداتهم وعاداتهم ويولونها قوة خارقة نافذة في غيرها ومسخرة لها كذلك قدم الجن على الإنس في الآية السابقة ليعلم البشر أن الجنّ أيضا مخلوق لله ، و أنهم مخاطبون بأصول

[1] سورة آل عمران، الآية 18.

[2] سورة الرحمن، الآية 33.

[3] الزمخشري، الكشاف ج 04 ص 47.

الشريعة الإسلامية وفيهم المؤمن والكافر... وربّما كان في الأمم السابقة ومنهم العرب من يعزى إلى الجنّ القوى الخارقة والقدرة على التأثير في المخلوقات البشرية، فقدموا في الآية ليعلم الناس أنّ لا حول لهم ولا قوة أمام عظمة الخالق فشأنهم في ذلك شأن البشر، فهم ضعاف أذلة مفتقرون إلى العفو من الخالق كما البشر؛ لذلك قال تعالى : (... أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ...) أي لو كانت تعلم الغيب لعلمت بموت سليمان عليه السلام قبل أن يسقط أرضا بعد أن تآكلت عصاه التي كان يتكؤ عليها،ولعلّ في قوله تعالى:(فانفذوا ..) أمر مفاده التحدي والتبكيت،وهو إعجاز للجن والبشر على حد سواء:أي أنهم مهما أوتوا من قوة فلن يستطيعوا الخروج عن طاعة الله وسلطانه فهم دائما في دائرة قدرته وجبروته؛ والملاحظ في الآية (من) في قوله تعالى (من أقطار...) و لم يقل (في أقطار...) لأنّ النفاذ في أقطار السموات والأرض يتأتى للبشر بل هو من العلم و الاكتشافات ومن شأنه أن يهدي صاحبه إلى الإيمان والآيات الداعية إلى التأمل والتبصّر كثيرة ... أما النّفاذ من أقطار السموات والأرض أي إلى خارج دائرة هذا الكون هو محلّ التحدي.

وفي باب الإعجاز بالغيب أيضا ورد في القرآن الكريم عن سيّدنا إبراهيم الخليل عليه السّلام؛ عندما رأى قومه يعبدون الشمس والقمر والنجوم والأصنام وأشياء أخرى، فأجرى الله تعالى على لسانه هذا الحوار المبني على الاستدلال المقنع والحجّة الدامغة، وقال تعالى:(أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي

كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (258) أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِئَةَ عَامٍ فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (259) وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (260)).[1]

هذه ثلاث حالات انسجمت في مسلك واحد ونسق واحد .

الحالة الأولى: محاجّة إبراهيم الخليل عليه السلام نمرود الكافر الطّاغية الذي ادّعى القدرة على الإحياء والإماتة؛ بل ادّعى الربوبية، وتطاول بذلك على قومه؛ وأراد أن يحاج إبراهيم عليه، فقال له من ربّك فقال إبراهيم عليه السلام ربّي الذي يحيي ويميت فجاء النمرود برجلين فقتل واحدا وأبقى الآخر حيّا، وقال قد أحييت هذا وأمّت هذا زعما منه أن الإحياء والإماتة هكذا كما فعل أو تجاهلا منه واستعلاء، فما كان من سيّدنا إبراهيم إلاّ أن واجهه بحجة أعظم لا قبل له بردّها إذ قال له (إنّ الله يأتي الشمس من المشرق فأت بها من المغرب) فبهت الله الكافر بهذا التدرج عن طريق الإستدلال والانتقال بالحجّة إلى ما هو

[1] سورة البقرة ،الأية من 258 – 260.

أقوى منها لإفحام الخصم وبهته (فإذا قيل لم انتقل إبراهيم عليه السلام عن دليله الأول إلى هذا الدليل الثاني، والانتقال علامة الانقطاع؛ فالجواب أنه لم ينقطع ولكنّه لما ذكر الدليل الأوّل وهو الإحياء والإماتة كان له حقيقة، وهو فعل الله ومجازا فهو فعل غيره، فتعلق نمرود بالمجاز غلطا منه ومغالطة، فحينئذ أنتقل إبراهيم إلى الدليل الثاني لأنه لا مجاز له )[1].

وقد يكون الأمر أن النمرود بطغيانه وجبروته قد عمي عن الحقيقة و اغتر بقوته وهوّن من الأمور بالقدر الذي يجعله يزداد اغترارا ومن عادة الطاغية الجبار أن يستبد به الجهل فكان في عقله يرى الإحياء والإماتة على النحو الذي فعله أمام إبراهيم الخليل من قتل رجل وإبقاء الآخر حيّا فكأنه أحياه، وختمت هذه الصورة الأولى بقوله تعالى:( والله لا يهدي القوم الظالمين) لتطابق المحتوى وهو تمادي النمرود في طغيانه بعد بطلان حجّته، ومن تمادى في الكفر والطغيان خرج من هداية الله، وليس المعنى أنّ الذي يظلم لا يهديه الله، فباب الهداية والمغفرة مفتوح، وكم من ظالم تاب وأناب ولكن المعاند المتمادي في الظلم والطغيان ما زال في ابتعاد عن الله إلى أن يكتب عند الله من أهل النار، فكأنه خرج عن الهداية لذلك قال تعالى: (والله لا يهدي القوم الظالمين) .

الحالة الثانية:عطف على الصورة الأولى لأنّها في السياق نفسه سياق الحديث عن الإحياء والإماتة؛ وبدأت بقوله تعالى:(أو كالذي...) (أي أو رأيت مثل الذي مرّ على قرية )[2] ويذهب أغلب المفسرين إلى أنه عزير أراد أن يعاين إحياء

[1] محمد بن أحمد بن جزي الكلبي، كتاب التسهيل لعلوم التنزيل ج 01 ص 90.

[2] حسنين محمد مخلوف صفوة، البيان لمعاني القرآن، ص63.

الموتى ليزداد بصيرة كما طلب إبراهيم عليه السلام من ربّه كيفية إحياء الموتى ليطمئن قلبه[1] فجعله الله عبرة إذ أماته مئة عام ثمّ أحياه و لم تؤثر فيه تلك السنون الطويلة فكأنه لم يلبث إلا يوما أو بعض يوم؛ فأراه الله كيف تلتئم العظام وتعود إلى أماكنها من الجسم وتكسى باللّحم وتزرع فيها الحياة من جديد، كذاك البعث وليس ذلك على الله بعزيز وتنتهي هذه الصّورة بقوله تعالى: (قال أعلم أنّ الله كلّ شيء قدير) دلا لة على إيمانه وعلى أنّ سؤاله (أنّى يحيي هذه الله بعد موتها) ليس هو سؤال الكافر أو المتعجب وإنما سؤال من يريد الاستزادة في الهدى والإيمان، لذلك قال أعلم... كذلك تقديم المفعول في( أنّي يحيي هذه الله...) فيه إشارة إلى الاهتمام بآية الإحياء وليس في قدرة الله على الإحياء لأنّ منظر القرية الخاوية على عروشها، المهدّمة جدرانها بعث فيه الاستشهاد وبعظمة الخالق فتاقت نفسه إلى معاينة الإحياء تقرّبا من الله وتوددا إليه فكان أن جعله الله آية هو نفسه.

الصورة الثالثة: وهي قوله تعالى :(وإذ قال إبراهيم ...إلى قوله تعالى:وأعلم أنّ الله عزيز حكيم) يرى المفسرون أنّ هذه الصورة مرتبطة بالصورة الأولى وذلك أنّ النمرود عندما قتل رجلا وأبقى الآخر حيّا قال لإبراهيم عليه السلام قد أمتّ ذلك و أحييت هذا ، قال له إبراهيم فإنّ الله يحيي بأن يردّ الروح إلى جسد ميّت فقال له النمرود هل عاينت هذا الذي تقوله و لم يقدر أن يقول نعم رأيته فتنقل إلى حجّة أخرى وهي قوله : (إنّ الله يأتي بالشمس...) ثم سأل ربّه إحياء الميّت لكي يطمئن قلبه عند الاحتجاج، فإنّه يكون مخبرا عن مشاهدة وعيان فكان قوله

[1] المصدر نفسه، ص 63 و64.

تعالى: (قال فخد أربعة من الطير...) وذكروا أيضا أنّ ملك الموت جاءه فأخبره أنّ الله اتخذه خليلا فحمد الله عزّ وجلّ وقال ما علامة ذلك ؟قال أن يجيب الله دعاءك ويحيي الموت بسؤالك .. فقال إبراهيم (ربي أرني كيف...) [1] وإذا تأملنا خاتمة هذه الصورة نجدها ختمت بقوله تعالى (وأعلم أنّ الله عزيز حكيم) وهو فعل أمر صريح موجّه إلى إبراهيم الخليل عليه السلام: ليس من باب التأنيب أو العتاب، وإنما من الاستزادة في الإيمان والتقرب من الله تعالى؛ وذلك بعدما أراه ربّه تلك الآيات العظمى و في هذا السياق ما نجده على لسان ابراهيم عندما جنّ عليه الليل (فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآَفِلِينَ (76) فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ (77) فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ( 78) إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ( 79) )[2] لقد أراه الله ملكوت السموات والأرض وهداه إلى توحيد الله وأجرى على لسانه الحكمة والحجّة البالغة التي واجه بها قومه إذ كانوا يعبدون الشّمس والقمر والنجوم وغيرها... (فأراد أن ينبههم على الخطأ في دينهم و أن يرشدهم إلى طريق النظر والاستدلال، ويعرفهم أنّ النظر الصحيح مؤد إلى أنّ شيئا منها لا يصحّ أن يكون إلها لقيام دليل الحدوث فيها...) [3] لذلك يبدوا من ظاهر الآيات أنه ج ـــارى

[1] الواحدي، أسباب النزول، تحقيق عصام الحميداني، مؤسسة الريان، بيروت ، لبنان،( 1411-1990)، ط/1، ص51 - 52.

[2] سورة الأنعام، الآية 76 - 79.

[3] الزمخشري، الكشاف، م 02 ، ص 31.

قومه في كفرهم لينتقل بهم من حالة إلى حالة في أسلوب تدرجي استدلالي من غير تعصّب ولا تشدّد مبتدئ بالكوكب الذّي يبدوا بالعين المجردة أصغر من القمر ثم القمر الذي يبدوا أصغر من الشّمس ليبيّن لهم أنّ المعبود لا يطرأ عليه طارئ يغيّره من حال إلى حال ولا يعتريه الأفول،لذلك قال:(يا قوم إنّي برئ ممّا تشركون ) فألزمهم الحجّة وعلّمهم أنّ المعبود لا تناله الأبصار (إني وجهت وجهي للذي فطر السموات و الأرض) وما فيها من قمر وكواكب وشمس هذه طريقة ناجعة في الاستدلال وهي الانتقال بالخصم المعاند من حالة إلى حالة ومجاراة أقواله ظاهرا للوصول معه إلى المنطق السديد و الرأي الصحيح الذي لا يوجد ما يبطله أو يزيل حجّته فإبراهيم عليه السلام لّما أراد أن يحاج قومه وهم يعبدون هذه الأشياء المذكورة في الآية لم يدعهم مباشرة إلى الإيمان بالله لأنّ ذلك أمرا من أمور الغيب لا تتوصل إلى عقولهم و لا يقوم عندهم عليه وجه من الاستدلال العقلي، فكان أن ابتدأ محاجتهم بأمور محسوسة يرونها و يبصرونها ، فلمّا نبههم إلى خطأ اعتقادهم فيها لم يطرأ عليها من تبدّل أحوال و انتقال من حالة إلى حالة قال لهم (إني وجهت للذي فطر السموات والأرض) أي الذي لا يأفل ولا يزول، أي الذي خلق كلّ هذه الأشياء بما فيها معبوداتهم هذه .

## الحديث الشريف والغيب:

ومن جملة الأحاديث الدالة على نبوة المصطفى ρ ما صح من إخباره عن الغيب سواء منه ما مضى ، أو ما هو آت ؛ ووقع كما أخبر عنه ρ ،مصداقا لقول الله عز وجل:{وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى (3) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى (4) }[1]

فمن ذلك حديثه في غزوة بدر :

عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ τ : قال:كُنَّا مَعَ عُمَرَ بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ ثُمَّ أَنْشَأَ يُحَدِّثُنَا عَنْ أَهْلِ بَدْرٍ فَقَالَ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ρ كَانَ يُرِينَا مَصَارِعَ أَهْلِ بَدْرٍ بِالْأَمْسِ يَقُولُ هَذَا مَصْرَعُ فُلَانٍ غَدًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ قَالَ فَقَالَ عُمَرُ فَوَالَّذِي بَعَثَهُ بِالْحَقِّ مَا أَخْطَئُوا الْحُدُودَ الَّتِي حَدَّ رَسُولُ اللَّهِ ρ [2]

وهذا من صدق وعد الله لنبيه ρ قال تعالى:{وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ }[3].

---

[1] سورة النجم، الأية 3 – 4

[2] صحيح مسلم، كتاب الجنة (53)، باب عَرْضِ مَقْعَدِ الْمَيِّتِ (17) حديث رقم:2873 ج11، ص 86-70.

[3] سورة الأنفال، الآية: 7 ــ 8

ومن أمثلة حديثه عن الغيب ما رواه مسلم في غزوة تبوك أنه ρ قال لمعاذ بن جبل :يُوشِكُ يَا مُعَاذُ إِنْ طَالَتْ بِكَ حَيَاةٌ أَنْ تَرَى مَا هَاهُنَا قَدْ مُلِئَ جِنَانًا[1].

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَكْثُرَ الْمَالُ وَيَفِيضَ حَتَّى يَخْرُجَ الرَّجُلُ بِزَكَاةِ مَالِهِ فَلَا يَجِدُ أَحَدًا يَقْبَلُهَا مِنْهُ وَحَتَّى تَعُودَ أَرْضُ الْعَرَبِ مُرُوجًا وَأَنْهَارًا[2].

ومن ذلك حديثه عن كسرى ملك الفرس ،وكيف قابل رسول رسول الله ρ ،ثم أخبر أن الله سيمزق ملكه ويقتله فكان كما أخبر الصادق المصدوق ρ ابْنَ عَبَّاسٍ:أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعَثَ بِكِتَابِهِ إِلَى كِسْرَى مَعَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حُذَافَةَ السَّهْمِيِّ فَأَمَرَهُ أَنْ يَدْفَعَهُ إِلَى عَظِيمِ الْبَحْرَيْنِ فَدَفَعَهُ عَظِيمُ الْبَحْرَيْنِ إِلَى كِسْرَى فَلَمَّا قَرَأَهُ مَزَّقَهُ قَالَ فَدَعَا عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يُمَزَّقُوا كُلَّ مُمَزَّقٍ[3]

ومن ذلك قوله: إِذَا هَلَكَ كِسْرَى فَلَا كِسْرَى بَعْدَهُ وَإِذَا هَلَكَ قَيْصَرُ فَلَا قَيْصَرَ بَعْدَهُ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتُنْفَقَنَّ كُنُوزُهُمَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ[4]

---

[1] المصدر نفسه، كتاب الفضائل (43)، بَاب فِي مُعْجِزَاتِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (3) الحديث رقم 706، ج10، ص 60-75.

[2] المصدر السابق، كتاب الزكاة (12) بَاب التَّرْغِيبِ فِي الصَّدَقَةِ قَبْلَ أَنْ لَا يُوجَدَ مَنْ يَقْبَلُهَا (18) حديث رقم 157، ج4، ص91-27.

[3] البخاري، صحيح البخاري ،كتاب المغازي (64) ،بَاب كِتَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى كِسْرَى وَقَيْصَرَ (83) حديث رقم:4424، ج8، ص469.

[4] البخاري ، صحيح البخاري ، كتاب الأيمان والنذور( 83) ، باب كيف كانت يمين النبي صلى الله عليه وسلم ( 3) حديث رقم 6630، ج13، ص 369.

ومن ذلك ما ورد عن عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ قَالَ:بَيْنَا أَنَا عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذْ أَتَاهُ رَجُلٌ فَشَكَا إِلَيْهِ الْفَاقَةَ ثُمَّ أَتَاهُ آخَرُ فَشَكَا إِلَيْهِ قَطْعَ السَّبِيلِ فَقَالَ يَا عَدِيُّ هَلْ رَأَيْتَ الْحِيرَةَ قُلْتُ لَمْ أَرَهَا وَقَدْ أُنْبِئْتُ عَنْهَا قَالَ فَإِنْ طَالَتْ بِكَ حَيَاةٌ لَتَرَيَنَّ الظَّعِينَةَ تَرْتَحِلُ مِنْ الْحِيرَةِ حَتَّى تَطُوفَ بِالْكَعْبَةِ لَا تَخَافُ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ قُلْتُ فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَ نَفْسِي فَأَيْنَ دُعَّارُ طَيِّءٍ الَّذِينَ قَدْ سَعَّرُوا الْبِلَادَ وَلَئِنْ طَالَتْ بِكَ حَيَاةٌ لَتُفْتَحَنَّ كُنُوزُ كِسْرَى قُلْتُ كِسْرَى بْنِ هُرْمُزَ قَالَ كِسْرَى بْنِ هُرْمُزَ وَلَئِنْ طَالَتْ بِكَ حَيَاةٌ لَتَرَيَنَّ الرَّجُلَ يُخْرِجُ مِلْءَ كَفِّهِ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ فِضَّةٍ يَطْلُبُ مَنْ يَقْبَلُهُ مِنْهُ فَلَا يَجِدُ أَحَدًا يَقْبَلُهُ مِنْهُ وَلَيَلْقَيَنَّ اللَّهَ أَحَدُكُمْ يَوْمَ يَلْقَاهُ وَلَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تَرْجُمَانٌ يُتَرْجِمُ لَهُ فَلَيَقُولَنَّ لَهُ أَلَمْ أَبْعَثْ إِلَيْكَ رَسُولًا فَيُبَلِّغَكَ فَيَقُولُ بَلَى فَيَقُولُ أَلَمْ أُعْطِكَ مَالًا وَأُفْضِلْ عَلَيْكَ فَيَقُولُ بَلَى فَيَنْظُرُ عَنْ يَمِينِهِ فَلَا يَرَى إِلَّا جَهَنَّمَ وَيَنْظُرُ عَنْ يَسَارِهِ فَلَا يَرَى إِلَّا جَهَنَّمَ قَالَ عَدِيٌّ سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقَّةِ تَمْرَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ شِقَّةَ تَمْرَةٍ فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ قَالَ عَدِيٌّ فَرَأَيْتُ الظَّعِينَةَ تَرْتَحِلُ مِنْ الْحِيرَةِ حَتَّى تَطُوفَ بِالْكَعْبَةِ لَا تَخَافُ إِلَّا اللَّهَ وَكُنْتُ فِيمَنْ افْتَتَحَ كُنُوزَ كِسْرَى بْنِ هُرْمُزَ وَلَئِنْ طَالَتْ بِكُمْ حَيَاةٌ لَتَرَوُنَّ مَا قَالَ النَّبِيُّ أَبُو الْقَاسِمِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُخْرِجُ مِلْءَ كَفِّهِ[1]

وأخبر بالفتوحات الكبرى والناس يومئذ محاصرون بالمدينة لا يأمن أحدهم على نفسه وأهله ،فعن الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ قَالَ:أَمَرَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِحَفْرِ الْخَنْدَقِ قَالَ وَعَرَضَ لَنَا صَخْرَةٌ فِي مَكَانٍ مِنْ الخَنْدَقِ لَا تَأْخُذُ فِيهَا الْمَعَاوِلُ قَالَ فَشَكَوْهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ

[1] المصدر السابق، كتاب المناقب (61) ،باب علامات النبوة في الإسلام (25)حديث رقم 3595، ج7، ص316.

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ عَوْفٌ وَأَحْسِبُهُ قَالَ وَضَعَ ثَوْبَهُ ثُمَّ هَبَطَ إِلَى الصَّخْرَةِ فَأَخَذَ الْمِعْوَلَ فَقَالَ بِسْمِ اللَّهِ فَضَرَبَ ضَرْبَةً فَكَسَرَ ثُلُثَ الْحَجَرِ وَقَالَ اللَّهُ أَكْبَرُ أُعْطِيتُ مَفَاتِيحَ الشَّامِ وَاللَّهِ إِنِّي لَأُبْصِرُ قُصُورَهَا الْحُمْرَ مِنْ مَكَانِي هَذَا ثُمَّ قَالَ بِسْمِ اللَّهِ وَضَرَبَ أُخْرَى فَكَسَرَ ثُلُثَ الْحَجَرِ فَقَالَ اللَّهُ أَكْبَرُ أُعْطِيتُ مَفَاتِيحَ فَارِسَ وَاللَّهِ إِنِّي لَأُبْصِرُ الْمَدَائِنَ وَأُبْصِرُ قَصْرَهَا الْأَبْيَضَ مِنْ مَكَانِي هَذَا ثُمَّ قَالَ بِسْمِ اللَّهِ وَضَرَبَ ضَرْبَةً أُخْرَى فَقَلَعَ بَقِيَّةَ الْحَجَرِ فَقَالَ اللَّهُ أَكْبَرُ أُعْطِيتُ مَفَاتِيحَ الْيَمَنِ وَاللَّهِ إِنِّي لَأُبْصِرُ أَبْوَابَ صَنْعَاءَ مِنْ مَكَانِي هَذَا[1].

وأخرج النسائي عَنْ رَجُلٍ مَنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:لَمَّا أَمَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِحَفْرِ الْخَنْدَقِ عَرَضَتْ لَهُمْ صَخْرَةٌ حَالَتْ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْحَفْرِ فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَخَذَ الْمِعْوَلَ وَوَضَعَ رِدَاءَهُ نَاحِيَةَ الْخَنْدَقِ وَقَالَ تَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ فَنَدَرَ ثُلُثُ الْحَجَرِ وَسَلْمَانُ الْفَارِسِيُّ قَائِمٌ يَنْظُرُ فَبَرَقَ مَعَ ضَرْبَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَرْقَةٌ ثُمَّ ضَرَبَ الثَّانِيَةَ وَقَالَ تَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ فَنَدَرَ الثُّلُثُ الْآخَرُ فَبَرَقَتْ بَرْقَةٌ فَرَآهَا سَلْمَانُ ثُمَّ ضَرَبَ الثَّالِثَةَ وَقَالَ تَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ فَنَدَرَ الثُّلُثُ الْبَاقِي وَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخَذَ رِدَاءَهُ وَجَلَسَ قَالَ سَلْمَانُ يَا رَسُولَ اللَّهِ رَأَيْتُكَ حِينَ ضَرَبْتَ مَا تَضْرِبُ ضَرْبَةً إِلَّا كَانَتْ مَعَهَا بَرْقَةٌ قَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَا سَلْمَانُ رَأَيْتَ ذَلِكَ فَقَالَ إِي وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ فَإِنِّي حِينَ ضَرَبْتُ الضَّرْبَةَ الْأُولَى رُفِعَتْ لِي

[1]أبو عبد الله أحمد بن أحمد، مسند الإمام أحمد، قرطبة الهرم، مصر (د ت ط)،ج 4 ص 303 .

مَدَائِنُ كِسْرَى وَمَا حَوْلَهَا وَمَدَائِنُ كَثِيرَةٌ حَتَّى رَأَيْتُهَا بِعَيْنَيَّ قَالَ لَهُ مَنْ حَضَرَهُ مِنْ أَصْحَابِهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَفْتَحَهَا عَلَيْنَا وَيُغَنِّمَنَا دِيَارَهُمْ وَيُخَرِّبَ بِأَيْدِينَا بِلَادَهُمْ فَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِذَلِكَ ثُمَّ ضَرَبْتُ الضَّرْبَةَ الثَّانِيَةَ فَرُفِعَتْ لِي مَدَائِنُ قَيْصَرَ وَمَا حَوْلَهَا حَتَّى رَأَيْتُهَا بِعَيْنَيَّ قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَفْتَحَهَا عَلَيْنَا وَيُغَنِّمَنَا دِيَارَهُمْ وَيُخَرِّبَ بِأَيْدِينَا بِلَادَهُمْ فَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِذَلِكَ ثُمَّ ضَرَبْتُ الثَّالِثَةَ فَرُفِعَتْ لِي مَدَائِنُ الْحَبَشَةِ وَمَا حَوْلَهَا مِنْ الْقُرَى حَتَّى رَأَيْتُهَا بِعَيْنَيَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِنْدَ ذَلِكَ دَعُوا الْحَبَشَةَ مَا وَدَعُوكُمْ وَاتْرُكُوا التُّرْكَ مَا تَرَكُوكُمْ[1].

وعن جُبَيْرِ بن نُفَيْرٍ عن عبد اللهِ بن حَوَالَةَ قال كنا عِنْدَ رسول اللهِ فَشَكَوْنَا إلَيْهِ الْفَقْرَ وَالْعُرْيَ وَقِلَّةَ الشَّيْءِ فقال أَبْشِرُوا فَوَاَللَّهِ لأنا من كَثْرَة الشَّيْءِ أَخْوَفُ عَلَيْكُمْ من قِلَّتِهِ وَاَللَّهِ لاَ يَزَالُ هذا الأَمْرُ فِيكُمْ حتى تُفْتَحَ لَكُمْ أَرْضُ فَارِسَ وَالرُّومِ وَأَرْضُ حِمْيَرَ وَحَتَّى تَكُونُوا أَجْنَادًا ثَلاَثَةً جُنْدٌ بِالشَّامِ وَجُنْدٌ بِالْعِرَاقِ وَجُنْدٌ بِالْيَمَنِ وَحَتَّى يُعْطَى الرَّجُلُ الْمِائَةَ الدِّينَارَ فَيَسْخَطَهَا قال ابن حَوَالَةَ فَقُلْت يا رَسُولَ اللهِ! ومن يَسْتَطِيعُ الشَّامَ وَبِهَا الرُّومُ ذَوَاتُ الْقُرُونِ [2] ؟! قال رسول اللهِ وَاَللَّهِ ليفتحنَّها الله عليكم ، وليَسْتَخْلِفَنَّكُمْ فيها حتى تَظَلَّ الْعِصَابَةُ منهم الْبِيضُ قُمُصُهُمْ الْمُحَلَّقَةُ أَقْفَاؤُهُمْ قِيَامًا على الرَّجُلِ الأَسْوَدِ مِنْكُمْ الْمَحْلُوقِ ، ما أمرهم

[1] أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي النسائي ،ال سنن الكبرى، تحقيق عبد الغفار سليمان البنداري، دار الكتب العلمية، بيروت ، لبنان، (1411-1991) ط/1، رقم الحديث 4385، ج3، ص 28.

[2] أي: الحصون.

من شيء فعلوه، وَإِنَّ بها الْيَوْمَ رِجَالاً لأنتم أَحْقَرُ في أَعْيُنِهِمْ من الْقِرْدَانِ [1] في أَعْجَازِ الإِبِلِ قال ابن حَوَالَةَ فَقُلْت يا رَسُولَ اللهِ خِرْ لي إنْ أَدْرَكَنِي ذلك قال:إني أَخْتَارُ لَك الشَّامَ فَإِنَّهَا صَفْوَةُ اللهِ من بِلاَدِهِ وَاَللَّهُ يَجْتَبِي صَفْوَتَهُ من عِبَادِهِ يا أَهْلِ الإِسْلاَمِ فَعَلَيْكُمْ بِالشَّامِ فإن صَفْوَةَ اللهِ من الأَرْضِ الشَّامُ .

وأخرج البخاري[2] عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تُقَاتِلُوا قَوْمًا نِعَالُهُمْ الشَّعَرُ وَحَتَّى تُقَاتِلُوا التُّرْكَ صِغَارَ الْأَعْيُنِ حُمْرَ الْوُجُوهِ ذُلْفَ الْأُنُوفِ كَأَنَّ وُجُوهَهُمْ الْمَجَانُّ الْمُطْرَقَةُ وَتَجِدُونَ مِنْ خَيْرِ النَّاسِ أَشَدَّهُمْ كَرَاهِيَةً لِهَذَا الْأَمْرِ حَتَّى يَقَعَ فِيهِ وَالنَّاسُ مَعَادِنُ خِيَارُهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ خِيَارُهُمْ فِي الْإِسْلَامِ وَلَيَأْتِيَنَّ عَلَى أَحَدِكُمْ زَمَانٌ لَأَنْ يَرَانِي أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَهُ مِثْلُ أَهْلِهِ وَمَالِهِ

ولما أرادت امرأة من اليهود أن تقتل النبي ρ بالسم أخبره عظم الشاة كما ورد ذلك صريحا في سنن أبى داود عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ:كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْبَلُ الْهَدِيَّةَ وَلَا يَأْكُلُ الصَّدَقَةَ فَأَهْدَتْ لَهُ يَهُودِيَّةٌ بِخَيْبَرَ شَاةً مَصْلِيَّةً سَمَّتْهَا فَأَكَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْهَا وَأَكَلَ الْقَوْمُ فَقَالَ ارْفَعُوا أَيْدِيَكُمْ فَإِنَّهَا أَخْبَرَتْنِي أَنَّهَا مَسْمُومَةٌ فَمَاتَ بِشْرُ بْنُ الْبَرَاءِ بْنِ مَعْرُورٍ

[1] معجم اللغة العربية، المعجم الوسيط، (د ت ط ) ج2 ص724) القراد : دويبة متطفلة ذات أرجل كثيرة تعيش على الدواب والطيور ومنها أجناس الواحدة قرادة وحلمة الثدي ( ج : قردان).

[2] البخاري، صحيح البخاري،ـــ كتاب المناقب، ( 61) ، باب علامات النبوة في الإسلام(25) ، حديث رقم : 3587، ج7 ص 307.

الْأَنْصَارِيُّ فَأَرْسَلَ إِلَى الْيَهُودِيَّةِ مَا حَمَلَكِ عَلَى الَّذِي صَنَعْتِ قَالَتْ إِنْ كُنْتَ نَبِيًّا لَمْ يَضُرَّكَ الَّذِي صَنَعْتُ وَإِنْ كُنْتَ مَلِكًا أَرَحْتُ النَّاسَ مِنْكَ[1]

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّهُ قَالَ:لَمَّا فُتِحَتْ خَيْبَرُ أُهْدِيَتْ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَاةٌ فِيهَا سَمٌّ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اجْمَعُوا لِي مَنْ كَانَ هَا هُنَا مِنْ الْيَهُودِ فَجُمِعُوا لَهُ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنِّي سَائِلُكُمْ عَنْ شَيْءٍ فَهَلْ أَنْتُمْ صَادِقِيَّ عَنْهُ فَقَالُوا نَعَمْ يَا أَبَا الْقَاسِمِ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ أَبُوكُمْ قَالُوا أَبُونَا فُلَانٌ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَذَبْتُمْ بَلْ أَبُوكُمْ فُلَانٌ فَقَالُوا صَدَقْتَ وَبَرِرْتَ فَقَالَ هَلْ أَنْتُمْ صَادِقِيَّ عَنْ شَيْءٍ إِنْ سَأَلْتُكُمْ عَنْهُ فَقَالُوا نَعَمْ يَا أَبَا الْقَاسِمِ وَإِنْ كَذَبْنَاكَ عَرَفْتَ كَذِبَنَا كَمَا عَرَفْتَهُ فِي أَبِينَا قَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ أَهْلُ النَّارِ فَقَالُوا نَكُونُ فِيهَا يَسِيرًا ثُمَّ تَخْلُفُونَنَا فِيهَا فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اخْسَئُوا فِيهَا وَاللَّهِ لَا نَخْلُفُكُمْ فِيهَا أَبَدًا ثُمَّ قَالَ لَهُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ صَادِقِيَّ عَنْ شَيْءٍ إِنْ سَأَلْتُكُمْ عَنْهُ قَالُوا نَعَمْ فَقَالَ هَلْ جَعَلْتُمْ فِي هَذِهِ الشَّاةِ سَمًّا فَقَالُوا نَعَمْ فَقَالَ مَا حَمَلَكُمْ عَلَى ذَلِكَ فَقَالُوا أَرَدْنَا إِنْ كُنْتَ كَذَّابًا نَسْتَرِيحُ مِنْكَ وَإِنْ كُنْتَ نَبِيًّا لَمْ يَضُرَّكَ[2].

ومما أخبر به النبي ρ من أمور الغيب ووقعت كما أخبر قصة أبي هريرة مع الشيطان الذي سرق من مال الصدقة

[1] أبو داوود سليمان بن الأشعث السجستاني، سنن أبي داود ، تحقيق محي الدين عبد الحميد، دار إحياء التراث العربي، بيروت ، لبنان، (د ت)، كتاب الديات (34)، باب فيمن سقى رجلا سما (6) حديث رقم :4512 ، ج4، ص 174.

[2] صحيح البخاري ـــ كتاب الطب ـــ باب ما يذكر في سم النبي ρ رقم:5777 (مع فتح الباري).

قَالَ أَبو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَكَّلَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِحِفْظِ زَكَاةِ رَمَضَانَ فَأَتَانِي آتٍ فَجَعَلَ يَحْثُو مِنْ الطَّعَامِ فَأَخَذْتُهُ وَقُلْتُ وَاللَّهِ لَأَرْفَعَنَّكَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ إِنِّي مُحْتَاجٌ وَعَلَيَّ عِيَالٌ وَلِي حَاجَةٌ شَدِيدَةٌ قَالَ فَخَلَّيْتُ عَنْهُ فَأَصْبَحْتُ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ الْبَارِحَةَ قَالَ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ شَكَا حَاجَةً شَدِيدَةً وَعِيَالًا فَرَحِمْتُهُ فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ قَالَ أَمَا إِنَّهُ قَدْ كَذَبَكَ وَسَيَعُودُ فَعَرَفْتُ أَنَّهُ سَيَعُودُ لِقَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّهُ سَيَعُودُ فَرَصَدْتُهُ فَجَاءَ يَحْثُو مِنْ الطَّعَامِ فَأَخَذْتُهُ فَقُلْتُ لَأَرْفَعَنَّكَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ دَعْنِي فَإِنِّي مُحْتَاجٌ وَعَلَيَّ عِيَالٌ لَا أَعُودُ فَرَحِمْتُهُ فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ فَأَصْبَحْتُ فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ شَكَا حَاجَةً شَدِيدَةً وَعِيَالًا فَرَحِمْتُهُ فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ قَالَ أَمَا إِنَّهُ قَدْ كَذَبَكَ وَسَيَعُودُ فَرَصَدْتُهُ الثَّالِثَةَ فَجَاءَ يَحْثُو مِنْ الطَّعَامِ فَأَخَذْتُهُ فَقُلْتُ لَأَرْفَعَنَّكَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ وَهَذَا آخِرُ ثَلَاثِ مَرَّاتٍ أَنَّكَ تَزْعُمُ لَا تَعُودُ ثُمَّ تَعُودُ قَالَ دَعْنِي أُعَلِّمْكَ كَلِمَاتٍ يَنْفَعُكَ اللَّهُ بِهَا قُلْتُ مَا هُوَ قَالَ إِذَا أَوَيْتَ إِلَى فِرَاشِكَ فَاقْرَأْ آيَةَ الْكُرْسِيِّ{ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ }حَتَّى تَخْتِمَ الْآيَةَ فَإِنَّكَ لَنْ يَزَالَ عَلَيْكَ مِنْ اللَّهِ حَافِظٌ وَلَا يَقْرَبَنَّكَ شَيْطَانٌ حَتَّى تُصْبِحَ فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ فَأَصْبَحْتُ فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ الْبَارِحَةَ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ زَعَمَ أَنَّهُ يُعَلِّمُنِي كَلِمَاتٍ يَنْفَعُنِي اللَّهُ بِهَا فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ قَالَ مَا هِيَ قُلْتُ قَالَ لِي إِذَا أَوَيْتَ إِلَى فِرَاشِكَ فَاقْرَأْ آيَةَ الْكُرْسِيِّ مِنْ أَوَّلِهَا حَتَّى تَخْتِمَ الْآيَةَ{ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ }وَقَالَ لِي لَنْ يَزَالَ عَلَيْكَ مِنْ اللَّهِ حَافِظٌ وَلَا يَقْرَبَكَ شَيْطَانٌ حَتَّى تُصْبِحَ وَكَانُوا أَحْرَصَ شَيْءٍ

عَلَى الْخَيْرِ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمَا إِنَّهُ قَدْ صَدَقَكَ وَهُوَ كَذُوبٌ تَعْلَمُ مَنْ تُخَاطِبُ مُنْذُ ثَلَاثِ لَيَالٍ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ قَالَ لَا قَالَ ذَاكَ شَيْطَانٌ [1].

ولما انهزم الروم وهم أهل كتاب أمام فارس وهم مجوس ينكرون الباري جل وعلا أنزل الله فاتحة سورة الروم ،تنبئ عن شيء من الغيب لا يعلمه إلا الله ؛ أخبر الناس أن الروم سينتصرون ،حتى إن أعظم الصحابة إيمانا بالغيب ـــ وكلهم مؤمنون ـــ راهن على هذا الخبر ، كما ورد ذلك عَنْ ابْن عَبَّاسٍ :فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى:{ الم غُلِبَتْ الرُّومُ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ }[2].

قَالَ غُلِبَتْ وَغَلَبَتْ كَانَ الْمُشْرِكُونَ يُحِبُّونَ أَنْ يَظْهَرَ أَهْلُ فَارِسَ عَلَى الرُّومِ لِأَنَّهُمْ وَإِيَّاهُمْ أَهْلُ الْأَوْثَانِ وَكَانَ الْمُسْلِمُونَ يُحِبُّونَ أَنْ يَظْهَرَ الرُّومُ عَلَى فَارِسَ لِأَنَّهُمْ أَهْلُ الْكِتَابِ فَذَكَرُوهُ لِأَبِي بَكْرٍ فَذَكَرَهُ أَبُو بَكْرٍ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ أَمَا إِنَّهُمْ سَيَغْلِبُونَ فَذَكَرَهُ أَبُو بَكْرٍ لَهُمْ فَقَالُوا اجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ أَجَلًا فَإِنْ ظَهَرْنَا كَانَ لَنَا كَذَا وَكَذَا وَإِنْ ظَهَرْتُمْ كَانَ لَكُمْ كَذَا وَكَذَا فَجَعَلَ أَجَلًا خَمْسَ سِنِينَ فَلَمْ يَظْهَرُوا فَذَكَرُوا ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ أَلَا جَعَلْتَهُ إِلَى دُونَ قَالَ أُرَاهُ الْعَشْرَ قَالَ أَبُو سَعِيدٍ وَالْبِضْعُ مَا دُونَ الْعَشْرِ قَالَ ثُمَّ ظَهَرَتْ الرُّومُ بَعْدُ قَالَ فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى:{ الم غُلِبَتْ الرُّومُ إِلَى قَوْلِهِ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ } .

---

[1] البخاري، صحيح البخاري، كتاب الطب (76)، بَابمَا يذكر في سم النبي صلى الله عليه وسلم، ( 55) حديث رقم:5777 ، ج11، ص442.

[2] سورة الروم ـــ الآية:01 .

قَالَ سُفْيَانُ[1]: سَمِعْتُ أَنَّهُمْ ظَهَرُوا عَلَيْهِمْ يَوْمَ بَدْرٍ [2].

وعَنْ نِيَارِ بْنِ مُكْرَمٍ الْأَسْلَمِيِّ قَالَ:لَمَّا نَزَلَتْ:{ الم غُلِبَتْ الرُّومُ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ فِي بِضْعِ سِنِينَ } فَكَانَتْ فَارِسُ يَوْمَ نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ قَاهِرِينَ لِلرُّومِ وَكَانَ الْمُسْلِمُونَ يُحِبُّونَ ظُهُورَ الرُّومِ عَلَيْهِمْ لِأَنَّهُمْ وَإِيَّاهُمْ أَهْلُ كِتَابٍ وَفِي ذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى:{ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ }.

وَكَانَتْ قُرَيْشٌ تُحِبُّ ظُهُورَ فَارِسَ لِأَنَّهُمْ وَإِيَّاهُمْ لَيْسُوا بِأَهْلِ كِتَابٍ وَلَا إِيمَانٍ بِبَعْثٍ فَلَمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى هَذِهِ الْآيَةَ خَرَجَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَصِيحُ فِي نَوَاحِي مَكَّةَ {الم غُلِبَتْ الرُّومُ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ فِي بِضْعِ سِنِينَ }.

قَالَ نَاسٌ مِنْ قُرَيْشٍ لِأَبِي بَكْرٍ فَذَلِكَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ زَعَمَ صَاحِبُكَ أَنَّ الرُّومَ سَتَغْلِبُ فَارِسَ فِي بِضْعِ سِنِينَ أَفَلَا نُرَاهِنُكَ عَلَى ذَلِكَ قَالَ بَلَى وَذَلِكَ قَبْلَ تَحْرِيمِ الرِّهَانِ فَارْتَهَنَ أَبُو بَكْرٍ وَالْمُشْرِكُونَ وَتَوَاضَعُوا الرِّهَانَ وَقَالُوا لِأَبِي بَكْرٍ كَمْ تَجْعَلُ الْبِضْعُ ثَلَاثُ سِنِينَ إِلَى تِسْعِ سِنِينَ فَسَمِّ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ وَسَطًا تَنْتَهِي إِلَيْهِ قَالَ فَسَمَّوْا بَيْنَهُمْ سِتَّ سِنِينَ قَالَ فَمَضَتْ السِّتُّ سِنِينَ قَبْلَ أَنْ يَظْهَرُوا فَأَخَذَ الْمُشْرِكُونَ رَهْنَ

[1] (سفيان الثوري) (97 - 161 ه = 716 - 778 م) سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري، من بني ثور بن عبد مناة، من مضر، أبو عبد الله: أمير المؤمنين في الحديث.كان سيد أهل زمانه في علوم الدين والتقوى.ولد ونشأ في الكوفة، وراوده المنصور العباسي على أن يلي الحكم، فأبى وخرج من الكوفة (سنة 144 ه) فسكن مكة والمدينة.ثم طلبه المهدي، فتوارى.وانتقل إلى البصرة فمات فيها مستخفيا. ينظر:الأعلام للزركلي - (3 / 104).

[2] أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، الجامع الصحيح ، تحقيق أحمد محمد شاكر، دار إحياء التراث العربي، بيروت (د ت) ، كتاب القراءات (47) ــ بَاب وَمِنْ سُورَةِ الرُّومِ، (4) حديث رقم 2935، ج 5 ص 189.

أَبِي بَكْرٍ فَلَمَّا دَخَلَتْ السَّنَةُ السَّابِعَةُ ظَهَرَتْ الرُّومُ عَلَى فَارِسَ فَعَابَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى أَبِي بَكْرٍ تَسْمِيَةَ سِتِّ سِنِينَ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ فِي بِضْعِ سِنِينَ وَأَسْلَمَ عِنْدَ ذَلِكَ نَاسٌ كَثِيرٌ[1] .

وأخرج البخاري ومسلم عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ:لَأُحَدِّثَنَّكُمْ حَدِيثًا سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يُحَدِّثُكُمْ بِهِ أَحَدٌ غَيْرِي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ إِنَّ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ أَنْ يُرْفَعَ الْعِلْمُ وَيَكْثُرَ الْجَهْلُ وَيَكْثُرَ الزِّنَا وَيَكْثُرَ شُرْبُ الْخَمْرِ وَيَقِلَّ الرِّجَالُ وَيَكْثُرَ النِّسَاءُ حَتَّى يَكُونَ لِخَمْسِينَ امْرَأَةً الْقَيِّمُ الْوَاحِدُ[2].

ومثله حديث عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:إن الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من العباد ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى إذا لم يبق عالما اتخذ الناس رءوسا جهالا فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا [3]

ومنه حديث ابن مسعود: إن بين يدي الساعة تسليم الخاصة وفشو التجارة حتى تعين المرأة زوجها على التجارة وقطع الأرحام وظهور شهادة الزور وكتمان شهادة الحق وظهور العلم [4]

وأخبر عن الفتن التي حصلت بعده ومنها مقتل عثمان بن عفان رضي الله عنه، فعن مُرَّةَ الْبَهْزِيِّ قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ مَعَ نَبِيِّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي طَرِيقٍ مِنْ

[1] المصدر نفسه، كتاب القراءات (47) بَاب وَمِنْ سُورَةِ الرُّومِ، (4) حديث رقم 3193، ج 5 ص 343.

[2] البخاري، صحيح البخاري، كتاب العلم، (3) باب رفع العلم، (21) حديث رقم 81، ج1، ص 240.

[3] المصدر السابق، كتاب العلم (3) باب كيف يقبض العلم (34) حديث رقم 100، ج1ص 262.

[4] الإمام أحمد، المسند، حديث رقم 3870، ج1 ،ص 406

طُرُقِ الْمَدِينَةِ فَقَالَ كَيْفَ تَصْنَعُونَ فِي فِتْنَةٍ تَثُورُ فِي أَقْطَارِ الْأَرْضِ كَأَنَّهَا صَيَاصِي بَقَرٍ قَالُوا نَصْنَعُ مَاذَا يَا نَبِيَّ اللَّهِ قَالَ عَلَيْكُمْ هَذَا وَأَصْحَابَهُ أَوْ اتَّبِعُوا هَذَا وَأَصْحَابَهُ قَالَ فَأَسْرَعْتُ حَتَّى عَيِيتُ فَلَحِقْتُ الرَّجُلَ فَقُلْتُ هَذَا يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ هَذَا فَإِذَا هُوَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَقَالَ هَذَا وَأَصْحَابُهُ وَذَكَرَهُ[1].

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال:اسْتَفْتَحَ رَجُلٌ فَقَالَ لِي رسول الله افْتَحْ لَهُ وَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ عَلَى بَلْوَى تُصِيبُهُ فَإِذَا عُثْمَانُ فَأَخْبَرْتُهُ بِمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَحَمِدَ اللَّهَ ثُمَّ قَالَ اللَّهُ الْمُسْتَعَانُ[2].

كما أخبر عن الحوادث الجسيمة والخطيرة التي تكون من الخوارج ،بل وصف أحدهم وصفا دقيقا فقال أَبو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ: بَيْنَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْسِمُ ذَاتَ يَوْمٍ قِسْمًا فَقَالَ ذُو الْخُوَيْصِرَةِ يَا رَسُولَ اللَّهِ اعْدِلْ قَالَ وَيْلَكَ مَنْ يَعْدِلُ إِذَا لَمْ أَعْدِلْ فَقَالَ عُمَرُ ائْذَنْ لِي فَلْأَضْرِبْ عُنُقَهُ قَالَ لَا إِنَّ لَهُ أَصْحَابًا يَحْقِرُ أَحَدُكُمْ صَلَاتَهُ مَعَ صَلَاتِهِمْ وَصِيَامَهُ مَعَ صِيَامِهِمْ يَمْرُقُونَ مِنْ الدِّينِ كَمُرُوقِ السَّهْمِ مِنْ الرَّمِيَّةِ يَخْرُجُونَ عَلَى حِينِ فُرْقَةٍ مِنْ النَّاسِ آيَتُهُمْ رَجُلٌ إِحْدَى يَدَيْهِ مِثْلُ ثَدْيِ الْمَرْأَةِ أَوْ مِثْلُ الْبَضْعَةِ تَدَرْدَرُ قَالَ أَبُو سَعِيدٍ أَشْهَدُ لَسَمِعْتُهُ مِنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ

[1] المصدر نفسه، حديث رقم 2701، ج6 ص351.

[2] البخاري، صحيح البخاري، كتاب المناقب (61)، باب مناقب عمر بن الخطاب τ (6) حديث رقم3693 ، ج7، ص 398.

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَشْهَدُ أَنِّي كُنْتُ مَعَ عَلِيٍّ حِينَ قَاتَلَهُمْ فَالْتُمِسَ فِي الْقَتْلَى فَأُتِيَ بِهِ عَلَى النَّعْتِ الَّذِي نَعَتَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[1].

وأخبر أن عمار بن ياسر يموت مقتولا :

عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ قَالَتْ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَقْتُلُ عَمَّارًا الْفِئَةُ الْبَاغِيَةُ[2].

وذكر انقسام المسلمين وافتراقهم وأن سبطه الحسن سيصلح بينه ويجمع كلمة المسلمين فعَنْ أَبِي بَكْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال:أَخْرَجَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ يَوْمٍ الْحَسَنَ فَصَعِدَ بِهِ عَلَى الْمِنْبَرِ فَقَالَ ابْنِي هَذَا سَيِّدٌ وَلَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يُصْلِحَ بِهِ بَيْنَ فِئَتَيْنِ مِنْ الْمُسْلِمِينَ[3]

وأخبر عن مقتل سبطه الحسين بل وقرب لهم مكان قتله رضي الله عنه:

عن أم الفضل بنت الحارث : أنها دخلت على رسول الله صلى الله عليه و سلم فقالت : يا رسول الله إني رأيت حلما منكرا الليلة قال : ما هو قالت : إنه شديد قال : ما هو قالت : رأيت كأن قطعة من جسدك قطعت في حجري فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم : رأيت خيرا تلد فاطمة إن شاء الله غلاما فيكون في حجرك، فولدت فاطمة الحسين فكان في حجري كما قال رسول الله

[1] المصدر السابق، كتاب الأدب (78)، بَاب مَا جَاءَ فِي قَوْلِ الرَّجُلِ وَيْلَكَ (95) حديث رقم رقم:6163 ،ج12، ص 188.

[2] المصدر نفسه، كتاب الجهاد والسير( 56)، باب مسح الغبار عن الرأس في سبيل الله ( 17) حديث رقم 2812، ج6، ص111.

[3] المصدر نفسه، كتاب المناقب (61)، باب علامات النبوة في الإسلام (25) حديث رقم 3629، ج7،ص 337 .

صلى الله عليه و سلم فدخلت يوما إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم فوضعته في حجره ثم حانت مني التفاتة فإذا عينا رسول الله صلى الله عليه و سلم تهريقان من الدموع قالت : فقلت يا نبي الله بأبي أنت و أمي مالك ؟ قال : أتاني جبريل عليه الصلاة و السلام فأخبرني أن أمتي ستقتل ابني هذا فقلت : هذا ! فقال : نعم و أتاني بتربة من تربته حمراء[1].

وبعد أن قتل الحجاج عبد الله بن الزبير قال لأمه أسما بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما:كَيْفَ رَأَيْتِنِي صَنَعْتُ بِعَدُوِّ اللَّهِ قَالَتْ رَأَيْتُكَ أَفْسَدْتَ عَلَيْهِ دُنْيَاهُ وَأَفْسَدَ عَلَيْكَ آخِرَتَكَ بَلَغَنِي أَنَّكَ تَقُولُ لَهُ يَا ابْنَ ذَاتِ النِّطَاقَيْنِ أَنَا وَاللَّهِ ذَاتُ النِّطَاقَيْنِ.

أَمَّا أَحَدُهُمَا فَكُنْتُ أَرْفَعُ بِهِ طَعَامَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَطَعَامَ أَبِي بَكْرٍ مِنْ الدَّوَابِّ وَأَمَّا الْآخَرُ فَنِطَاقُ الْمَرْأَةِ الَّتِي لَا تَسْتَغْنِي عَنْهُ أَمَا إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَدَّثَنَا أَنَّ فِي ثَقِيفٍ كَذَّابًا وَمُبِيرًا فَأَمَّا الْكَذَّابُ [2] فَرَأَيْنَاهُ وَأَمَّا الْمُبِيرُ فَلَا إِخَالُكَ إِلَّا إِيَّاهُ قَالَ فَقَامَ عَنْهَا وَلَمْ يُرَاجِعْهَا[3].

وفي مسند أحمد :أَنَّ الْحَجَّاجَ بْنَ يُوسُفَ دَخَلَ عَلَى أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ بَعْدَمَا قُتِلَ ابْنُهَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ فَقَالَ إِنَّ ابْنَكِ أَلْحَدَ فِي هَذَا الْبَيْتِ وَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ

---

[1] أبو عبد الله محمد بن عبد الله النيسبوري، المستدرك على الصحيحين ، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت ، لبنان، (1411-1990) ط/1، ج3، ص194.

[2] قال النووي: اتفق العلماء على أن المراد بالكذاب هنا المختار بن أبي عبيد فقد كان شديد الكذب ومن أقبحه أنه ادعى أن جبريل يأتيه وبالمبير الحجاج بن يوسف ـــ ينظر شرح النووي على مسلم، ج10، ص 31-65.

[3] مسلم ،صحيح مسلم ، كتاب فضائل الصحابة (44)، بَاب ذِكْرِ كَذَّابِ ثَقِيفٍ وَمُبِيرِهَا ،(58) حديث رقم 2545، ج10، ص 31-65.

وَجَلَّ أَذَاقَهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ وَفَعَلَ بِهِ مَا فَعَلَ فَقَالَتْ كَذَبْتَ كَانَ بَرًّا بِالْوَالِدَيْنِ صَوَّامًا قَوَّامًا وَاللَّهِ لَقَدْ أَخْبَرَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ سَيَخْرُجُ مِنْ ثَقِيفٍ كَذَّابَانِ الْآخِرُ مِنْهُمَا شَرٌّ مِنْ الْأَوَّلِ وَهُوَ مُبِيرٌ[1].

وكل أخبار الغيب التي ذكرها النبي ρ لأصحابه ووقعت كما أخبر سواء في زمانه أو بعده فهي كالمقدمة والتوطئة للذين يؤمنون بالغيب ل: {يَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا وَلَا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ }[2] فإذا حدث النبي ρ عن جملة أخرى من أمو ر الغيب التي تكون قبل الساعة أو بعدها ،أو أهوال القيامة وما يصاحبها ،أو أحداث الحشر والحساب وما يكون في الجنة من نعيم أو في النار من عذاب مقيم كان ذلك أدعى للتصديق وأحرى بالعمل الصالح .

عَنْ حُذَيْفَةَ قَالَ:قَامَ فِينَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَقَامًا مَا تَرَكَ شَيْئًا يَكُونُ فِي مَقَامِهِ ذَلِكَ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ إِلَّا حَدَّثَ بِهِ حَفِظَهُ مَنْ حَفِظَهُ وَنَسِيَهُ مَنْ نَسِيَهُ قَدْ عَلِمَهُ أَصْحَابِي هَؤُلَاءِ وَإِنَّهُ لَيَكُونُ مِنْهُ الشَّيْءُ قَدْ نَسِيتُهُ فَأَرَاهُ فَأَذْكُرُهُ كَمَا يَذْكُرُ الرَّجُلُ وَجْهَ الرَّجُلِ إِذَا غَابَ عَنْهُ ثُمَّ إِذَا رَآهُ عَرَفَهُ[3].

عَنْ ابْنِ شِهَابٍ أَنَّ أَبَا إِدْرِيسَ الْخَوْلَانِيَّ كَانَ يَقُولُ:قَالَ حُذَيْفَةُ بْنُ الْيَمَانِ وَاللَّهِ إِنِّي لَأَعْلَمُ النَّاسِ بِكُلِّ فِتْنَةٍ هِيَ كَائِنَةٌ فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَ السَّاعَةِ وَمَا بِي

---

[1] المصدر نفسه، كتاب الفتن وأشراط الساعة ( 54) باب إخبار النبي صلى الله عليه وسلم فيما يكون إلى قيام الساعة ( 6) حديث رقم 2891، ج11 ،ص 19-71.

[2] سورة المدثر ــ الآية: 31

[3] المصدر نفسه، كتاب الفتن وأشراط الساعة ( 54) باب إخبار النبي صلى الله عليه وسلم فيما يكون إلى قيام الساعة ( 6) حديث رقم 2891، ج11 ، ص 19-71.

إِلَّا أَنْ يَكُونَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَسَرَّ إِلَيَّ فِي ذَلِكَ شَيْئًا لَمْ يُحَدِّثْهُ غَيْرِي وَلَكِنْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ وَهُوَ يُحَدِّثُ مَجْلِسًا أَنَا فِيهِ عَنْ الْفِتَنِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يَعُدُّ الْفِتَنَ مِنْهُنَّ ثَلَاثٌ لَا يَكَدْنَ يَذَرْنَ شَيْئًا وَمِنْهُنَّ فِتَنٌ كَرِيَاحِ الصَّيْفِ مِنْهَا صِغَارٌ وَمِنْهَا كِبَارٌ .قَالَ حُذَيْفَةُ فَذَهَبَ أُولَئِكَ الرَّهْطُ كُلُّهُمْ غَيْرِي[1].

وعن أَبِي زَيْدٍ عَمْرَو بْن أَخْطَبَ قَالَ:صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْفَجْرَ وَصَعِدَ الْمِنْبَرَ فَخَطَبَنَا حَتَّى حَضَرَتْ الظُّهْرُ فَنَزَلَ فَصَلَّى ثُمَّ صَعِدَ الْمِنْبَرَ فَخَطَبَنَا حَتَّى حَضَرَتْ الْعَصْرُ ثُمَّ نَزَلَ فَصَلَّى ثُمَّ صَعِدَ الْمِنْبَرَ فَخَطَبَنَا حَتَّى غَرَبَتْ الشَّمْسُ فَأَخْبَرَنَا بِمَا كَانَ وَبِمَا هُوَ كَائِنٌ فَأَعْلَمُنَا أَحْفَظُنَا[2].

ومن ذلك أنه أخبر بتفاصيل الأحداث التي تكون قبيل قيام الساعة منها الملحمة الكبرى التي ستكون في آخر الزمان بين المسلمين والروم:

فعَنْ يُسَيْرِ بْنِ جَابِرٍ قَالَ هَاجَتْ رِيحٌ حَمْرَاءُ بِالْكُوفَةِ فَجَاءَ رَجُلٌ لَيْسَ لَهُ هِجِّيرَى إِلَّا يَا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مَسْعُودٍ جَاءَتْ السَّاعَةُ قَالَ فَقَعَدَ وَكَانَ مُتَّكِئًا فَقَالَ إِنَّ السَّاعَةَ لَا تَقُومُ حَتَّى لَا يُقْسَمَ مِيرَاثٌ وَلَا يُفْرَحَ بِغَنِيمَةٍ ثُمَّ قَالَ بِيَدِهِ هَكَذَا وَنَحَّاهَا نَحْوَ الشَّأْمِ فَقَالَ عَدُوٌّ يَجْمَعُونَ لِأَهْلِ الْإِسْلَامِ وَيَجْمَعُ لَهُمْ أَهْلُ الْإِسْلَامِ قُلْتُ الرُّومَ تَعْنِي قَالَ نَعَمْ وَتَكُونُ عِنْدَ ذَاكُمْ الْقِتَالِ رَدَّةٌ شَدِيدَةٌ فَيَشْتَرِطُ الْمُسْلِمُونَ شُرْطَةً

[1] المصدر نفسه، كتاب الفتن وأشراط الساعة (54) باب إخبار النبي صلى الله عليه وسلم فيما يكون إلى قيام الساعة (6) حديث رقم 2891، ج11 ،ص 19-71.

[2] المصدر نفسه، كتاب الفتن وأشراط الساعة (54) باب إخبار النبي صلى الله عليه وسلم فيما يكون إلى قيام الساعة (6) حديث رقم 2892، ج11 ،ص 20-71.

لِلْمَوْتِ لَا تَرْجِعُ إِلَّا غَالِبَةً فَيَقْتَتِلُونَ حَتَّى يَحْجُزَ بَيْنَهُمْ اللَّيْلُ فَيَفِيءُ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ كُلٌّ غَيْرُ غَالِبٍ وَتَفْنَى الشُّرْطَةُ ثُمَّ يَشْتَرِطُ الْمُسْلِمُونَ شُرْطَةً لِلْمَوْتِ لَا تَرْجِعُ إِلَّا غَالِبَةً فَيَقْتَتِلُونَ حَتَّى يَحْجُزَ بَيْنَهُمْ اللَّيْلُ فَيَفِيءُ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ كُلٌّ غَيْرُ غَالِبٍ وَتَفْنَى الشُّرْطَةُ ثُمَّ يَشْتَرِطُ الْمُسْلِمُونَ شُرْطَةً لِلْمَوْتِ لَا تَرْجِعُ إِلَّا غَالِبَةً فَيَقْتَتِلُونَ حَتَّى يُمْسُوا فَيَفِيءُ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ كُلٌّ غَيْرُ غَالِبٍ وَتَفْنَى الشُّرْطَةُ فَإِذَا كَانَ يَوْمُ الرَّابِعِ نَهَدَ إِلَيْهِمْ بَقِيَّةُ أَهْلِ الْإِسْلَامِ فَيَجْعَلُ اللَّهُ الدَّبْرَةَ عَلَيْهِمْ فَيَقْتُلُونَ مَقْتَلَةً إِمَّا قَالَ لَا يُرَى مِثْلُهَا وَإِمَّا قَالَ لَمْ يُرَ مِثْلُهَا حَتَّى إِنَّ الطَّائِرَ لَيَمُرُّ بِجَنَبَاتِهِمْ فَمَا يُخَلِّفُهُمْ حَتَّى يَخِرَّ مَيْتًا فَيَتَعَادُّ بَنُو الْأَبِ كَانُوا مِائَةً فَلَا يَجِدُونَهُ بَقِيَ مِنْهُمْ إِلَّا الرَّجُلُ الْوَاحِدُ فَبِأَيِّ غَنِيمَةٍ يُفْرَحُ أَوْ أَيُّ مِيرَاثٍ يُقَاسَمُ فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ سَمِعُوا بِبَأْسٍ هُوَ أَكْبَرُ مِنْ ذَلِكَ فَجَاءَهُمْ الصَّرِيخُ إِنَّ الدَّجَّالَ قَدْ خَلَفَهُمْ فِي ذَرَارِيِّهِمْ فَيَرْفُضُونَ مَا فِي أَيْدِيهِمْ وَيُقْبِلُونَ فَيَبْعَثُونَ عَشَرَةَ فَوَارِسَ طَلِيعَةً قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنِّي لَأَعْرِفُ أَسْمَاءَهُمْ وَأَسْمَاءَ آبَائِهِمْ وَأَلْوَانَ خُيُولِهِمْ هُمْ خَيْرُ فَوَارِسَ عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ يَوْمَئِذٍ أَوْ مِنْ خَيْرِ فَوَارِسَ عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ يَوْمَئِذٍ[1]

ومنها قصة المسيح الدجال ونزول المسيح ابن مريم عليه السلام :

فعَنْ النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ قَالَ:ذَكَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الدَّجَّالَ ذَاتَ غَدَاةٍ فَخَفَّضَ فِيهِ وَرَفَّعَ حَتَّى ظَنَنَّاهُ فِي طَائِفَةِ النَّخْلِ فَلَمَّا رُحْنَا إِلَيْهِ عَرَفَ ذَلِكَ فِينَا فَقَالَ مَا شَأْنُكُمْ قُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ ذَكَرْتَ الدَّجَّالَ غَدَاةً فَخَفَّضْتَ فِيهِ

[1] المصدر نفسه، ـــ كتاب الفتن وأشراط الساعة ـــ بَاب إِقْبَالِ الرُّومِ فِي كَثْرَةِ الْقَتْلِ عِنْدَ خُرُوجِ الدَّجَّالِ

وَرَفَّعْتَ حَتَّى ظَنَنَّاهُ فِي طَائِفَةِ النَّخْلِ فَقَالَ غَيْرُ الدَّجَّالِ أَخْوَفُنِي عَلَيْكُمْ إِنْ يَخْرُجْ وَأَنَا فِيكُمْ فَأَنَا حَجِيجُهُ دُونَكُمْ وَإِنْ يَخْرُجْ وَلَسْتُ فِيكُمْ فَامْرُؤٌ حَجِيجُ نَفْسِهِ وَاللَّهُ خَلِيفَتِي عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ إِنَّهُ شَابٌّ قَطَطٌ عَيْنُهُ طَافِئَةٌ كَأَنِّي أُشَبِّهُهُ بِعَبْدِ الْعُزَّى بْنِ قَطَنٍ فَمَنْ أَدْرَكَهُ مِنْكُمْ فَلْيَقْرَأْ عَلَيْهِ فَوَاتِحَ سُورَةِ الْكَهْفِ إِنَّهُ خَارِجٌ خَلَّةً بَيْنَ الشَّأْمِ وَالْعِرَاقِ فَعَاثَ يَمِينًا وَعَاثَ شِمَالًا يَا عِبَادَ اللَّهِ فَاثْبُتُوا قُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا لَبْثُهُ فِي الْأَرْضِ قَالَ أَرْبَعُونَ يَوْمًا يَوْمٌ كَسَنَةٍ وَيَوْمٌ كَشَهْرٍ وَيَوْمٌ كَجُمُعَةٍ وَسَائِرُ أَيَّامِهِ كَأَيَّامِكُمْ قُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ فَذَلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَسَنَةٍ أَتَكْفِينَا فِيهِ صَلَاةُ يَوْمٍ قَالَ لَا اقْدُرُوا لَهُ قَدْرَهُ قُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا إِسْرَاعُهُ فِي الْأَرْضِ قَالَ كَالْغَيْثِ اسْتَدْبَرَتْهُ الرِّيحُ فَيَأْتِي عَلَى الْقَوْمِ فَيَدْعُوهُمْ فَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَجِيبُونَ لَهُ فَيَأْمُرُ السَّمَاءَ فَتُمْطِرُ وَالْأَرْضَ فَتُنْبِتُ فَتَرُوحُ عَلَيْهِمْ سَارِحَتُهُمْ أَطْوَلَ مَا كَانَتْ ذُرًا وَأَسْبَغَهُ ضُرُوعًا وَأَمَدَّهُ خَوَاصِرَ ثُمَّ يَأْتِي الْقَوْمَ فَيَدْعُوهُمْ فَيَرُدُّونَ عَلَيْهِ قَوْلَهُ فَيَنْصَرِفُ عَنْهُمْ فَيُصْبِحُونَ مُمْحِلِينَ لَيْسَ بِأَيْدِيهِمْ شَيْءٌ مِنْ أَمْوَالِهِمْ وَيَمُرُّ بِالْخَرِبَةِ فَيَقُولُ لَهَا أَخْرِجِي كُنُوزَكِ فَتَتْبَعُهُ كُنُوزُهَا كَيَعَاسِيبِ النَّحْلِ ثُمَّ يَدْعُو رَجُلًا مُمْتَلِئًا شَبَابًا فَيَضْرِبُهُ بِالسَّيْفِ فَيَقْطَعُهُ جَزْلَتَيْنِ رَمْيَةَ الْغَرَضِ ثُمَّ يَدْعُوهُ فَيُقْبِلُ وَيَتَهَلَّلُ وَجْهُهُ يَضْحَكُ فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ بَعَثَ اللَّهُ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ فَيَنْزِلُ عِنْدَ الْمَنَارَةِ الْبَيْضَاءِ شَرْقِيَّ دِمَشْقَ بَيْنَ مَهْرُودَتَيْنِ وَاضِعًا كَفَّيْهِ عَلَى أَجْنِحَةِ مَلَكَيْنِ إِذَا طَأْطَأَ رَأْسَهُ قَطَرَ وَإِذَا رَفَعَهُ تَحَدَّرَ مِنْهُ جُمَانٌ كَاللُّؤْلُؤِ فَلَا يَحِلُّ لِكَافِرٍ يَجِدُ رِيحَ نَفَسِهِ إِلَّا مَاتَ وَنَفَسُهُ يَنْتَهِي حَيْثُ يَنْتَهِي طَرْفُهُ فَيَطْلُبُهُ حَتَّى يُدْرِكَهُ بِبَابِ لُدٍّ فَيَقْتُلُهُ ثُمَّ يَأْتِي عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ قَوْمٌ قَدْ عَصَمَهُمْ اللَّهُ مِنْهُ فَيَمْسَحُ عَنْ وُجُوهِهِمْ وَيُحَدِّثُهُمْ بِدَرَجَاتِهِمْ فِي الْجَنَّةِ فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ أَوْحَى اللَّهُ إِلَى عِيسَى إِنِّي قَدْ أَخْرَجْتُ

عِبَادًا لِي لَا يَدَانِ لِأَحَدٍ بِقِتَالِهِمْ فَحَرِّزْ عِبَادِي إِلَى الطُّورِ وَيَبْعَثُ اللَّهُ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ فَيَمُرُّ أَوَائِلُهُمْ عَلَى بُحَيْرَةِ طَبَرِيَّةَ فَيَشْرَبُونَ مَا فِيهَا وَيَمُرُّ آخِرُهُمْ فَيَقُولُونَ لَقَدْ كَانَ بِهَذِهِ مَرَّةً مَاءٌ وَيُحْصَرُ نَبِيُّ اللَّهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ حَتَّى يَكُونَ رَأْسُ الثَّوْرِ لِأَحَدِهِمْ خَيْرًا مِنْ مِائَةِ دِينَارٍ لِأَحَدِكُمْ الْيَوْمَ فَيَرْغَبُ نَبِيُّ اللَّهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ فَيُرْسِلُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ النَّغَفَ فِي رِقَابِهِمْ فَيُصْبِحُونَ فَرْسَى كَمَوْتِ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ يَهْبِطُ نَبِيُّ اللَّهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ إِلَى الْأَرْضِ فَلَا يَجِدُونَ فِي الْأَرْضِ مَوْضِعَ شِبْرٍ إِلَّا مَلَأَهُ زَهَمُهُمْ وَنَتْنُهُمْ فَيَرْغَبُ نَبِيُّ اللَّهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ إِلَى اللَّهِ فَيُرْسِلُ اللَّهُ طَيْرًا كَأَعْنَاقِ الْبُخْتِ فَتَحْمِلُهُمْ فَتَطْرَحُهُمْ حَيْثُ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ يُرْسِلُ اللَّهُ مَطَرًا لَا يَكُنُّ مِنْهُ بَيْتُ مَدَرٍ وَلَا وَبَرٍ فَيَغْسِلُ الْأَرْضَ حَتَّى يَتْرُكَهَا كَالزَّلَفَةِ ثُمَّ يُقَالُ لِلْأَرْضِ أَنْبِتِي ثَمَرَتَكِ وَرُدِّي بَرَكَتَكِ فَيَوْمَئِذٍ تَأْكُلُ الْعِصَابَةُ مِنْ الرُّمَّانَةِ وَيَسْتَظِلُّونَ بِقِحْفِهَا وَيُبَارَكُ فِي الرِّسْلِ حَتَّى أَنَّ اللِّقْحَةَ مِنْ الْإِبِلِ لَتَكْفِي الْفِئَامَ مِنْ النَّاسِ وَاللِّقْحَةَ مِنْ الْبَقَرِ لَتَكْفِي الْقَبِيلَةَ مِنْ النَّاسِ وَاللِّقْحَةَ مِنْ الْغَنَمِ لَتَكْفِي الْفَخِذَ مِنْ النَّاسِ فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ بَعَثَ اللَّهُ رِيحًا طَيِّبَةً فَتَأْخُذُهُمْ تَحْتَ آبَاطِهِمْ فَتَقْبِضُ رُوحَ كُلِّ مُؤْمِنٍ وَكُلِّ مُسْلِمٍ وَيَبْقَى شِرَارُ النَّاسِ يَتَهَارَجُونَ فِيهَا تَهَارُجَ الْحُمُرِ فَعَلَيْهِمْ تَقُومُ السَّاعَةُ[1].

وذكر ما يحصل للإنسان من آخر أيام الدنيا إلى مستقره يوم القيامة فعَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ τ قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى جِنَازَةٍ فَجَلَسَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الْقَبْرِ وَجَلَسْنَا حَوْلَهُ كَأَنَّ عَلَى

[1] المصدر نفسه، كتاب الفتن وأشراط الساعة ( 54) باب إقبال الروم في كثرة القتل عند خروج الدجال ( 11) حديث رقم 2899، ج11 ،ص 33-81.

رُءُوسِنَا الطَّيْرَ وَهُوَ يُلْحَدُ لَهُ فَقَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ ثَلَاثَ مِرَارٍ ثُمَّ قَالَ إِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا كَانَ فِي إِقْبَالٍ مِنْ الْآخِرَةِ وَانْقِطَاعٍ مِنْ الدُّنْيَا تَنَزَّلَتْ إِلَيْهِ الْمَلَائِكَةُ كَأَنَّ عَلَى وُجُوهِهِمْ الشَّمْسَ مَعَ كُلِّ وَاحِدٍ كَفَنٌ وَحَنُوطٌ فَجَلَسُوا مِنْهُ مَدَّ الْبَصَرِ حَتَّى إِذَا خَرَجَ رُوحُهُ صَلَّى عَلَيْهِ كُلُّ مَلَكٍ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَكُلُّ مَلَكٍ فِي السَّمَاءِ وَفُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ لَيْسَ مِنْ أَهْلِ بَابٍ إِلَّا وَهُمْ يَدْعُونَ اللَّهَ أَنْ يُعْرَجَ بِرُوحِهِ مِنْ قِبَلِهِمْ فَإِذَا عُرِجَ بِرُوحِهِ قَالُوا رَبِّ عَبْدُكَ فُلَانٌ فَيَقُولُ أَرْجِعُوهُ فَإِنِّي عَهِدْتُ إِلَيْهِمْ أَنِّي مِنْهَا خَلَقْتُهُمْ وَفِيهَا أُعِيدُهُمْ وَمِنْهَا أُخْرِجُهُمْ تَارَةً أُخْرَى قَالَ فَإِنَّهُ يَسْمَعُ خَفْقَ نِعَالِ أَصْحَابِهِ إِذَا وَلَّوْا عَنْهُ فَيَأْتِيهِ آتٍ فَيَقُولُ مَنْ رَبُّكَ مَا دِينُكَ مَنْ نَبِيُّكَ فَيَقُولُ رَبِّيَ اللَّهُ وَدِينِيَ الْإِسْلَامُ وَنَبِيِّي مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيَنْتَهِرُهُ فَيَقُولُ مَنْ رَبُّكَ مَا دِينُكَ مَنْ نَبِيُّكَ وَهِيَ آخِرُ فِتْنَةٍ تُعْرَضُ عَلَى الْمُؤْمِنِ فَذَلِكَ حِينَ يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: { يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ }.

فَيَقُولُ رَبِّيَ اللَّهُ وَدِينِيَ الْإِسْلَامُ وَنَبِيِّي مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيَقُولُ لَهُ صَدَقْتَ ثُمَّ يَأْتِيهِ آتٍ حَسَنُ الْوَجْهِ طَيِّبُ الرِّيحِ حَسَنُ الثِّيَابِ فَيَقُولُ أَبْشِرْ بِكَرَامَةٍ مِنْ اللَّهِ وَنَعِيمٍ مُقِيمٍ فَيَقُولُ وَأَنْتَ فَبَشَّرَكَ اللَّهُ بِخَيْرٍ مَنْ أَنْتَ فَيَقُولُ أَنَا عَمَلُكَ الصَّالِحُ كُنْتَ وَاللَّهِ سَرِيعًا فِي طَاعَةِ اللَّهِ بَطِيئًا عَنْ مَعْصِيَةِ اللَّهِ فَجَزَاكَ اللَّهُ خَيْرًا ثُمَّ يُفْتَحُ لَهُ بَابٌ مِنْ الْجَنَّةِ وَبَابٌ مِنْ النَّارِ فَيُقَالُ هَذَا كَانَ مَنْزِلَكَ لَوْ عَصَيْتَ اللَّهَ أَبْدَلَكَ اللَّهُ بِهِ هَذَا فَإِذَا رَأَى مَا فِي الْجَنَّةِ قَالَ رَبِّ عَجِّلْ قِيَامَ السَّاعَةِ كَيْمَا أَرْجِعَ إِلَى أَهْلِي وَمَالِي فَيُقَالُ لَهُ اسْكُنْ وَإِنَّ الْكَافِرَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنْ الدُّنْيَا وَإِقْبَالٍ مِنْ الْآخِرَةِ نَزَلَتْ عَلَيْهِ مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ فَانْتَزَعُوا رُوحَهُ كَمَا يُنْتَزَعُ السَّفُّودُ

الْكَثِيرُ الشِّعْبِ مِنْ الصُّوفِ الْمُبْتَلِّ وَتُنْزَعُ نَفْسُهُ مَعَ الْعُرُوقِ فَيَلْعَنُهُ كُلُّ مَلَكٍ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَكُلُّ مَلَكٍ فِي السَّمَاءِ وَتُغْلَقُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ لَيْسَ مِنْ أَهْلِ بَابٍ إِلَّا وَهُمْ يَدْعُونَ اللَّهَ أَنْ لَا تَعْرُجَ رُوحُهُ مِنْ قِبَلِهِمْ فَإِذَا عُرِجَ بِرُوحِهِ قَالُوا رَبِّ فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ عَبْدُكَ قَالَ أَرْجِعُوهُ فَإِنِّي عَهِدْتُ إِلَيْهِمْ أَنِّي مِنْهَا خَلَقْتُهُمْ وَفِيهَا أُعِيدُهُمْ وَمِنْهَا أُخْرِجُهُمْ تَارَةً أُخْرَى قَالَ فَإِنَّهُ لَيَسْمَعُ خَفْقَ نِعَالِ أَصْحَابِهِ إِذَا وَلَّوْا عَنْهُ قَالَ فَيَأْتِيهِ آتٍ فَيَقُولُ مَنْ رَبُّكَ مَا دِينُكَ مَنْ نَبِيُّكَ فَيَقُولُ لَا أَدْرِي فَيَقُولُ لَا دَرَيْتَ وَلَا تَلَوْتَ وَيَأْتِيهِ آتٍ قَبِيحُ الْوَجْهِ قَبِيحُ الثِّيَابِ مُنْتِنُ الرِّيحِ فَيَقُولُ أَبْشِرْ بِهَوَانٍ مِنْ اللَّهِ وَعَذَابٍ مُقِيمٍ فَيَقُولُ وَأَنْتَ فَبَشَّرَكَ اللَّهُ بِالشَّرِّ مَنْ أَنْتَ فَيَقُولُ أَنَا عَمَلُكَ الْخَبِيثُ كُنْتَ بَطِيئًا عَنْ طَاعَةِ اللَّهِ سَرِيعًا فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ فَجَزَاكَ اللَّهُ شَرًّا ثُمَّ يُقَيَّضُ لَهُ أَعْمَى أَصَمُّ أَبْكَمُ فِي يَدِهِ مِرْزَبَةٌ لَوْ ضُرِبَ بِهَا جَبَلٌ كَانَ تُرَابًا فَيَضْرِبُهُ ضَرْبَةً حَتَّى يَصِيرَ تُرَابًا ثُمَّ يُعِيدُهُ اللَّهُ كَمَا كَانَ فَيَضْرِبُهُ ضَرْبَةً أُخْرَى فَيَصِيحُ صَيْحَةً يَسْمَعُهُ كُلُّ شَيْءٍ إِلَّا الثَّقَلَيْنِ قَالَ الْبَرَاءُ بْنُ عَازِبٍ ثُمَّ يُفْتَحُ لَهُ بَابٌ مِنْ النَّارِ وَيُمَهَّدُ مِنْ فُرُشِ النَّارِ[1] .ثم ذكر بعض أحداث الآخرة ـــ الجسام ـــ إلى أن يصير أهل الجنة في الجنة وتنعمون

فعن مَعْبَد بْن هِلَالٍ الْعَنَزِيّ قَالَ: انْطَلَقْنَا إِلَى أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ وَتَشَفَّعْنَا بِثَابِتٍ فَانْتَهَيْنَا إِلَيْهِ وَهُوَ يُصَلِّي الضُّحَى فَاسْتَأْذَنَ لَنَا ثَابِتٌ فَدَخَلْنَا عَلَيْهِ وَأَجْلَسَ ثَابِتًا مَعَهُ عَلَى سَرِيرِهِ فَقَالَ لَهُ يَا أَبَا حَمْزَةَ إِنَّ إِخْوَانَكَ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ يَسْأَلُونَكَ

[1] المصدر نفسه، كتاب الفتن وأشراط الساعة ( 54) باب ذكر الدجال وصفته ومن معه ( 20) حديث رقم 2937، ج11 ، ص 83-71.

أَنْ تُحَدِّثَهُمْ حَدِيثَ الشَّفَاعَةِ قَالَ : حَدَّثَنَا مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ مَاجَ النَّاسُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ فَيَأْتُونَ آدَمَ فَيَقُولُونَ لَهُ اشْفَعْ لِذُرِّيَّتِكَ فَيَقُولُ لَسْتُ لَهَا وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِإِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَام فَإِنَّهُ خَلِيلُ اللَّهِ فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ فَيَقُولُ لَسْتُ لَهَا وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِمُوسَى عَلَيْهِ السَّلَام فَإِنَّهُ كَلِيمُ اللَّهِ فَيُؤْتَى مُوسَى فَيَقُولُ لَسْتُ لَهَا وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِعِيسَى عَلَيْهِ السَّلَام فَإِنَّهُ رُوحُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ فَيُؤتَى عِيسَى فَيَقُولُ لَسْتُ لَهَا وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأُوتَى فَأَقُولُ أَنَا لَهَا فَأَنْطَلِقُ فَأَسْتَأْذِنُ عَلَى رَبِّي فَيُؤْذَنُ لِي فَأَقُومُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَأَحْمَدُهُ بِمَحَامِدَ لَا أَقْدِرُ عَلَيْهِ الْآنَ يُلْهِمُنِيهِ اللَّهُ ثُمَّ أَخِرُّ لَهُ سَاجِدًا فَيُقَالُ لِي يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ وَقُلْ يُسْمَعْ لَكَ وَسَلْ تُعْطَهْ وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ فَأَقُولُ رَبِّ أُمَّتِي أُمَّتِي فَيُقَالُ انْطَلِقْ فَمَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ بُرَّةٍ أَوْ شَعِيرَةٍ مِنْ إِيمَانٍ فَأَخْرِجْهُ مِنْهَا فَأَنْطَلِقُ فَأَفْعَلُ ثُمَّ أَرْجِعُ إِلَى رَبِّي فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ الْمَحَامِدِ ثُمَّ أَخِرُّ لَهُ سَاجِدًا فَيُقَالُ لِي يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ وَقُلْ يُسْمَعْ لَكَ وَسَلْ تُعْطَهْ وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ فَأَقُولُ أُمَّتِي أُمَّتِي فَيُقَالُ لِي انْطَلِقْ فَمَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ فَأَخْرِجْهُ مِنْهَا فَأَنْطَلِقُ فَأَفْعَلُ ثُمَّ أَعُودُ إِلَى رَبِّي فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ الْمَحَامِدِ ثُمَّ أَخِرُّ لَهُ سَاجِدًا فَيُقَالُ لِي يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ وَقُلْ يُسْمَعْ لَكَ وَسَلْ تُعْطَهْ وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ فَأَقُولُ يَا رَبِّ أُمَّتِي أُمَّتِي فَيُقَالُ لِي انْطَلِقْ فَمَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ أَدْنَى أَدْنَى أَدْنَى مِنْ مِثْقَالِ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ فَأَخْرِجْهُ مِنْ النَّارِ فَأَنْطَلِقُ فَأَفْعَلُ.

هَذَا حَدِيثُ أَنَسٍ الَّذِي أَنْبَأَنَا بِهِ فَخَرَجْنَا مِنْ عِنْدِهِ فَلَمَّا كُنَّا بِظَهْرِ الْجَبَّانِ قُلْنَا لَوْ مِلْنَا إِلَى الْحَسَنِ فَسَلَّمْنَا عَلَيْهِ وَهُوَ مُسْتَخْفٍ فِي دَارِ أَبِي خَلِيفَةَ قَالَ فَدَخَلْنَا عَلَيْهِ فَسَلَّمْنَا عَلَيْهِ فَقُلْنَا يَا أَبَا سَعِيدٍ جِئْنَا مِنْ عِنْدِ أَخِيكَ أَبِي حَمْزَةَ فَلَمْ نَسْمَعْ مِثْلَ

حَدِيثٍ حَدَّثَنَاهُ فِي الشَّفَاعَةِ قَالَ هِيَهِ فَحَدَّثْنَاهُ الْحَدِيثَ فَقَالَ هِيَهِ قُلْنَا مَا زَادَنَا قَالَ قَدْ حَدَّثَنَا بِهِ مُنْذُ عِشْرِينَ سَنَةً وَهُوَ يَوْمَئِذٍ جَمِيعٌ وَلَقَدْ تَرَكَ شَيْئًا مَا أَدْرِي أَنَسِيَ الشَّيْخُ أَوْ كَرِهَ أَنْ يُحَدِّثَكُمْ فَتَتَّكِلُوا قُلْنَا لَهُ حَدِّثْنَا فَضَحِكَ وَقَالَ:{ خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ}.

مَا ذَكَرْتُ لَكُمْ هَذَا إِلَّا وَأَنَا أُرِيدُ أَنْ أُحَدِّثَكُمُوهُ ثُمَّ أَرْجِعُ إِلَى رَبِّي فِي الرَّابِعَةِ فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ الْمَحَامِدِ ثُمَّ أَخِرُّ لَهُ سَاجِدًا فَيُقَالُ لِي يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ وَقُلْ يُسْمَعْ لَكَ وَسَلْ تُعْطَ وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ فَأَقُولُ يَا رَبِّ ائْذَنْ لِي فِيمَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ قَالَ لَيْسَ ذَاكَ لَكَ أَوْ قَالَ لَيْسَ ذَاكَ إِلَيْكَ وَلَكِنْ وَعِزَّتِي وَكِبْرِيَائِي وَعَظَمَتِي وَجِبْرِيَائِي لَأُخْرِجَنَّ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ قَالَ فَأَشْهَدُ عَلَى الْحَسَنِ أَنَّهُ حَدَّثَنَا بِهِ أَنَّهُ سَمِعَ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ أُرَاهُ قَالَ قَبْلَ عِشْرِينَ سَنَةً وَهُوَ يَوْمَئِذٍ جَمِيعٌ[1] .

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ:أُتِيَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا بِلَحْمٍ فَرُفِعَ إِلَيْهِ الذِّرَاعُ وَكَانَتْ تُعْجِبُهُ فَنَهَسَ مِنْهَا نَهْسَةً فَقَالَ أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَهَلْ تَدْرُونَ بِمَ ذَاكَ يَجْمَعُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَيُسْمِعُهُمْ الدَّاعِي وَيَنْفُذُهُمْ الْبَصَرُ وَتَدْنُو الشَّمْسُ فَيَبْلُغُ النَّاسَ مِنْ الْغَمِّ وَالْكَرْبِ مَا لَا يُطِيقُونَ وَمَا لَا يَحْتَمِلُونَ فَيَقُولُ بَعْضُ النَّاسِ لِبَعْضٍ أَلَا تَرَوْنَ مَا أَنْتُمْ فِيهِ أَلَا تَرَوْنَ مَا قَدْ بَلَغَكُمْ أَلَا تَنْظُرُونَ مَنْ يَشْفَعُ لَكُمْ إِلَى رَبِّكُمْ فَيَقُولُ بَعْضُ النَّاسِ لِبَعْضٍ ائْتُوا آدَمَ فَيَأْتُونَ آدَمَ فَيَقُولُونَ يَا آدَمُ أَنْتَ أَبُو الْبَشَرِ خَلَقَكَ اللَّهُ بِيَدِهِ وَنَفَخَ

[1] البخاري ،صحيح البخاري ــ كتاب التوحيد (97)، بَاب قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى:{ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ } (19) حديث رقم 7410، ج15، ص 347.

فِيكَ مِنْ رُوحِهِ وَأَمَرَ الْمَلَائِكَةَ فَسَجَدُوا لَكَ اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ أَلَا تَرَى إِلَى مَا قَدْ بَلَغَنَا فَيَقُولُ آدَمُ إِنَّ رَبِّي غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ وَإِنَّهُ نَهَانِي عَنْ الشَّجَرَةِ فَعَصَيْتُهُ نَفْسِي نَفْسِي اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي اذْهَبُوا إِلَى نُوحٍ فَيَأْتُونَ نُوحًا فَيَقُولُونَ يَا نُوحُ أَنْتَ أَوَّلُ الرُّسُلِ إِلَى الْأَرْضِ وَسَمَّاكَ اللَّهُ عَبْدًا شَكُورًا اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ أَلَا تَرَى مَا نَحْنُ فِيهِ أَلَا تَرَى مَا قَدْ بَلَغَنَا فَيَقُولُ لَهُمْ إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ وَإِنَّهُ قَدْ كَانَتْ لِي دَعْوَةٌ دَعَوْتُ بِهَا عَلَى قَوْمِي نَفْسِي نَفْسِي اذْهَبُوا إِلَى إِبْرَاهِيمَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ فَيَقُولُونَ أَنْتَ نَبِيُّ اللَّهِ وَخَلِيلُهُ مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ أَلَا تَرَى إِلَى مَا قَدْ بَلَغَنَا فَيَقُولُ لَهُمْ إِبْرَاهِيمُ إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ وَلَا يَغْضَبُ بَعْدَهُ مِثْلَهُ وَذَكَرَ كَذَبَاتِهِ نَفْسِي نَفْسِي اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي اذْهَبُوا إِلَى مُوسَى فَيَأْتُونَ مُوسَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيَقُولُونَ يَا مُوسَى أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ فَضَّلَكَ اللَّهُ بِرِسَالَاتِهِ وَبِتَكْلِيمِهِ عَلَى النَّاسِ اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ أَلَا تَرَى مَا قَدْ بَلَغَنَا فَيَقُولُ لَهُمْ مُوسَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ وَإِنِّي قَتَلْتُ نَفْسًا لَمْ أُومَرْ بِقَتْلِهَا نَفْسِي نَفْسِي اذْهَبُوا إِلَى عِيسَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيَأْتُونَ عِيسَى فَيَقُولُونَ يَا عِيسَى أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلَّمْتَ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَلِمَةٌ مِنْهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَاشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ أَلَا تَرَى مَا نَحْنُ فِيهِ أَلَا تَرَى مَا قَدْ بَلَغَنَا فَيَقُولُ لَهُمْ عِيسَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ وَلَمْ يَذْكُرْ لَهُ ذَنْبًا نَفْسِي نَفْسِي اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي

اذْهَبُوا إِلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيَأْتُونِّي فَيَقُولُونَ يَا مُحَمَّدُ أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ وَخَاتَمُ الْأَنْبِيَاءِ وَغَفَرَ اللَّهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ أَلَا تَرَى مَا نَحْنُ فِيهِ أَلَا تَرَى مَا قَدْ بَلَغَنَا فَأَنْطَلِقُ فَآتِي تَحْتَ الْعَرْشِ فَأَقَعُ سَاجِدًا لِرَبِّي ثُمَّ يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَيَّ وَيُلْهِمُنِي مِنْ مَحَامِدِهِ وَحُسْنِ الثَّنَاءِ عَلَيْهِ شَيْئًا لَمْ يَفْتَحْهُ لِأَحَدٍ قَبْلِي ثُمَّ يُقَالُ يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ سَلْ تُعْطَهْ اشْفَعْ تُشَفَّعْ فَأَرْفَعُ رَأْسِي فَأَقُولُ يَا رَبِّ أُمَّتِي أُمَّتِي فَيُقَالُ يَا مُحَمَّدُ أَدْخِلْ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِكَ مَنْ لَا حِسَابَ عَلَيْهِ مِنْ الْبَابِ الْأَيْمَنِ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ وَهُمْ شُرَكَاءُ النَّاسِ فِيمَا سِوَى ذَلِكَ مِنْ الْأَبْوَابِ وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ إِنَّ مَا بَيْنَ الْمِصْرَاعَيْنِ مِنْ مَصَارِيعِ الْجَنَّةِ لَكَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَهَجَرٍ أَوْ كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَبُصْرَى[1].

فطوبى لمن آمن بالغيب وصدق رسول الله ρ وعمل لما بعد الموت ألم ( 1) ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ ( 2) الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ( 3) وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ( 4) أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ[2].

[1] المصدر نفسه، كتاب أحاديث الأنبياء (60)، بَاب قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى:{ ولقد أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ } (3) حديث رقم 3340، ج 7، ص15.

[2] سورة البقرة، الآية 1 – 5.

# الفصل الثالث

## دلالات الغيب عند علماء الكلام

**المبحث الأول : الغيب عند المعتزلة.**

**المبحث الثاني : الغيب عند الأشاعرة.**

تاريخ الفكر الإسلامي حافل بالأفكار الخصبة و الأصيلة، منهلها تيارات وفرق لا تحصى، قيل بها ونسجت خيوطها داخل العقيدة الإسلامية نفسها دفاعا عنها أو تعميقا لها لفهم روحها على الوجه الصحيح. وقد وصل التباين الحاصل داخلها إلى حدّ التناقض الشديد في أنحاء عديدة ، مثلما هو واضح بخصوص الفرق الكلامية المتعددة ، غير أنّ الملفت للإنتباه أنّ هذا التباين في المعارك الفكرية الضاربة يبقى ثريا بثراء النتائج التي آلت إليها .

ومن هذه الفرق الكلامية سنحاول عرض فرقتين كان لهما شأن عظيم بخصوص قراءة وتأويل النص الديني، ونعني بها المعتزلة و الأشاعرة ، وهما أكبر الفرق الكلامية دون ما شك.وقبل الحديث عن حمولتهما الفكرية و الآليات الإبستيمولوجية (أي المعرفية) التي اعتمدت في خطابهما التأويل للمعطى الغيبي، يجدر بنا تعريف علم الكلام وطبيعته والغرض الديني في نشأته.

وعلم الكلام هو واحد من المجالات الثلاثة التي تتألف منها الفلسفة الإسلامية بمعناها العام: علم الكلام، الفلسفة الإسلامية الخالصة والتصوف، وعلم الكلام هو علم التوحيد، أو ما يدعى علم اللاهوت، (théologie) عند المسيحيين يبحث في أصول العقيدة الإسلامية بمنهج عقلي، وبعبارة أخرى: إنه تأمل فلسفي في إطار العقيدة الإسلامية، وهذا يعني أن المتكلم مهما كان المذهب الذي يتبناه يسلم بأركان الإيمان الديني الخمسة، الواردة في القرآن الكريم، وفي بعض الأحاديث النبوية الشريفة؛ وجود الله سبحانه، ملائكته، كتبه المنزلة، واليوم الآخر، بقي الركن السادس الذي وقع حوله

الاختلاف من حيث القبول أو الرفض، بصفة مطلقة أو بصفة نسبية، وهو الإيمان بالقضاء والقدر خيره وشره.

إذن، فعلم الكلام هو البحث الفكري النظري الذي يتخصص في ضبط المفاهيم الدينية، وإثبات الأحكام أو المواقف المتخذة من مختلف المسائل العلمية، مثل حدوث العالم، صفات الحشر يوم القيامة، صفات الله عز وجل، مدى حرية العبد في القيام بالفعل، وأول مسألة انبثق عنها علم الكلام والتوحيد هي الحاكمية أي الخلافة، فمن الأجدر بها؟ وما هي صفاته؟ [1].

ومهما يكن، فإن المتكلمين بدون استثناء يحرصون على أن تكون نتائج تأملاتهم وبحوثهم النظرية موافقة للوحي الذي يتجلى في القرآن الكريم والسنة النبوية، أقوالا وأفعالا، فإذا كان صريح النقل أو الوحي موافقا للعقل فذاك، وإلا اجتهد المتكلم في تأويل الوحي أو النقل بما يوافق رأيه. هذا عن تعريف علم الكلام، فما ذا عن عوامل نشأته؟ .

يمكن تقسيم العوامل إلى داخلية وخارجية، ونقصد بالأول الدوافع النابعة من صلب العقيدة الإسلامية، وهي القرآن والسنة، والنابعة من أيضا من الواقع السياسي للمسلمين، كما نقصد بالثاني الثقافات الأجنبية الوافدة، وفيما يلي توضيح ذلك في فقرات:

[1]- تركي إبراهيم محمد، علم الكلام بين الدين والفلسفة، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية ( 1429-2008)، ص19. - يحيى هويدي، دراسات في علم الكلام والفلسفة الإسلامية، دار الثقافة والتوزيع، القاهرة (1423- 2002)، ط/3، ص77. - عصام الدين محمد علي، تاريخ الفلسفة الإسلامية، منشأة المعارف بالإسكندرية، (د ت).

## عامل القرآن الكريم:

إن القرآن الكريم يدعو إلى الجدل البناء، الهادف إلى بلوغ الحقيقة للرد على الوثنيين، المجوس اليهود والنصارى، غيرهم من أصحاب الديانات التي كانت متواجدة بكثرة في شبه الجزيرة العربية، والقرآن ذاته حافل بجملة من الحجج للرد على هؤلاء، وهذا ما يجعلنا نتأنى ونتريث في تصدي ما يقال أو يشاع من أن السلف الصالح رفضوا الجدل جملة وتفصيلا، قاطعوا التأمل الفكري، ليقنعوا بالتسليم المطلق، وإنما كان ذلك هو موقف بعض الفقهاء أمثال الغزالي وابن تيمية.

وإذا كان لا بد من الوقوف قليلا عند هذه النقطة، نقول بأن المسلمين الأول إن انصرفوا عن الاشتغال بمسائل الفلسفة الميتافيزيقية واللاهوت؛ فهـــذا لإيمانهم العميق والقوي بالعقيدة، ما منعهم من إثارة شكوك حولها، وكذلك لانشغالهم بتطبيق ما جاء به الدين الجديد من مبادئ وقواعد شرعية في حياتهم العملية [1]، أما النصوص التي تدعو إلى الجدل الهادف الحكيم أو تلك التي تعرض حججا وبراهين وجدت من أجل تفنيد دعاوى وحجج الأقوام الأخرى المعادية، فهي من الكثرة بحيث لا نستطيع عرضها في مقال وجيز، ويكفي أن نذكر ما يلي من الآيات الكريمة في هذا الشأن: (ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن، إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين) [2]، (أولم ينظروا في ملكوت السماوات والأرض وما خلق الله من شيء) [3]، (فلينظر الإنسان مم خلق؟) [4]، (فلينظر الإنسان إلى

---

[1] المرجع السابق، يحيى هويدي، ص72.

[2] سورة النحل، الآية 125.

[3] سورة الأعراف، الآية 185.

[4] سورة الطارق، الآية 05.

طعامه، إنا صببنا الماء صبا ثم شققنا الأرض شقا، فأنبتنا فيها حبا وعنبا وقضبا وزيتونا ونخلا وحدائق غلبا، وفاكهة وأبا متاعا لكم ولأنعامكم) [1]،(إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب) [2]، (أفي الله شك فاطـــر السمـــاوات والأرض يدعـــوكم ليغفر لكـــم من ذنوبكم ويؤخركم إلى أجل مسمى) [3].

كما يتضمن كتاب الله تبارك وتعالى تكريما للعلم والعلماء والحكمة والحكماء وذلك مثل قوله تعالى:(وقل رب زدني علما) [4]،(هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون) [5]،(يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا) [6] (شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط) [7].

**الدافع السياسي:**

أما الدوافع المتمثلة في ظروف المسلمين السياسية والاجتماعية لنشـــأة علم الكلام، فتتلخص في الخلاف الناشب بين المسلمين إثر وفاة النبي –صلى الله عليه وسلم- حول

---

[1] سورة النبأ، الآية 24 – 32.

[2] سورة آل عمران، الآية 190.

[3] سورة إبراهيم، الآية 10.

[4] سورة طه، الآية 114.

[5] سورة الزمر ، الآية 9.

[6] سورة البقرة، الآية 269.

[7] سورة آل عمران، الآية 18.

الجدير بالخلافة والإمامة[1]، وهو خلاف سياسي بالدرجة الأولى، وقد انقسما بشأنه إلى ثلاث طوائف، وهي:

ـــ طائفة الأنصار الذين رأوا أنهم هم أحق بالخلافة لأنهم هم الذين آووا الرسول ونصروه.

ـــ طائفة المهاجرين الذين رأوا أن الخلافة يجب أن تكون فيهم، لأنهم السابقون إلى الإسلام، وأغلبهم من قريش.

ـــ طائفة بني هاشم الذين قالوا بأنهم أقرب إلى الرسول –عليه الصلاة والسلام- ولذا فالخلافة يجب أن تكون من نصيبهم.

غير أن ما كان من مبادرة سيدنا عمر لمبايعة سيدنا أبي بكر بالخلافة وما يكنه المسلمون في نفوسهم من تقدير وتبجيل لأبي بكر خليفة للمسلمين، لكن هذا لا يعني زوال وإنهاء الخلافة بصفة مطلقة، وإنما تم إرجاؤه وتأجيله فقط، ليطفو من جديد على السطح بعد سنوات، ويستفحل لتنبثق عنه عواقب وخيمة في عهد خلافة سيدنا عثمان، تتلخص فيما عرف عند المؤرخين بالفتنة الكبرى، وهي فتنة شهدت بداية انحراف المسلمين السياسي وتطاحنهم، هذا التطاحن وهذا الانحراف عن أسلوب المبايعة الحرة الذي سيعمر طيلة قرون وقرون ويمتد إلى عصرنا هذا.

ومن هنا ونظرا لغياب قواعد ثابتة ومعايير تناسب مع سداد وسمو القرآن الكريم لاختيار الخليفة، نشأت أسباب الفتنة الدفينة والخلاف الحاد السياسي الذي سيتطور إلى

[1] المرجع السابق د/ يحيى هويدي، ص83 – 93. المرجع السابق، د/ محمد تركي، ص22 – 24.

خلاف فكري فلسفي وإيديولوجـــي، أي إلى صـــراع مذهبي تدور رحاه بين الشيعة وأهل السنة والجماعة، في بداية الأمر.

ثم نشب الخلاف بين الشيعة والخوارج والمرجئة، هذه المذاهب التي نشأت في نهاية الخلافة الراشـــدة، وفي العهد الأموي ينشأ المذهب الجبري ويذيع صيته، أما في العهد العباسي فيظهر مذهب معارض له مشهود له بقوة الحجة العقلية وبالانتصار إلى المنهج العقلي وتغليبه على المنهج النقلي، ألا وهو مذهب المعتزلة، الذي يبلغ معه علم الكلام ذروته من حيث الجرأة في اتخاذ المواقف، والجدية في تناول المسائل بعمق ودقة، والصرامة المنطقية في إقامة الحجج، أو تفنيد حجج الخصوم، كما سيتبين لاحقا.

إن ما بلغه مذهب الاعتزال من نتائج فلسفية لم يكد يرقى إليها أي فيلسوف من فلاسفة الإســـلام، ومن هذا المذهب يتولد المذهب الأشعري الذي سيسعى إلى إعادة الاعتبار لمذهب أهل السنة والجماعـــة، من أجل التوفيق بين علم الكلام والفقه من جهة، والتوفيق بين مذاهب السنة الفقهية الأربعة من جهة أخرى.

وهو المذهب الذي سيكتب له الدوام والبقاء إلى زماننا هذا، لأن السواد الأعظم من الناس يميلون إلى التوسط أو التشبث بالوسط الذهبي بين المواقف المتعارضة والمذاهب المتصارعة، مهما كان الأساس الذي يقوم عليه هذا التوسط والتوفيق، قويا أو ضعيفا، عميقا أو سطحيا، وهذا لأن في التوفيق إرضاء لجميع الأطراف، وكسب لجميع الأصوات، وطمأنينة روحية واكتفاء بما هو معطى، ومدعاة للراحة الفكرية أو قل للكسل الفكري الذي كان يقوم به المرحوم أستاذ الفلسفة المغربي عبد العزيز لحبابي، ومهما يكن من أمر فإن كل مذهب من المذاهب السابقة هو نسق إيديولوجي لحماية

نظام سياسي قائم كالنظام الأموي أو العباسي أو للدعاية لاتجاه معارض كالاتجاه الشيعي مثلا.

**الثقافات الأجنبية الوافدة:**

إن اختلاف العقيدة الإسلامية عن العقائد الأخرى من مجوسية وثنية ويهودية ومسيحية، كان عاملا مهما في نشأة علم الكلام، وتحديد مسائله ومواضيعه.

إن أصحاب هذه العقائد المعادية لما يئسوا من التصدي للفتوحات الإسلامية عسكريا وسياسيا، عمدوا إلى مقاومة الإسلام فكريا، دينيا وفلسفيا، فاتجهوا إلى البحث عن أي خلـــــل أو موطن ضعف في هذا الدين لإبرازه والتهويل من شأنه، من أجل إقناع العامة والخاصة على السواء بالتخلي عنه واعتناق غيره من المذاهب الدينية، كما اتجه هؤلاء الأعداء إلى مزج الإسلام بمفاهيم أو تعاليم أو طقوس مستمدة من تراثهم الديني بهدف تشويهه وتفريغه من محتواه، وبالتالي قتله وتحنيطه وجعل المسلمين مجوسا أو نصارى من حيث الجوهر والمحتـــوى، فلا يبقى لهـــم من دينهم سوى الشكل والاسم، وعندئذ تسهل هزيمة الإسلام، وتعود الغلبة لهذه العقائد المعادية[1].

أمام هذا الوضع لم يكن هناك مناحي لعلماء الإسلام من الوقـــوف بقوة وهمـــة للدفـــاع عن العقيدة بالأدلة العقلية أمام هذا الغزو الثقافي، فالاعتماد على الأدلة النقلية إن كان يجـــــدي في مناقشة الخصوم من نفس الملة أي ملة الإسلام، فهو تبرير لا معنى

[1] المرجع السابق، د/ محمد تركي، ص 25 – 26.

له إن تعلق الأمر بمناقشة الخصوم من الملل الأخرى، وهذا لأن هؤلاء الخصوم لا يؤمنون بأن القرآن كلام الله سبحانـــه، فلو كانوا كذلك لما شككوا في العقيدة الإسلامية.

إن الاعتماد على النصوص القرآنية أي على الوحي في محاولة إقناع هؤلاء خطأ منطقي ومغالطة تدعى بالمصادرة على المطلوب، وتعني استعمال النتيجة أو المطلوب إثباته في مقدمات البرهان، إذن، فلا بد من البحث عن مقدمات خارجية عن النص الذي يمكن به إفحام هؤلاء الخصوم.

ولكي يتم هذا الإفحام، لا بد من دراسة آليات وأدوات الشروط الصورية لبناء استدلالات سليمة وحجج قوية، إذن، فلا بد من دراسة فن الجدل أو علم المنطق، فانبرى علماء الإسلام والكلام لدراسته قصد التسلح من أجل الدفاع عن العقيدة، فالفكر لا يحارب إلى بالفكر، والبقاء للأصلح.

ومن هنا، يتبين لنا أن الدافع المباشر الأول لنشأة علم الكلام أو التوحيد كان سياسيا، ولكن ما لبث أن أصبح محكوما بدوافع دينية، فلسفية وإيديولوجية، ولذلك توســـع النقاش وتحـــول من مسألة الإمامة أو الخلافة إلى مسائل ميتافيزيقية غيبية، مثل: الألوهية، الحرية، المسئولية، مصير الإنسان..، ومع توسع النقاش واحتدام الجدل انفتحت الشهية للبحث النظري والمناظرات والمساجلات فتعددت المذاهب والمشارب والمدارس التي ذكرنا أشهرها، وفيما يلي سنكتفي بالتركيز على مدرستين لتناولهما بالتحليل والمناقشة، وهما: مذهب الاعتزال، والمذهب الأشعري، واختيارنا له ما يبرره؛ فالأول لقوته الفكرية الفلسفية، والثاني لبقاء تأثيره وأنصاره إلى اليوم.

## 1/ المعتزلة :

تعتبر فرقة المعتزلة من أهم الفرق الإسلامية على الإطلاق لمواقفها الجريئة من جهة، ولاعتمادها على المنهج العقلي المتميّز القائم على النظر و الاستنباط والتميّز.

وعن تسميتها بهذا الاسم، درج المؤرخون الاعتماد على نص الحادثة التي وقعت بين واصل ابن عطاء و الحسن البصري بخصوص مرتكب الكبيرة ، إذ زعمت فرقة الأزارقة من الخوارج أنه مشرك كافر، وقالت الإباظية أنه موحد كافر وليس مشركا ، وقال الجمهور الأعظم من الصحابة والتابعين أنه مؤمن بتوحيده ومعرفته بربه و تصديقه لكتبه ورسله، فاسق بكبيرته، فخرج واصل بن عطاء عن أقوال الأمة في هذا الأصل وقال أنه فاسق، لا مؤمن ولا كافر، وجعل الفاسق في مترلة بين المترلتين ، ... فلما رأى الحسن خلاف واصل على الأمة ، طرده من مجلسه ، فاعتزل عنه إلى سارية من سواري مسجد البصرة ....فقال الناس فيه: إنه اعتزل الأمة ، فسمي أتباعه المعتزلة [1].وفي رواية أخرى ، أن واصل اعتزل المجلس تلقائيا وكون فرقة خاصة به فقال الحسن :" لقد اعتزلنا واصل".

لكن الذي يهمنا من هذه التسمية، رغم الخلاف الذي وقع فيه المؤرخون ، هو أن ظهورهم كان لحاجة دينية عقائدية ملحة لّما كان المسلمون منشغلين بخصوص إشكالية مرتكب الكبيرة. لكن لا يجوز إغفال السبب السياسي لنشأة وسيادة مذهب الاعتزال في العهد العباسي.

[1] أبو الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، الملل والنحل، تحقيق أبو محمد بن فريد، المكتبة التوفيقية، مصر، (د ت)، ص 83.

يجمع المعتزلة عامة على القول بالأصول الخمسة ، وهي :

- التوحيد .

- العدل .

- الوعد والوعيد .

- المترلة بين المترلتين .

- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وقد تساءل القاضي عبد الجبار عن السبب في الانتصار على هذه الأصول الخمسة وأجاب بأن قال: "لا خلاف أن المخالفين لنا لا يعدون أحد هذه الأصول، ألا ترى أن خلاف الملاحدة، المعطّلة، الدهرية والمشبهة – قد دخل في التوحيد – وخلاف المجبرة بأسرهم داخل في باب العدل، – وخلاف المرجئة داخل في باب الوعد و الوعيد – و خلاف الخوارج داخل تحت المترلة بين المترلين وخلاف الإمامية داخل في باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر" [1].

وهذا يعني أن هذه الأصول عقيدة و من خالفها خرج عنها ، بمعنى خروج سائر الطوائف والفرق عن العقيدة نفسها فيما يرى المعتزلة.

– و يلخص أحمد بن يحي بن المرتضي ((840-1437)) في كتابه: المنية والأمل في شرح كتاب ((الملل و النحل)) ما أجمعت عليه المعتزلة فيقول :

[1] بدوي عبد الرحمن، مذاهب الإسلاميين، دار العلم للملايين، بيروت ، لبنان، (1392-1971)، ط/1، ص 56.

((أجمعت المعتزلة أن للعالم محدثا قديما قادرا عالما حيا، ليس بجسم ولا عرض ولا جوهر غنيا واحدا لا يدرك بحاسة عدلا حكيما ؛ لا يفعل القبيح و لا يريده؛ كلف تعويضا للثواب، ومكن من الفعل و أزاح العلّة؛ و لا بدّ من الجزاء، وعلى وجوب البعثة حيث حسنت، ولا بد للرسول – صلى الله عليه وسلم–من شرع جديد ، أو إحياء مندرس أو فائدة لم تحصل من غيره ؛ و أن آخر الأنبياء محمد صلى الله عليه وسلم؛ و القرآن معجزة له، و أن الإيمان قول ومعرفة وعمل، وأن المؤمن من أهل الجنة و( أجمعوا) على المنزلة بين المنزلين، و هو أن الفاسق لا يسمى مؤمنا و لا كافرا ، إلا من يقول بالإرجاء : فإنه يخالف في تفسير الإيمان ، وفي المنزلة فيقول : الفاسق يسمى مؤمنا و أجمعوا أن فعل العبد غير مخلوق فيه، وأجمعوا على تولي الصحابة ؛ و اختلفوا في عثمان بعد الأحداث التي أحدثها : فأكثرهم تولاه وتأوّل له كما مرّ وكما سيأتي ؛وأكثرهم على البراءة من معاوية وعمرو بن العاص. وأجمعوا على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ))[1].

إلى هنا نستشف السياق الثقافي الديني الذي ظهرت بموجبه هذه المبادئ وهذه الأصول كما نستشف الدلالة العقلية القائمة على النظر في مسائل العقيدة ، وهذا ما انفراد به دون ما شك عن غيرهم من الفرق الكلامية. و الآن يمكننا بالوقوف على هذه الأصول الخمس لهدف إبراز البعد العقلي المتميّز في فهم أصول العقيدة وفهم جانبها الغيبي. قراءتهم التأويلية لأصولهم الخمسة :

لا شك أن قول المعتزلة بهذه الأصول الخمس قول مؤسس تأسيسا عقليا يتماشى مع بنيتهم الفكرية بوجه عام . فماذا عن تأويلهم و قراءتهم العقلية لهذه الأصول؟.

[1] المرجع السابق، بدوي عبد الرحمن، ص 53 – 54.

## أولا : التوحيد :

يحتل التوحيد عندهم مكانة عظيمة ،نجد لها تأويلا عقليا خاصا بها إن في نصوص القرآن أو في نصوص السنة النبوية، صحيح أن كلّ مسلم يفترض فيه القول والشهادة بأن (( لا إله إلا الله وحده لا شريك له )) غير أنّ المعتزلة أفاضوا في تحليلاتهم بخصوص هذه المسألة . فهم بادئ ذي بدء يقولون بالتوحيد كتتريه عن كلّ الصفات عن الله تبارك وتعالى .

فقد اعتمدوا على آيات كثيرة تثبت معنى التوحيد و ما يتضمنه من تتريه كقول الله تعالى:((ليس كمثله شيء )) [1] وقد أوجدوا آيات لمنع القول لوجود الله في جهة معينة مثل قوله تعالى ((ولله المشرق و المغرب فأينما تولوا فثم وجه الله))[2].

و لو أنّ هناك آيات ظاهرها يوحي بالجهة مثل قوله تعالى:(( ثمّ استوى على العرش))[3] أو قوله تعالى ((آمنتم من في السماء )) [4]. فإنهم مع ذلك يؤولون الأمر تأويلا يتماشى مع طابع التتريه ما دام الإسلام دين توحيد وتتريه وقد أجمعوا بالرأي القائل: ((إنّ الله واحد ليس كمثله شيء، و ليس نجما و لا شبحا ، ولا حيّة و لا صورة ، و لا لحما ولا دما ، ولا شخصا، ولا جوهرا ولا عرضا ، ولا بذي لون ، ولا طعم ، ولا

---

[1] سورة الشورى ، الآية 11.

[2] سورة البقرة ، الآية 115.

[3] سورة الأعراف ، الآية 56.

[4] سورة الملك ، الآية 16.

رائحة ولا مجسة و لا بذي حرارة ... ولا بذي يمين وشمال ، وأمام وخلف، وفوق وتحت، و لا يحيط به مكان ، ولا يجري عنه زمانه ... عالم قادر حي لا كالعلماء القادرين ... و لا إله سواه و لا شريك له في ملكه ولا وزير له في سلطانه، ولا معين على إنشاء ما أنشأ وخلق ما خلق))[1].

ومن المسائل التي نستشفها في هذا النص لتوكيد رؤيتهم العقلية غير المسبوقة في باب التأويل هو نفي الجهة والمكان و في نفي ما تميز بها هو جسمي ، ذلك أنه إذا ما نفينا صفة الجسم نفينا بالضرورة صفة الجهة و المكان، و إذا ما انتفت الجهة انتفت رؤية الناس له ))[2].

فماذا يكون هذا الكلام كله إن لم يكن كلاما جريئا أولا وكلاما منفوخا بمعاني النظر والاستدلال، فكما لو كنا أمام برهان من نوع الإستدلال القائم على لزوم النتائج عن المقدمات اضطرارا شبيها بمعاني القياس و الإستدلال المقدمات اضطرارا شبيها بمعاني القياس و الإستدلال المقدمات اضطرارا شبيها بمعاني القياس و الإستدلال.

**ثانيا : العدل :**

وهو الأصل الثاني من أصول المعتزلة، يرتبط قطعا بمعنى حرية الإرادة وبمعنى القضاء والقدر المشتق من مبدإ العدل الإلهي... وبمقتضى مبدأ العدل، هاجم المعتزلة القائلين بالجبر وبانتفاء إرادة الإنسان، وهو الموقف الذي قال به جهم بن صفوان المعروف بمؤسس فرقة الجهمية، فموقف هذا الأخير كان في نظـــر المعتزلة يتنافى ومفهـــوم التكليف،

[1] الأشعري، مقالات الإسلاميين، ص 24.

[2] المصدر نفسه، ص 26.

و يتنافى مع المعنى الذي ينطوي عليه العدل الإلهي . وقد جاء في القرآن الكريم قوله تعالى: ((وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ))[1]. وفي الآية الأخرى (( وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُون))[2]. ففي رأى المعتزلة أنّ هذا توكيد على انتفاء الظلم عن الله تعالى. ولتوكيد رأيهم في العدل قالوا بحرية الاختيار وقالوا بأنّ أفعال الإنسان هي من خلقه ، إذ ذهبوا إلى أن الله يثيب العباد ويعاقبهم بحسب أفعالهم ، وإذا استحقوا العذاب حشروا في النار خالدين فيها، و إذا استحقوا الثواب أقاموا في النعيم خالدين فيه ، ذلك أنّ وعد الله ووعيده صادق كما قالوا[3].

وقد ذهب المعتزلة كذلك إلى القول بأن الحسن و القبح ذاتيان، فالكذب فيه قبح ذاتي والصدق فيه حسن ذاتي ، فجميع الأعمال الحسنة من عدل، صدق، شجاعة وكرم فيها نفسها صفة جعلتها حسنة وجعلتنا نحكم عليها بالحسن إذ رأيناها، وجميع الأعمال القبيحة من ظلم، كذب، جبن وبخل فيها ذاتها صفة جعلتها قبيحة وجعلتنا نحكم عليها بالقبح[4].

فهذا يعني أنّ الحسن والقبح عقليان ، فالقبيح هو ما قبحه العقل بصفة فيه ، والحسن هو ما حسنه العقل لصفة فيه كذلك ، فوظيفة العقل هنا وظيفة إدراك وتعرف

---

[1] سورة فصلت، الآية 46.

[2] سورة النحل ، الآية 118.

[3] ماجد فخري، موجز تاريخ الفلسفة الإسلامية، (1402-1981) ،ص 24. (د م).

[4] أحمد أمين، ضحى الإسلام، مكتبة النهضة، مصر، (د ت) ط/7، ص 46.

للأشياء بما هي كذلك، و الشرع في تحسينه وتقبيحه للأشياء مخبر عنها لا مثبت لها،والعقل مدرك لها لا منشئ[1].

وإذا كان علينا أن نربط بين فكرة الحسن والقبح وحرية الاختيار وجب علينا القول مع المعتزلة أنفسهم أنّ الإنسان بعد إدراكه لحقيقة الفعل في حسنه أو قبحه يستطيع فعل الاختيار، وعلى عكس ذلك، معنى من غير إدراك عقلي للفعل ومن غير اختيار، يكون الإنسان على غرار الحيوان والجماد، ولكانت معاقبته أو إثباته ظلما وجورا[2].

ونستطيع صياغة موقفهم بخصوص مفهوم العدل الإلهي لنقول أنه لّما الإنسان كان عاقلا يقوى على الإدراك و التمييز بين الحسن و القبيح ، و لما كان مكلفا وكان كذلك مسؤولا عن أفعاله وجب القول بحريته ، وهذا هو معنى العدل الإلهي عند المعتزلة عامة.

**ثالثا: الوعد والوعيد :**

وأمّا عن أصل الوعد والوعيد فهو أن نعلم أن الله تعالى وعد المطيعين بالثواب وتوعد العصاة بالعقاب وأنه يفعل ما وعد به وتوعد عليه لا محالة، ولا يجوز عليه الإخلاف بالوعد والكذب[3]، وهو أصل مشتق من مبدإ العدل الإلهي، أي بما أن الله تعالى عادل وجوبا، فالإنسان مسؤول عن أفعاله، وبما أنه كذلك، فهو يستحق الجزاء من ثواب وعقاب عن أفعاله يوم القيامة لدى، يعد الله تعالى المؤمن والمطيع ويتوعد الكافر والعاصي بالنار.

[1] المصدر نفسه، ص 48.

[2] فخري ماجد، مختصر تاريخ الفلسفة العربية (د ت م)، ص 24.

[3] المصدر نفسه، ص24.

وهذا يعني أن المعتزلة عامة رغم اختلافهم في الفروع ربطوا الثواب والعقاب بالأعمال ربطا كليا حتى أنّ بعضهم ذهب إلى أنه منطقيا "يجب على الله أن يثيب المطيع ويعاقب مرتكب الكبيرة ؛ فصاحب الكبيرة إذا مات و لم يثب لا يجوز أن يعفو الله عنه ، لأنه أوعد بالعقاب على الكبائر و أخبر به ، فلو لم يعاقب لزم الخلف في وعيده ، ولأن الطاعات و الأمر بها، والمعاصي و النهي عنها ، وضعت لتحقيق غايات ، فمن لم يطع أخلّ بهذه الغايات فاستوجب العقاب وهذا هو معنى أصلهم الذي وضعوه و عنونوه بالوعد والوعيد ، يعنون بذلك أن الثواب على الطاعات و العقاب على المعاصي قانون حتمي ألزم الله تعالى به" . و هكذا نستشف لدى المعتزلة أن أصل العدل و أصل الوعد والوعيد أصلان متداخلان بحكم أن الله عادل لا يصدر فيه إلا ما وعد به و توعد عنه.

**رابعا- المنزلة بين المنزلتين :**

يعتبر هذا الأصل وكما أجمع عليه الباحثون نقطة البدء في نشأة فرقة المعتزلة تاريخيا ، لأنهم أقروا جميعا أن مرتكب الكبيرة لا هو مؤمن و لا هو كافر بل هو في مقام ((المنـــزلـــة بين المنـــزلتيـــن)) وقد جاء في (( الملل و النحل )) للشهرستاني ما نصه :(( إن الإيمان عبارة عبارة عن خصال خير ، إذا إجتمعت سمي المرء مؤمنا و هو اسم مدح،و الفاسق لم يستجمع خصال الخير ولا استحق اسم المدح، فلا يسمى مؤمنا و ليس بكافر أيضا، لأن الشهادة وسائر أعمال الخير موجودة فيه لا وجه لإنكارها ففاعل الكبيرة يشبه المؤمن في عقيدته ولا يشبهه في عمله ، ويشبه الكافر في عمله ولا يشبهه في عقيدته فهو في منزلة بين المنزلتين"[1] ويعتبر هذا الأصل في نظرنا شكلا من أشكال التعاطي

[1] صبري خدمتلي، العقيدة والفرق الإسلامية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، (د ت)، ص 97- 98 .

العقلي مع دلائل الغيب ، لأنهم (المعتزلة) علقوا الحكم العقلي على مرتكب الكبيرة ما داموا قد أقروا بأنه غير كافر وغير مؤمن وغير منافق خلافا لما ذهبت إليه فرقة الخوارج وفرقة المرجئة وموقف الحسن البصري، وهذا ما يتضح بجلاء في موقف واصل بن عطاء عندما نفى أن يكون مرتكب الكبيرة مؤمنا أو كافرا أو منافقا"[1].

## خامسا: الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر[2]:

وهو الأصل الخامس من أصولهم الخمس، فالمعروف اصطلاحا هو كل فعل عُرِّفَ فاعله حسنه أو دلّ عليه ، أما المنكر فهو كلّ ما عُرِّفَ فاعله قبحه أو دلّ عليه. وإذا كانت الأصول السابقة مبادئ عقائدية يجب أن تكون راسخة في عقل ووجدان الفرد المؤمن ، فإن هذا الأصل الأخير قاعدة شرعية تحدد دور الفرد في المجتمع والأمة. فالدين ليس مجرد إيمان واقتناع باطني فحسب ، وإنما هو رسالة يؤديها المؤمن في الحياة الاجتماعية. فالمسلم الحق عند المعتزلة مؤمن فعال، إيجابي ونافع. إن الذي يدل على وجوب الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر : الكتاب، السنة، والإجماع.

أما الكتاب جاء قوله تعالى:((كنتم خير أمة أخرجت للناس، تأمرون بالمعروف و تنهون عن المنكر ))[3] أما السنة فهو قول النبي صلى الله عليه وسلم (( ليس لعين ترى الله تعصي أن تطرف حتى تغير أو تنتقل )) [4].و للأمر بالمعروف و النهي عن المنكر شرائط يجب وجودها ويسقط بزوالها؛ هو أن يعلم أن المأمور به معروف و أن المنهي عنه منكر، لأنه

---

[1] محمد زعراط، الفرق الإسلامية الكبرى، دار الغرب للنشر والتوزيع ، الجزائر، (د ت)، ص 140.

[2] السيد محمد صالح، مدخل إلى علم الكلام، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة (1422-2001)، ص 262- 265.

[3] سورة آل عمران، الآية 110.

[4] المرجع السابق، محمد صالح، ص 271.

لو لم يعلم ذلك لا يأمن أن يأمر بالمنكر و ينهي عن المعروف، وذلك ممّا لا يجوز عليه الظن، في هذا الموضع لا تقوم مقام العلم[1]، وعلى العموم بعتبر هذا الأصل قاسما مشتركا لدى عامة المسلمين لقوله تعالى:(( وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُون))[2].

ويرى المعتزلة أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو بالقلب إن كفى وباللسان إن لم يكف القلب، و باليد إذا لم يغن، وبالسيف إن لم يكف باليد ، هو قوله تعالى : (( وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّه))[3].

والآن وقد بسطنا هذه الأصول الخمسة ينبغي لنا الانتقال إلى محاولة الربط بين مضامين هذه الأصول ووظيفتها بمعاني الغيب التي يدل عليها النص القرآني ، بمعنى محاولة الكشف عن طريقة التعاطي مع معاني الغيب في ضوء هذه الأصول الخمسة.

-إنّ أصل التوحيد واقعه تكريس لوحدانية الله و تعظيم الشهادة به. وبالتالي، لتكريس مفهوم ((علام الغيوب))، إنّ الرجل المعتزلي بنفيه عن الله كل الصفات، كنفيه للجهة والجسم والمكان. إنما هو في الواقع يؤكد على أنّ الله يعلو الزمان ويعلو المكان وما دام كذلك فلا شريك له في عرشه كما في علمه، مصداقا لقوله تبارك وتعالى (( وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو...)).

---

[1] المصدر نفسه، ص 72.

[2] سورة آل عمران، الآية 104 .

[3] سورة الحجرات، الآية 09.

وإذا ما انتقلنا إلى الأصل الثاني المتمثل في العدل، لوجدنا المعتزلة يقيمون العلاقة بين أنات الزمان الثلاث، أو بين الأفعال الدنيوية الخاصة بالحاضر والراهن وبالجزاء الذي ينتظره الإنسان ، ذلك أن المعتزلة عندما يقولون بالعدل الإلهي إنما هم يقرون بالإرادة الإنسانية كما شرحنا هذا سابقا ، و هذا توكيد واضح على أنّ ما يدنس في الغيب عند علاّم الغيوب مرتبط أصلا باختبارات الإنسان ومفاضلته بين الأفعال و إدراكه لحقائق الأشياء إدراكا عقليا ، و ما هذا في رأينا سوى اجتهاد عقلي يقحم معاني القدرة والمسؤولية والعقل والتكليف لمضامين الغيب الذي ينفرد به علاّم الغيوب جلّ شأنه لوحده ، ولهذا انفرد المعتزلة في رأينا عن سائر الفرق الكلامية الأخرى بإقرار أنّ ما يخبئه الغيب، وما يعلمه الله بعلمه الشامل يرتبط بذلك بأعمال الإنسان و قدرته عن الفعل ، بمعنى ليس الإنسان مجرد كائن يستقبل الأفعال بل هو كائن فاعل لها و منشىء لها أيضا. وتلعب هذه الفكرة عند رجال فرقة المعتزلة دورا خطيرا في قراءتهم بمعنى القضاء والقدر ذلك أنّ قضاء الله المحتوم يرتبط بعلم الله الواسع لما سيقوم به الإنسان من جهة، ومرتبط بقدرة الإنسان على الفعل والاختيار من جهة أخرى ويستدلون على ذلك ببيان أن أفعال الإنسان غير مخلوقة بكثير من الآيات الدالة على قدرة الإنسان على الفعل ، منها قوله تعالى (( من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها))[1].

وقوله تعالى : ((فمن شاء فليؤمن و من شاء فليكفر )) [2].وقوله تعالى(( قل يأيها الناس قد جاءكم الحق من ربكم فمن اهتدى فإنما يهتدي لنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها ))[3]

[1] سورة فصلت الأية 46.

[2] سورة الكهف الآية 29

[3] سورة يونس الآية 108.

والآيات من هذا النوع كثيرة لا سبيل لنا لحصرها وجمعها، تدل كلها و تصب في معنى أن ما يقع في الغيب كجزاء للإنسان ثوابا أو عقابا، إنما يرتبط قطعا بقدرة الإنسان على الفعل وهذا التعاطي العقلي للمعتزلة مع معاني الغيب والمنزلة بين المنزلين والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يوصفها امتدادات في التأويل العقلي فالوعد والوعيد مثلا إشارة واضحة على أن ما يعلمه هو أن الله تعالى وعد المطيعين بالثواب وتوعّد العصاة بالعقاب ، إذ لا يجوز على ذلك الخلف ، والمنزلة بين المنزلين توكيد واضح كذلك على أهمية العقل والسمو به في إدراك الحقائق الدينية ، فهم في هذا ميزوا بين المؤمن والكافر والفاسق تبعا لطبيعة المخالفات، بل هي المسألة التي كانت الباعث على تسميتهم باسمهم . بمعنى، اعتزال واصل بن عطاء عندما أقرّ أن مرتكب الكبيرة لا هو مؤمن و لا هو كافر بل هو فاسق، وكأنما المعتزلة بهذا أشادوا بالعقل في الوقت الذي رسموا له حدوده عندما علقوا الحكم والقول على مرتكب الكبيرة . وليس الشيء يقال بخصوص الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، لأنه أصل أو قاعدة ترتبط بالعلم العقلي ، أي وجوب الأمر بالمعروف تبعا لما يعرفه ويعتقده المؤمن ووجوب الدعوة إلى النهي عنه عند الآخرين. لأنه مرتبط كذلك بالدراية العقلية و بالأحكام التي تصدرها تشريعات العقل، وبوجه عام ربط المعقول أو الحاصل في العقل بالعمل و الممارسة، و إذا ما أخذنا طائفة أخرى من الأمثلة التي تندرج في إطار تعاطيهم العقلي مع قضايا الغيب ، حسبنا أن نذكر مسألة تناهى مقدورات الله مثلما أوضح علم من أعلام المعتزلة ، ونعني به أبو الهذيل العلاف لأنه قررّ أن لمقدورات الله نهاية ، لأن للأشياء كلاّ والله تعالى(( قد أحصى كلّ شيء عددا)) لأنه وكما يقول: ((فإذا انتهى أهل الجنة إلى آخر الحركات التي ثبتنا لها كلا محصى محاطا به جمعت فيهم اللذات كلها: لذة الجماع، ولذة الأكل و الشرب وغيرها

من اللذات ، وصاروا في الجنة باقينا بقاء دائما وساكنينا سكونا باقيا ثابتا، لا يفنى و لا يزول ولا ينفد ولا يبيد )) [1]. فقيل لأبي الهذيل: ((أفليس الله هو المبقي لما يبقى منه، والمسكن لكل ساكن منه والمحيي لكل ذي روح ؟ قال : بلى.....فقيل له : فيجوز أن يبقى شيئا لا يوصف بالقدرة على تبقيته و لا يجوز منه إفناؤه، وأن يحيي شيئا و يسكنه و ليس بقادر على إماتته و لا تحريكه؟ قال: نعم! ولو يقول بخلاف هذا ترك قوله ))[2].

(( فإن أبا الهذيل كان يزعم أن الله إذا فعل بقاءه و سكونه استحال أن يقال : هو قادر على أن يفعل بهم ما قد فعله، و أن يوجد فيهم ما قد أوجده . و لكنه كان قبل أن يخلق البقاء لهم والسكون فيهم قادرا على خلق البقاء وخلق السكون وعلى أضدادهما فلما خلق الحياة لهم والبقاء والسكون الذي قد فعله ، أو البقاء الذي أوجده أو أضدادهما من الإفناء و الحركة والموت لأن الفعل إذا خرج من القدرة خرج ضده منها بخروجه ))[3].

و يفهم من هذه المقاطع كلها أن أبا الهذيل يقرر صراحة و دون مواربة أن مقدرة الله يميزها التناهي بحكم أن ما صنعه و ما فعله لا يمكن أن يصنع غيره و لا يفعل غيره ، ويتضح الأمر أكثر عندما يقول: (( كما يستحيل في الماضي دورات لا نهاية لها ، فكذلك في المستقبل .وهو فاسد لأن كل المستقبل قط لا يدخل في الوجود لا متلاحقا ولا متساويا ، و الماضي قد دخل كله في الوجود متلاحقا و إن لم يكن متساوقا ))[4].

---

[1] المرجع السابق، عبد الرحمن بدوي، ص 153.

[2] المصدر نفسه، ص 153

[3] المصدر نفسه، ص 154

[4] المصدر نفسه، ص 158.

و إلى جانب هذا يمكننا التطرق إلى مسألة أخرى هي في غاية الأهمية، ونعني بها مسألة خلق القرآن إذا اختلفت الآراء وتباينت بخصوصها فكان موقف المعتزلة عامة من أن القرآن محدث ومخلوق ، مثلما يقول أبو الهذيل دائما: ((إن الله – عز وجل– خلق القرآن في اللوح المحفوظ، وهو عرض، وإن القرآن يوحد في ثلاثة أماكن : في مكان هو محفوظ فيه، وفي مكان هو مكتوب فيه، وفي مكان هو فيه متلو ومسموع..))[1].

ومن المسائل الأخرى ذات الطابع الغيبي التي تناولها المعتزلة نجد مسألة الأخرويات .بمعنى الحديث عن أحوال الجنة و النار و أفعالهم حيث نجد أن أبا هذيل يشرح المعنى في قوله: (( بأن أهل الآخرة مضطرون إلى ما يكون منهم، وأن أهل الجنة مضطرون إلى أكلهم وشربهم وجماعهم ؛ و أن أهل النار مضطرون إلى أقوالهم وليس لأحد في الآخرة من الخلق قدرة على اكتساب فعل، ولا على اكتساب قول. والله عز وجل– خالف أقوالهم وحركاتهم وسائر ما يوصفون به ))[2].

و هذا يعني أن أبا هذيل يقرّ ويؤكد على فعل العباد واختيارهم في الدنيا، بالجبر والإكراه في الآخرة مثل مابين ذلك الشهرستاني إذ يرى موضحا موقف أبي هذيل أن حركات أهل الجنة والنار في الآخرة ضرورية كلّها، لقوله :((لا قدرة للعباد عليها، وكلها مخلوقة للباري تعالى، إذ لو كانت مكتسبة للعباد لكانوا مكلفين بها )) [3]. لهذا

[1] المصدر نفسه، ص 168.

[2] عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي، الفرق بين الفرق، تحقيق مجدي فتحي السيد، المكتبة التوفيقية ، مصر، (د ت) ص 169.

[3] المصدر نفسه، ص 169.

قال: (( إن الآخرة دار جزاء وليست بدار تكليف ؛ فلو كان أهل الآخرة مكتسبين لأعمالهم لكانوا مكلفين، ولوقع ثوابهم وعقابهم في دار سواها ))[1].

وإذا أردنا التعليق على هذا لقلنا أن مثل هذه الحجة إنما هي حجة عقلية استدلالية منطقية في جوهرها، إذ يستحيل للعباد الاستطاعة وإلاّ كلفوا وحملوا المسؤولية، وهذا محال لأن هذا يفترض وجود دار جزاء وعقاب أخرى إلى ما لا نهاية ، و هذا غير معقول، و لن تكون هذه الحجة في رأينا سوى قراءة أو تأويل عقلي. لذلك الجانب الغيبي الخاص بأحوال العباد في الدار الآخرة ، في الجنة كما في النار . وكتوكيد على ذلك نجد أبا الهذيل يقول شارحا ما سبق : ((و لو كانوا في الجنة – مع صحة عقولهم و أبدانهم – يجوز منهم اختيار الأفعال ووقوعها منهم لكانوا مأمورين منهيين. ولو كانوا كذلك لوقعت منهم الطاعة والمعصية. ولكانت الجنة دار محنة وأمر ونهي. و لم تكن دار ثواب، وكان سبيلها سبيل الدنيا)) [2]. ويضاف إلى هذه النماذج الغيبية مسألة براهين وجود لله ذلك أن العلم بالله هو أول الواجبات لأن سائر الشرائع من قول وفعل لا تحسن إلا بعد معرفة الله)) [3].

وهذا ما نجده عند القاضي عبد الجبار في شرحه للأصول الخمسة فمعرفة الله في الدنيا لا تتم بالبديهة و الضرورة؛ بل باكتساب عقلي، أي بالنظر و الدليل على ذلك أنها تتم على طريقة واحدة ووتيرة مستمرة، لذا فإنه يجب أن تكون متولدة عن نظرنا،ويضاف إلى ذلك أنها تقع بحسب مقاصدنا و دواعينا ، فهي محتاجة إلينا ؛ ولا تقع إذن ضرورة.

---

[1] المصدر نفسه، ص 170.

[2] المصدر نفسه، ص 171.

[3] المصدر نفسه، ص 397

ودليل ثالث : هو أنه لو كان العلم ضروريا لوجب أن يكون من يعدم هذا العلم معذورا في ذلك لأن ذلك ليس بإرادته (( و هذا يوجب في الكفار كلهم أن يكونوا معذورين في تركهم معرفة الله )) كما يقول القاضي عبد الجبار[1].

رابعا: أنه لو كان العلم به ضروريا لوجب ألا يختلف العقلاء فيه،كما لم يختلفوا في سائر الضروريات من سواد الليل و بياض النهار،ومن المعلوم أنهم مختلفون فيه : فمنهم من أثبت وجوده ، و منهم من نفاه. وخامسا : لو كان العلم بالله ضروريا لما أمكن نفيه عن النفس بشك أو شبهة .و الله لا يعرف أيضا بالمشاهدة ، و إلا لشاهده الناس غيابا . إذا الله لا يعرف بالضرورة ، ولا بالمشاهدة ، فوجب أن نعرفه إذا بالنظر و الاستدلال[2].

وهكذا نجد المعتزلة في انتهاجهم التأويل ذا الطابع العقلي، تتوافق مقدماتهم مع نتائج أفكارهم، مادام العقل يبقى صادقا على أحكام الشرع، فمسألة وجود الله مسألة عقلية أولا وقبل كلّ شيء. وعلى ضوء هذا كله نستنتج أن موقف المعتزلة ومحاولتهم الفكرية، بخصوص الدين وبخصوص التعاطي مع حمولة الغيب التي يتضمنها القرآن الكريم، كانت محاولة جادة وجريئة لأنها متميزة عن سائر الفرق الكلامية الأخرى وعميقة لأنها أشادت بالعقل وسمت به، وجعلت منه منهلا نستقي منه الأحكام والتشريعات، و هم بهذا الفعل إنما يكونون قد سبقوا –رنيه ديكارت [3]. في العصر الحديث عندما دشن عهد

[1] المصدر نفسه، ص 396.

[2] المصدر نفسه، ص 397.

[3] فيلسوف فرنسي عاش في القرن 17م وهو رائد العقلانية الحديثة ومؤسس الهندسة التحليلية، ويلقب بأبي الفلسفة الحديثة وقد اشتهر بكتابيه " تأملات فلسفية"و" مقالة في المنهج " ومن أشهر أتباعه الفلاسفة المحدثون: لاتيبنيتز الفيلسوف والرياضي الألماني الشهير، مالبرانش، اسبينوزا.

العقلانية و التفكير الموضوعي كمنعطف عرفته البشرية وعن تعاملهم مع مسألة الغيب فقد منحوا للعقل صلاحيات لا يحدها حد في المعرفة القابلة للإدراك العقلي الخاص بالطبيعيات أو بالقضايا غير الطبيعية كمسألة التوحيد الذي أفاضوا فيه بتحليلاتهم عندما نزّهوا علاّم الغيوب عن كلّ وصف ، أو مسألة العدل الإلهي عندما أقروا بحرية الإنسان ونسبوا إليه كلّ الأفعال صغيرة أو كبيرة وربطوا الأفعال الناجمة في الحاضر بالجزاء المستقبلي الذي ينتظر كلّ مؤمن ربطا عقليا وهذا ما دفع ببعض الباحثين إلى القول: "إن أبحاثهم ((المعتزلة)) فيما وراء الطبيعة كانت أوسع وأعمق من أبحاثهم الطبيعية بحكم أنهم مصلحون دينيون ودعاة عقيدة"[1].

كمسألة قدم العالم وخلق القرآن ومسألة التوحيد و الصفات.....وما هذا في رأينا إلا آية تعكس بحق تعاملهم العقلي مع الغيب ومضامين العقيدة الإسلامية بوجه عام ، الشيء الذي جعل من هذه الحركة العقلية حركة متميزة كان لها عظيم الأثر في الأوساط الفكرية و الدينية و السياسية على حد سواء.

**أعلام المعتزلة:**

وفيما يلي تقديم لبعض الشخصيات الشهيرة ، وما عرفت به من آراء من المذهب المعتزلي[2]:

[1] أحمد أمين، ضحى الإسلام ص 68.

[2] السيد محمد صالح، مدخل إلى علم الكلام، ص 219 وما بعدها.

## 01 – واصل بن عطاء :

هو أبو حذيفة واصل بن عطاء توفي سنة 131هـ الموافق ل740 م هو إمام المعتزلة و مؤسس مذهبهم ولد في المدينة و هاجر إلى البصرة ، حيث تعرف الإمام الحسن البصري و انضمّ إلى حلقته . و بالإضافة إلى أهمية الحسن البصري في ميدان الزهد و العلم ، فقيمته تتجلى أيضا إلى علم الكلام في أن رأيه حول مرتكب الكبيرة كان من جملة العوامل التي أدت إلى نشأة مذهب الاعتزال على يد واصل بن عطاء .

وقد ورد اسم هذا المتكلم في : (( الفهرست لابن النديم الذي نسب إليه كتابا بعنوان ( خطب التوحيد و العدل ) و قد تحدث عنه الجاحظ الأديب الكبير و المعروف بانتمائه إلى المذهب الاعتزال فقال عنه : (( إنه أول من قال بان الحق يعرف من وجوه أربعة : كتاب ناطق ، وخبر مجمع عليه ، وحجة عقل و إجماع من الأمة ))[1].

و أهم ما عرف عنه قوله بأن مرتكب الكبيرة يحتل المترلة الوسطى به الكافر والمؤمن و يدعوه (الفاسق) بخلا و ما يراه الخوارج ، الشيعة ، و المرجئة . و قد ذكرنا ذلك آنفا كما اشتهر رأيه حول مبدأ التوحيد من أجل تتريه الذات الإلهية من كلّ شرك .

و اعتبر العقل مصدرا رئيسيا للمعرفة و الإدراك إلى جانب المصادر الأخرى الرئيسية كالقرآن ،السنة و الإجماع .

[1] إبراهيم محمد زكي، علم الكلام بين الدين و الفلسفة ، دار الوفاء لدنيا الطباعة و النشر والتوزيع، الإسكندرية، مصر، (1429-2008)، ص 127 .

## 02- عمرو بن عبيد :

لكن هذا المفكر تلميذ للحسن البصري إلى جانب واصل بن عطاء لينفصل عن مجلسه بسبب رأيه حول مرتكب الكبيرة الموافق لرأي زميله . و يروى أنه رجل تقّي صالح دون بيان عميق الأثر ، ذو صلة بالبلاط الحاكم آنذاك المتمثل في الخلافة العباسية ، و لاسيما زمن المنصور . كما يقال أن كتب رسائل عديدة لكنها للأسف مفقودة . وقد توفي سنة 144هـ الموافق ل721 م .

## 03- أبو الهذيل العلاّف :

يحتل المرتبة الثانية من حيث الشهرة بعد واصل بن عطاء مؤسس المذهب . لقد كان من كبار أئمة الاعتزال ، حيث درس المنطق و الفلسفة ليتخذها سلاحا فكريا يدافع به عن مواقفه الكلامية . فقد سجّلت له مناظرات و مساجلات عديدة مع أصحابه في المذهب ومع خصوم المذهب، بل حتى مع غيرهم من الخارجين عن ملّة الإسلام. فقد كان نموذجا نشيطا ، متفتحا ، لا يخلو نشاطه الفكري من الطرافة[1]

و من أشهر المواقف الفكرية التي يسجلها له تاريخ الفكر الإسلامي ، قوله بأن صفات الله هي عين ذاته ، بينما ينكر بعض المعتزلة هذه الصفات جملة و تفصيلا . لهم

[1] يروى أن احد الناس من غير المسلمين ، وقد كان صديقا له توفي له إبن فذهب لتعزيته فقال ذلك الشخص للحلاّف بأن ما يحزنه أكثر هو أن إبنه لم يقرأ كتابا كتبه الأب بعنوان ( الشكوك) . فلو قرأه لشك في كلّ ما مرّ به من مآسي طيلة حياته ، فيموت سعيدا . فردّ عليه الحلاف بأنك ما دمت صاحب الكتاب ، فأولى أن تشك أنت في أن ابنك لم يقرأ الكتاب .لتطمئن على حاله بل أولى أن تشك: في ان بنك مات أصلا لتطمئن أكثر كما يرى عنه أيضا ردّه على الذي ينكر وجود الله سبحانه على أساس أن الذات الإلاهية لا تقع في مجال الإحساس . فردّ عليه ، بأنك غير عاقل ، لأن العقل هو الآخر يقع خارج مجال الإحساس (د. بوعمران الشيخ ، محاضرات في علم الكلام على طلبة علم الفلسفة بجامعة الجزائر المركزية السنة الجامعية : 1976-1977 ).

بأن أفعال الإنسان في الآخرة جبرية . وعنده أن الإرادة لا تكون تامة إلا عند قدرة الجوارح على تنفيذ الأفعال .

كما ذهب بعيدا في احتكامه للعقل حين قال بوجوب معرفة الله تعالى و بوجوب إدراك الخير و تميّزه عن الشر و فعل الحسن و تجنب القبح و هذا على أساس ما أنعم عليه الله تعالى عليه بنعمة العقل و بالتالي إذا أخطأ الإنسان طريق الهداية إلى الإيمان بالله و اليوم الآخر و إلى اتباع الخير و تجنب الشّر ، فإنه يستحق العقاب حتى عند غياب أية رسالة نبوية و وحي مترل .

غير أن ما سبق به أبو الهذيل غيره من المتكلمين هو قوله بالتصّور الذّرّي للعالم، و ذلك من أجل إثبات حدوثه من جهة و من أجل إثبات حدوثه من جهة و من أجل إثبات القدرة الإلاهية حتى التأثير و الهيمنة على جميع المخلوقات من جهة أخرى . و هي فكرة يتجلى فيها تأثر أبي الهذيل بالفلسفة اليونانية .

حيث أن المذهب الذري نشأ عند اليونان على يد ( ديموقريطس) و (أبيقور )كما يتجلى في الوقت نفسه التمسّك بأصالة الفكر الإسلامي ، حبث أن الذرة عند أبي الهذيل حادثة لا أزلية بينما عند اليونان أزلية و أبدية . فهو تصور ذري للعالم في ثوب إسلامي و قد توفي الهذيل سنة 235هـ الموافق ل 849م .

## 04- إبراهيم النّظّام :

يعتبر من طرف بعض المفكرين من أكبر رجال المعتزلة. وسمته البارزة هو إتهامه بالإلحاد من قبل كثير من أهل السنة والجماعة، يقول الجاحظ :( ما رأيت أحدا أفضل بالكلام و الفقه من النظام )[1] .

و قد اعتبره ابن حزم و ابن نباتة أفضل رجال المعتزلة على الإطلاق .

و يقول عنه طاش كبرى زاده : (( إنه شيخ من كبار المعتزلة و أئمتهم ، متقدم في العلوم شديد الغوص المعاني ))[2].

و قد عاش في زمن الرشيد و المأمون و أفاد من حركة النقل و الترجمة آنذاك . وقد اقتحم منذ حداثته مجالس المجادلين من الفرس و السفسطائية و الملاحدة ، فاطلع على الكثير من المذاهب و على مختلف الطرق و المناهج في إقامة البراهين والتأسيس للمواقف في تفنيد الحجج فأعجب بذلك و تأثر به .

ومهما يكن فإن هذا المتكلم في مرحلة النضج و العطاء اتفق مع أصحابه في المذهب في المبادئ و المسائل الكبرى لكنه اختلف عن البعض في بعض التفاصيل.

ففي الألوهية ، تتطابق فكرته مع ما يذهب إليه المعتزلة حول الأصل الأول من أصولهم الخمسة المتمثل في التوحيد و يقدّم سند المبدأ إن صفات الله سبحانه هي عين ذاته فيقول بأن حمل الصفات على الذات فيه إثبات للذات من جهة وفيه نفي لأضداد

[1] عصام الدين، تاريخ الفلسفة الإسلامية، ص 228.

[2] المصدر نفسه، ص 230.

تلك الصفات عن الذات . فقولنا بأن الله عادل بعدل هو ذاته فيه نسبة العدل لله تعالى من ناحية و نفي الظلم عنه و كذلك الأمر بالنسبة للعلم و القدرة ....إلخ .

أما يشأن مبدإ العدل الإلهي ، فكبار المعتزلة و غالبيتهم يرون بأن الله تعالى لا يفعل إلا ما يأمر به من الطاعات و لا يفعل إلا ما هو خيّر و صالح مع قدرته على القيام بالظلم و ارتكاب الشر ، لأنه عادل .

فالإنسان هو الذي يفعل الشر و يظلم و لا يقوم بالشر ولا يقدر على الظلم و لا على الشر و حجته في ذلك أن الظلم أو المنكر بوجه عام لا يأتي إلا من جاهل أو ذي آفة أو ذي حاجة أي لا يصدر إلا عن ناقص . و بما أن الله مترّه عن كل نقص ، فإنه لا يفعل ذلك و لا يقدر عليه[1].

و هنا نلاحظ تماسكا بين هذه الحجة و الحجة الواردة أعلاه في مسألة الألوهية .

لكن اختلاف النظام عن العلاف وغالبية المعتزلة حول هذه النقطة يدل على أن الهدف واحد وهو تتريه الله تعالى عن الظلم وهو صلب العدل الإلهي ويدل في الوقت نفسه على أن الله تعالى لا يفعل إلا الصالح والأصلح ،وهي فكرة نبتت من أرض إسلامية بحتة تؤمن بواحدية ووحدانية الذات الإلهية ،فالله تعالى واحد أحد مترّه عن كل تعدد وعن كل نقص .

والإنسان عند النظام روح وجسد متدخلان ،متفعلان ،ويعتبر الجسد سجنا للروح ،والروح أو النفس مصدر الحياة ،وهي تدرك المحسوسات،وهو بهذا ينكر الحواس. ولا

[1] المصدر السابق، ص 236.

يخفى ما في ذلك من تناقض وغموض ،وقد توفى هذا المفكر سنة 256هـ الموافق ل 869م.

## 05- أبو علي الجبائي:

يعدمن بعض مؤرخي الفكر الإسلامي شيخ من شيوخ معتزلة البصرة، وقد تتلمذ على يديه أبو الحسن الأشعري مؤسس المذهب الأشعري،وهو منذ نعومة أظفاره يميل إلى النقاش والجدل وإعمال الفكر والنظر،فيروى أن جماعة حضرت للمناظرة وكان منهم رجل، فإذا بغلام جريء يسأل هذا الرجل المتدرب على الجدل :((هل الله تعالى يفعل العدل ؟ قال : نعم . قال : فهل يفعل الظلم قال ك نعم ، قال : أفتسميه ظالما؟ قال : لا قال : فيلزم من ذلك ألا تسميه بفعل العدل عادلا )) فسكت الرجل ، فتساءل الناس :(( من هذا الصبي الجريء و الذكي ؟ فقيل : هو غلام من جباء ))، و مع ذلك، عرف عنه أنه في مرحلة ناضجة وكبيرة ، كان أكثر الناس تواضعا و أحسنهم وجها وأجملهم موعظة ، طليق اللسان فصيح البيان . لكن ما إن يذكر الموت حتى تنحدر دموعه ويأخد في الوعظ و الإرشاد و كأنه رجل آخر.

و كان الجبائي يقول بأن صفات الله هي عين ذاته ، كما كان يقول العلاف وغالبية المعتزلة ، و بالجملة أن آراءه لم تشد في إطارها العام عمّا أقرّه العلاف وشيوخ المعتزلة ، كلما في الأمر أنه توسع في عرض أفكاره و ما يؤسف له أن الآثار التي تركها لم يصلنا منها أيّ شيء رغم كثرتها على ما يقول الرواة ، وقد توفي سنة 303هـ الموافق ل 910م .

و يطيب لنا قبل أن ننتقل إلى غيره ، أن نذكر المناظرة الآتية [1] التي دارت بينه وبين تلميذه أبي الحسن الأشعري ، و قد كانت من دواعي انفصال التلميذ عن الأستاذ و إقامته للمذهب الأشعري ، مذهب أهل السنة و الجماعة :

سأل التلميذ أستاذه : ما تقول في ثلاثة إخوة : أحدهم برّ تقي ثاني كافر والثالث صغير فماتوا ، فكيف حالهم ؟.

فأجاب الأستاذ : الزاهد التقي في الدرجات ، الكافر في الدركات و أما الصغير فمن أهل السلامة.

فسأل التلميذ : هل يؤذن للصغير أن ينال درجات الزاهد إن أراد ذلك ؟.

فقال الجبائي:لا لأنه يقال له : إن أخاك إنما وصل إلى هذه الدرجات بسبب طاعاته الكثيرة ،وليس لك هذه الطاعات .

فقال الأشعري : فإن قال ذلك الصغير : التقصير ليس مني ، فإنك ما أبقيتني و ما أقدرتني على الطاعة

فقال الجبائي : (( يقول الله تعالى : كنت اعلم أنك لو بقيت ، لعصيت ، وصرت مستحقا للعذاب الأليم فرعيت مصلحتك .

قال الأشعري : فلو قال الأخ الكافر : (( يا إلهي لقد علمت حالي كما علمت حاله فلما لم تراعي مصلحتي أيضا كما رعيت مصلحته )) .

[1] المرجع السابق، ص 286.

فقال الجبائي : إنك مجنون .

قال الأشعري : لا ولكن (( وقف حمار الشيخ في العقبة )).

## 06- أبو هاشم الجبّائي :

ولد بالبصرة وعاش في بغداد ، و كان إبنا وتلميذا لأبي علي الجبائي وكان من تلاميذه القاضي عبد الجبار و الصاحب بن عباد ، وقد أشتهر تلاميذه بروحهم الفلسفية الخلاقة و باسم (( البهشمية ))نسبة إليه ،كتب الكثير في علم الكلام والجدل ،لكن لم يصل منها إلا ما أورده القاضي عبد الجبار من نصوص منسوبة إليه في مؤلفاته .وما تميز به هذا المفكر،هو خلافه الشديد مع أبيه ،هذا الخصام الذي تؤكده المصادر و المراجع كلها وقد ذهبت بعض المراجع إلى القول بأنه كفر أباه وتبرأ منه و لم يأخذ ميراثه بعد موته[1] .

ويذكر أنه أفاض وتوسع في تحليل الأصلية الأول والثاني من الأصول الخمسة لمذهب الاعتزال ، ألا وهي التوحيد و العدل الإلهي [2]. وحول مبدإ التوحيد ، حاول أن يتبنى الموقف الوسط بين منكري الصفات ومثبتيها، وحول مبدإ العدل ، توسع في الحديث عن الثوبة و وإستحقاق المرء للمدح والذم،توفي أبو هاشم الجبائي سنة 331هـ الموافق ل 942م .

## 07- القاضي عبد الجبار :

[1] المرجع السابق ص271.

[2] ص 133.

هو أبو الحسن عبد الجبار بن أحمد بن عبد الجبار الهمذاني عاش في بغداد وصار قاضيا فيها إلى أن إرتقى إلى مرتبة قاضي القضاة،هومن متأخري المعتزلة البارزين و تعتبر كتبه المصدر الرئيسي للبحث في مذهب الإعتزال . و من أبرز مؤلفاته في علم الكلام كتابه : (( شرح الأصول الخمسة )) و قد عرف بالحجة الحدسية في إثبات إرادة الإنسان الحرة إلى جانب القول بالحجج العقلية التي أوردها المعتزلة بشأن هذه المسألة .

## 2/ الأشاعرة:

ترجع تسمية الأشاعرة إلى مؤسسها أبو الحسن علي بن إسماعيل بن إسحاق بن سالم بن إسماعيل بن عبد الله بن موسى بن بلال بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري [1]. وكان الأشعري واحدا من أعلام فرقة المعتزلة لأنه درس عليهم وتتلمذ في وسط داره، إذ كان تلميذا للجبائي المعتزلي. وقد ظل على حاله إلى أن بدأ في تغيير مساره بتعديله لكثير من القضايا التي قال بها المعتزلة ، حتى أنه استطاع أن يحوّل كثيرا من الناس من الاعتزال إلى مذهبه الجديد، ونجح في ذلك إلى حد كبير[2]. و لأننا لسنا بصدد تأريخ كل الأفكار وكل الجوانب التي تعمق فيها الأشاعرة فإننا سنكتفي بعرض أهم الأفكار التي تميزوا بها عن المعتزلة على وجه الخصوص بحكم أن ما يميزهم في القضايا الكلامية هو تلك التعديلات التي ألحقوها بهم وصارت تنسب إليهم ، ومن ذلك ما يلي:مسألة الصفات: حقيقة أفعال الإنسان والاستطاعة، رؤية الله ، فأما عن الصفات: فإن الأشاعرة عامة يرون أن صفات الله قائمة بذاتها أي أنها ليست ذاته، و لا غير ذاته، إذ لا يتصور أن تكون الذات حية بغير حياة أو عالمة بغير علم ، أو قادرة بغير قدرة ، أو مريدة بغير إرادة. بل الله عالم بعلم وقادر بقدرة، وحي بحياة ، ومريد بإرادة. وذلك لأن من قال إنه عالم ولا علم، كان مناقضا، وكذلك القول في القدرة والقادر ، والحياة والحي ...ألخ[3].

[1] السيد محمد صالح مدخل إلى علم الكلام، ص 265.

[2] أحمد أمين، ضحى الإسلام، ج 04 ، ص 65.

[3] السيد محمد صالح، مدخل إلى علم الكلام، ص 274.

ويورد الشهرستاني في كتابه: الملل والنحل ما يلي بخصوص رأى الأشعري في مسألة الصفات:(( قال أبو الحسن الأشعري ): الباري تعالى عالم بعلم، قادر بقدرة، حي بحياة، مريد بإرادة، متكلم بكلام، سميع بسمع، بصير ببصر..... وهذه الصفات أزلية قائمة بذاته ،لا يقال: هي هو ،ولا غيره ولا لا هو، لا لا غير...وقال: علمه واحد يتعلق بجميع المعلومات: المستحيل، والجائز، الواجب، والموجود، والمعدوم))[1].

والمراد من هذا كله أن الأشعرية بهذا الموقف يقفون على طرفي النقيض من موقف المعتزلة بخصوص التوحيد والصفات بإثباتهم لحقائق صفات القادر وصفات العالم .... وعن مسالة العدل وأفعال الإنسان ، فهي من المسائل الرئيسية في المذهب الأشعري ،ومذهبه فيها أن أفعال العباد مخلوقة لله، وليس للإنسان فيها غير اكتسابها أي أن الفاعل الحقيقي هو الله، وما الإنسان إلا مكتسب للفعل الذي أحدثه الله على يدي هذا الإنسان، و الكسب هو تعلق قدرة العبد و إرادته بالفعل المقدور المحدث من الله على الحقيقة ))[2].

ويفرق أبو الحسن الأشعري بين الأفعال الاضطرارية مثل الرعشة، والرعدة، وبين الأفعال الاختيارية والتفرقة راجعة إلى أن الحركات الاختيارية حاصلة، بحيث أن القدرة تكون متوقفة على اختيار القادر، مثلما يبينه الشهرستاني في قوله: ((المكتسب هو المقدور بالقدرة الحادثة،والحاصل تحت القدرة الحادثة (....) إن الله أجرى سنته بأن يخلق عقيب القدرة الحادثة أو تحتها ومعها: الفعل الحاصل إذا أراده العبد وتجرّد له ويسمى

[1] المرجع نفسه، ص 446.

[2] المرجع السابق ، ص 555.

هذا الفعل كسبا .فيكون خلقا من الله تعالى:إبداعا وإحداثا وكسبا من العبد مشمولا تحت قدرته إلى هنا يتبين لنا الموقف الوسطى الذي اتخذه الأشعري لمسألة خلق الأفعال ، أي أنه يتوسط موقف الجهمية و غيرهم في إنكار الحرية ، وموقف المعتزلة الداعي إلى الإقرار بين حرية الاختيار واستطاعة الفعل.

وقد عرف هذا الموقف المسمى بنظرية الكسب تطورا و تعديلا من أبو الحسن الأشعري مرورا بالباقلاني ثم الجويني ثم الشهرستاني ، لا حاجة لنا للدخول في تفاصيل هذه التعديلات ، و يرى أبو الحسن الأشعري بخصوص مسألة خلق القرآن أن القرآن كلام الله غير مغير و لا مخلوق و لا حادث ولا مبتدع ،فأما الحروف المقطعة والاجسام والأصوات فمخلوقات مخترعات))[1].

ويرى كذلك بخصوص مرتكب الكبيرة بأنه مؤمن موحد ، فاسق ، هو في مشيئة الله تعالى ، إن شاء عفا عنه وأدخله الجنة ، و إن شاء عاقبه بفسقه ثم أدخله الجنة. وعن موقف الأشعري من المعتزلة ومآخذه عليهم يقول في كتابه ((الإبانة)) : أما بعد ، فإن كثيرا من المعتزلة و أهل القدر مالت بهم أهواؤهم إلى التقليد لرؤسائهم ومن مضى من أسلافهم فتأولوا القرآن على آرائهم تأويلا، لم يترل الله به سلطانا، ولا أوضح به برهانا ،ولا نقلوه من رسول رب العالمين،و لا عن السلف المتقدمين فخالفوا رواية الصحابة عن النبي لرؤيته بالأبصار (...) وأنكروا شفاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم وردوا الرواية في ذلك عن السلف المتقدمين وجحدوا عذاب القبر، وأن الكفار في قبورهم

[1] صبري خدمتلي، العقيدة والفرق الإسلامية، ص 110.

يعذبون..،ودانوا بخلق القرآن نظيرا لقول إخوانهم من المشركين الذين قالوا:((إن هذا إلا قول البشر)) فزعموا أن القرآن كقول البشر، و أثبتوا و أيقنوا أن العباد يخلقون الشر..

وزعموا أنهم ينفردون بالقدرة على أعمالهم دون ربهم ، وأثبتوا لأنفسهم غنى عن الله عز وجل ووضعوا أنفسهم بالقدرة على ما لم يصفوا الله بالقدرة عليهم ...، أني أذكر إن شاء الله تعالى بابا، و به المعونة و التأييد ومنه التوفيق و التسديد)) [1]. و للإمام الأشعري عدة كتب في العقيدة منها:" الإبانة عن أصول الديانة"،"مقالات الإسلاميين"، "اللمع في الرد على أهل الزيغ و البدع" [2].

وعلى العموم، فإنّ مذهب الأشعري قد قدّر له دون غيره من المذاهب ، أن يسيطر على غالبية العالم الإسلامي، و ذلك إلى يومنا هذا، واندثر غيره من المذاهب ، أو ضعف شأنه ، وقد سار مذهب الأشعري الكلامي ، بعد ذلك جنبا إلى جنب مع المّذاهب السنية الفقهية الأربعة .وهي المالكي ، و الحنبلي ، والشافعي ، و الحنفي...و قد انتمى أبطال بارزون من رجال الفكر الإسلامي إلى مدرسة الأشعري، كالبقلاني ، الجويني ، الغزالي، وفخر الدين الرازي وغيرهم ، فتقوّي بذلك مذهب الأشعري و حظي باحترام المسلمين[3].

[1] المرجع السابق ص 105.

[2] عبد الرحمن بدوي ، مذاهب الإسلاميين ص 505- 515- 528 .

[3] أبو الوفاء غنيم التفتزاني، علم الكلام وبعض مشكلاته، دار الثقافة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان،( 1400-1979) ط/1، ص 62-61

ويتبين لنا على إثر ما سبق أن منهج الأشعرية كان منهجا عقليا دونما شك شأنه في ذلك شأن المعتزلة و آرائهم الكلامية ذات الطابع العقلي، الشيء الذي أعطى وأثرى علم الكلام لما تضمنه من تضارب الأفكار و تنازع وجهات النظر ، غير أن منهج الأشعرية في تعاملهم مع الحمولة الغيبية للعقيدة كما جاء في القرآن الكريم و السنة النبوية يبقى منهجا عقليا قائما بذاته ، غرضه توكيد النقل وإعطائه أسبقية الحكم على مختلف القضايا المطروحة في علم الكلام أي أن الأشعري لم يجعل العقل حكما و لم يجعله وسيلة تأويل ذلك أن العقل في رأي الأشعريين يبقى خادما للشرع بحكم أن ما نعرفه من قضايا الشريعة هو ما عرّف به الشرع وخبّر به خلافا للمعتزلة الذين جعلوا من العقل مرتكزا يرتكزون عليه لتأويل النصوص القرآنية في ضوء أحكام العقل فقط، و إلا ما معنى أن يكون قول الأشعريين عامة أن القبح ممّا قبحه الشرع والحسن هو ما حسنه الشرع ؟.

وعلى العموم، "فإن موقف الأشعريين من كبريات القضايا التي تضمنها علم الكلام يبقى موقفا وسطا، توسطوه بين النفي الكلي والإثبات الكلي، أو بين المعتزلة أو بين الجهمية ومن حذا حذوهم، ويتضح ذلك بخصوص رأيهم في أفعال العباد. وبخصوص رأيهم من مسألة الصفات، وليس هذا في رأينا سوى لنصرة الشرع ، أو كما يرى البعض "[1].

إن الأشعري سلك في الاستدلال على العقائد مسلك النقل ومسلك العقل، فهو يثبت ما جاء في القرآن الكريم والحديث الشريف من العقيدة وأصول الدين ويتجه إلى الأدّلة العقلية والبراهين المنطقية ليستدل بها على صدق ما جاء في القرآن والسنة عقلا بعد أن وجب التصديق بها كما هي نقلا ، فهو لا يتخذ من العقل حاكما على النصوص

[1] صبري خدمتلي ، العقيدة و الفرق الإسلامية ص 111

ليؤولها أو يمضي ظاهرها، بل يتخذ العقل لظواهر النصوص ليؤيدها، وهذا طريق وسط . ولهذا وذاك نستشف مما سبق أن الأشاعرة عموما في تعاطيهم مع قضايا الغيب، كمسألة الصفات ومسألة الاستطاعة وأفعال العباد ونظريتهم في الكسب، سلكوا مسلكا عقليا لا للرفع من مسألة العقل والإشادة به وجعله مصدر تشريع وتحكيم بل لجعله خادما للشرع و توكيدا لمضامينه الغيبية.

ولاثبات ما نقول،نورد بعض النصوص الدالة على توجيههم العقلي – الوسطي. فبخصوص مسألة أفعال الإنسان وكيف هي مكتسبة، يقول ما يلي :

"إن وجدنا الكفر قبيحا فاسدا باطلا متناقضا خلافا لما خالف، ووجدنا الإيمان حسنا متعبا مؤلما، ووجدنا الكافر يقصد ويجهد نفسه إلى أن يكون الكفر حسنا حقا، فيكون بخلاف قصده، ووجدنا الإيمان لو شاء المؤمن أن لا يكون متعبا مؤلما ولا مرمضا لم يكن ذلك كائنا على حسب مشيئته وإرادته، وقد علمنا أن الفعل لا يحدث على حقيقته إلا من محدث أحدثه عليها؛ لأنه لو جاز أن يحدث على حقيقته لا من محدث أحدثه على ما هو عليه لجاز أن يحدث الشيء فعلا، لا من محدث أحدثه فعلا، فكما لم يجز ذلك صح أنه لم يحدث على حقيقته إلا من محدث أحدثه على ما هو عليه ،وهو قاصد إلى ذلك لأنه لو جاز حدوث فعل على حقيقته لا من قاصد ، لو يؤمن أن تكون الأفعال كلها كذلك. كما أنه لو جاز حدوث فعل لا من فاعل ،لم يؤمن أن تكون الأفعال كلها كذلك، وإذا كان هذا هكذا، فقد وجب أن يكون للكفر محدث أحدثه كفرا باطلا قبيحا وهو قاصد إلى ذلك، ولن يجوز أن يكون المحدث له هو الكافر الذي يريد أن يكوّن الكفر حسنا صوابا حقا فيكون على خلاف ذلك، وكذلك للإيمان محدث أحدثه

على حقيقة متعبا مؤلما مرمضا، غير المؤمن الذي لو جهد أن يقع الإيمان خلافا ما وقع من إيلامه وإتعابه وإرماضه لم يكن إلى ذلك سبيل. وإذا لم يجز أن يكون المحدث للكفر على حقيقته الكافر، ولا المحدث للإيمان على حقيقته المؤمن فقد وجب أن يكون محدث ذلك هو الله تعالى رب العالمين القاصد إلى ذلك لأنه لا يجوز أن يكون أحدث ذلك جسم من الأجسام، لأن الأجسام لا يجوز أن تفعل في غيرها شيئا ))[1].

وخلاصة هذه الحجة – كما شرحها الدكتور عبد الرحمن بدوي – أنه لو كان الإنسان هو الفاعل حقا لأفعاله لأتت على نحو ما يشتهي ويقصد، ولما كانت لا تأتي كما يشتهي ويقصد، فلا بد أن ثمّ فاعلا حقيقيا آخر غير الإنسان. وهذا الفاعل هو الله[2].

**أعلام الأشاعرة:**

وفي ما يلي تقديم لبعض الشخصيات البارزة، وما عرفت به من آراء من المذهب الأشعري:

01- **أبو الحسن الاشعري** (260 - 324 ه = 874 - 936 م):

علي بن إسماعيل بن إسحاق،أبو الحسن،من نسل الصحابي أبي موسى الاشعري، مؤسس مذهب الأشاعرة.كان من الأئمة المتكلمين المجتهدين.ولد في البصرة.وتلقى مذهب المعتزلة وتقدم فيهم ثم رجع وجاهر بخلافهم.وتوفي ببغداد. قيل:

[1] عبد الرحمن بدوي ، مذاهب الإسلاميين ،ص 555-556

[2] المرجع نفسه، ص 556.

بلغت مصنفاته ثلاثمئة كتاب،منها "إمامة الصديق "و" الرد على المجسمة " و" مقالات الاسلاميين " جزآن، و"الابانة عن أصول الديانة "و" رسالة في الايمان "و" مقالات الملحدين "و"الرد على ابن الراوندي"و"خلق الاعمال" و"الاسماء والاحكام "و"استحسان الخوض في الكلام "رسالة. و "اللمع في الرد على أهل الزيغ والبدع "يعرف باللمع الصغير. ولابن عساكر كتاب"تبيين كذب المفتري، فيما نسب إلى الامام الاشعري "ولحمودة غراب"الاشعري ".

02- **القاضي أبو بكر الباقلاني:** (328ـــ402هـــ) (950ـــ1013م) :

هو محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر، من كبار علماء الكلام، هذّب بحوث الأشعري، وتكلّم في مقدمات البراهين العقلية للتوحيد وغالى فيها كثيراً إذ لم ترد هذه المقدمات في كتاب ولا سنة، ثم انتهى إلى مذهب السلف وأثبت جميع الصفات كالوجه واليدين على الحقيقة وأبطل أصناف التأويلات التي يستعملها المؤولة وذلك في كتابه: تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل. ولد في البصرة وسكن بغداد وتوفي فيها. وجهه عضد الدولة سفيراً عنه إلى ملك الروم، فجرت له في القسطنطينية مناظرات مع علماء النصرانية بين يدي ملكها. من كتبه: إعجاز القرآن، الإنصاف، مناقب الأئمة، دقائق الكلام، الملل والنحل، الاستبصار، تمهيد الأوائل، كشف أسرار الباطنية.

03- **أبو إسحاق الشيرازي:** (293ـــ476هـــ) (1003ـــ1083م):

وهو إبراهيم بن علي بن يوسف الفيروز أبادي الشيرازي، العلامة المناظر، ولد في فيروز أباد بفارس وانتقل إلى شيراز، ثم البصرة ومنها إلى بغداد سنة ( 415هـــ). وظهر نبوغه في الفقه الشافعي وعلم الكلام، فكان مرجعاً للطلاب ومفتياً للأمة في عصره، وقد اشتهر بقوة الحجة في الجدل والمناظرة. بنى له الوزير نظام الملك: المدرسة

النظامية على شاطئ دجلة، فكان يدرس فيها ويديرها. من مصنفاته: التنبيه والمهذّب في الفقه، والتبصرة في أصول الشافعية، وطبقات الفقهاء، واللمع في أصول الفقه وشرحه، والملخص، والمعونة في الجدل.

**4- أبو حامد الغزالي** (450 :ــ505هــ) (1058ــ1111م):

وهو محمد بن محمد بن محمد الغزالي الطوسي، ولد في الطابران، قصبة طوس خراسان وتُوفِّي بها. رحل إلى نيسابور ثم إلى بغداد، فالحجاز، فبلاد الشام، فمصر ثم عاد إلى بلدته. لم يسلك الغزالي مسلك الباقلاني، بل خالف الأشعري في بعض الآراء وخاصة فيما يتعلق بالمقدمات العقلية في الاستدلال، وذم علم الكلام وبيِّن أن أدلته لا تفيد اليقين كما في كتبه المنقذ من الضلال، وكتاب التفرقة بين الإيمان والزندقة، وحرم الخوض فيه فقال: "لو تركنا المداهنة لصرحنا بأن الخوض في هذا العلم حرام". اتجه نحو التصوف، واعتقد أنه الطريق الوحيد للمعرفة .وعاد في آخر حياته إلى السنة من خلال دراسة صحيح البخاري.

**05- أبو إسحاق الإسفراييني:** (ت418هــ) (1027م):

وهو إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن مهران، أبو إسحاق عالم بالفقه والأصول وكان يلقب بركن الدين وهو أول من لقب به من الفقهاء. نشأ في إسفرايين (بين نيسابور وجرجان) ثم خرج إلى نيسابور وبنيت له مدرسة عظيمة فدرس فيها، ورحل إلى خراسان وبعض أنحاء العراق، فاشتهر في العالم الإسلامي . ألّف في علم الكلام كتابه الكبير، الذي سماه الجامع في أصول الدين والرد على الملحدين. قال ابن خلكان: رأيته في خمسة مجلدات. توفي أبو إسحاق الإسفراييني في يوم عاشوراء سنة عشرة وأربعمائة بنيسابور ثم نقل إلى إسفرايين ودفن بها وكان قد نيف على الثمانين.

06- إمام الحرمين أبو المعالي الجويني (419 :ــ478ه) (1028ــ1085م):

وهو عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد الجويني، الفقيه الشافعي ولد في بلد جوين (من نواحي نيسابور) ثم رحل إلى بغداد، فمكة حيث جاور فيها أربع سنين، وذهب إلى المدينة المنورة فأفتى ودرّس. ثم عاد إلى نيسابور فبنى له فيها الوزير نظام الملك المدرسة النظامية، وكان يحضر دروسه أكابر العلماء. وبقي على ذلك قريباً من ثلاثين سنة غير مزاحم ولا مدافع، ودافع فيها عن الأشعرية فشاع ذكره في الآفاق، إلا أنه في نهاية حياته رجع إلى مذهب السلف. وقد قال في رسالته النظامية :والذي نرتضيه رأياً وندين الله به عقيدة إتباع سلف الأمة للدليل القاطع على أن إجماع الأمة حجة. ويعضد ذلك ما ذهب إليه في كتابه غياث الأمم في التياث الظلم، فبالرغم من أن الكتاب مخصص لعرض الفقه السياسي الإسلامي فقد قال فيه: "والذي أذكره الآن لائقاً بمقصود هذا الكتاب، أن الذي يحرص الإمام عليه جمع عامة الخلق على مذاهب السلف السابقين، قبل أن نبغت الأهواء وزاغت الآراء وكانوا رضي الله عنهم ينهون عن التعرض للغوامض والتعمق في المشكلات". نقل القرطبي في شرح مسلم أن الجويني كان يقول لأصحابه: "يا أصحابنا لا تشتغلوا بالكلام، فلو عرفت أن الكلام يبلغ بي ما بلغ ما تشاغلت به". توفي رحمه الله بنيسابور وكان تلامذته يومئذ أربعمائة. ومن مصنفاته: العقيدة النظامية في الأركان الإسلامية، البرهان في أصول الفقه، ونهاية المطلب في دراية المذهب في فقه الشافعية، والشامل في أصول الدين.

07- **الفخر الرازي**( 544) ه ــ 1150م) (606هـ ــ 1210م):

هو أبو عبد الله محمد بن عمر الحسن بن الحسين التيمي الطبرستاني الرازي المولد، الملقب فخر الدين المعروف بابن الخطيب الفقيه الشافعي قال عنه صاحب وفيات

الأعيان "إنه فريد عصره ونسيج وحده، فاق أهل زمانه في علم الكلام، والمعقولات" أهـــ، وهو المعبر عن العقيدة الأشعرية في مرحلتها الأخيرة حيث خلط الكلام بالفلسفة، بالإضافة إلى أنه صاحب القاعدة الكلية التي انتصر فيها للعقل وقدمه على الأدلة الشرعية. قال فيه الحافظ ابن حجر في لسان الميزان: ( 426/4 ــ 429): "كان له تشكيكات على مسائل من دعائم الدين تورث الحيرة، وكان يورد شبه الخصوم بدقة ثم يورد مذهب أهل السنة على غاية من الوهن" إلا أنه أدرك عجز العقل فأوصى وصية تدل على حسن اعتقاده .فقد نبه في أواخر عمره إلى ضرورة إتباع منهج السلف، وأعلن أنه أسلم المناهج بعد أن دار دورته في طريق علم الكلام فقال: "لقد تأملت الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية رأيتها لا تشفي عليلاً ولا تروي غليلاً، ورأيت أقرب الطرق، طريقة القرآن، أقرأ في الإثبات (الرحمن على العرش استوى) و (إليه يصعد الكلم الطيب و العمل الصالح يرفعه )، و أقرأ في النفي (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير) و(ولا يحيطون به علماً)ثم قال في حسرة وندامة " :ومن جرب تجربتي عرف معرفتي".أهـــ (الحموية الكبرى لابن تيمية).من أشهر كتبه في علم الكلام:أساس التقديس في علم الكلام، شرح قسم الإلهيات من إشارات ابن سينا، واللوامع البينات في شرح أسماء الله تعالى والصفات، البيان والبرهان في الرد على أهل الزيغ والضلال، كافية العقول.

**– مناقشة المعتزلة والأشاعرة حول مسألة الجبر والاختيار**

لما كانت المسألة الجوهرية التي وقع حولها الخلاف الكبير في علم الكلام، هي مسألة الحرية والإرادة، لكونها ذات علاقة وطيدة بموضوع الإمامة أو الخلافة؛ فإننا سنخصص هذه المناقشة لهذه المسألة:

إن الأمويين روجوا للمذهب الجبري لأنه مذهب يبرر انتزاعهم للحكم من الإمـــام علـــي –رضي الله عنه– فهم يقولون أن ما حدث قضاء وقدر، وكل من يتمرد على هذا الوضع، فإنه يتمرد على إرادة الله، فالجبرية إذن دعوة للخضوع إلى الأمر الواقع.

وكذلك الشأن بالنسبة للمعتزلة، حيث أن مذهبهم يدافع فكريا وفلسفيا عن وجهة نظر العباسيين، فهم يقولون إن الإنسان يخلق أفعاله، ويسوقون الحجج على هذا الموقف، وفقا لهذه الفلسفة، يتحمل بنو أمية المسئولية المطلقة في انتزاعهم للحكم في هذه الدنيا وفي يوم القيامة طالما كانوا أحرارا.

ويتضح مما سبق أن المعتزلة يلجؤون كثيرا إلى البراهين المنطقية لتبريـــر موقفهم، ولا غـــرو في ذلك، فهم الذين يزعمون حركة العقل قبل النقل، وقد استفادوا في ذلك من منطق اليونان وجدلهم إلى حد كبير، وهي حسنة تحسب لهم، والتاريخ يثبت أن طريقتهم أو منهجهم هذا ساعد على نشر الرسالة المحمدية، في الأوساط المحكمة بالعقل.

غير أن هذا المنهج أوقعهم في بعض التناقضات الصريحة، أو الإشكاليات الصعبة بشأن مسألة الحريـــة، من ذلك ما يلي:

1 - الحجة الحدسية لتبرير الإرادة البشرية والتي يقول بها بعضهم، مثل القاضي عبد الجبار، ليست حجة مقنعة، فكثيرا ما يشعر المرء بأوهام كبيرة مع أنه يخيل إليه أنها حقائق لا يتطرق إليها الشك.

إن التفكير العملي في عصرنا أثبت بما لا يدع مجالا للأخذ والرد، أن مشاعر الإنسان كثيـــرا ما تخدع، وتضلل الباحث، فهي من جملة العوائق الذاتية التي تعيق سير البحث العلمي، ولا سيما في مجال الإنسان، ووفقا ذلك، فالإنسان عند قيامه بالفعل قد يكون خاضعا إلى مؤثر أو جملة مؤثرات، في الوقت الذي يعتقد أنه مالك لإرادته عند قيامه به.

2 - من التناقضات التي وقع فيها هذا المذهب، القول بأن الإنسان خالق لأفعاله، بحجة العدل الإلهي، والقول في الوقت نفسه بوجوب خلق الله لأفعال الخير بحجة الكمال الإلهي، والحال إما أن يكون الإنسان هو الخالق لأفعاله من خير أو شر أو لا يكون كذلك.

3 - من التناقضات أيضا القول بأن الاعتقاد بمبدأ الجبر يسقط مبرر إرسال الرسل –عليهم الصلاة والسلام–، ردا على الجبرية، بينما المعتزلة أنفسهم فعلوا ذلك وصرحوا به عند ما أعلنوا أن إعمال العقل وحده كاف لإدراك حقيقة العقيدة، ففي رأيهم الإيمان بالغيب مثل وجود الله تبارك وتعالى، والبوم الآخر، واجب على كل عاقل حتى عند غياب الرسالة النبوية، والنصوص المترلة بما أنه عاقل، ومن هنا يتضح أن المعتزلة أفرغوا الرسالة من محتواها، في الوقت الذي يحذرون فيه من الجبرية لأنها تقود إلى ذلك من وجهة نظرهم.

4 – إن المبالغة في الاتجاه العقلاني قد تقود إلى نتائج محرجة جدا، فلو طبقنا منهجهم الذي لا يعير لظاهر النقل كبر اهتمام، توصلنا إلى المأزق التالي الذي يجعلنا في حيرة من أمرنا؛ هل نختار التسليم بما جاء به النقل وظاهر الوحي أم نختار ما يمليه العقل والمنطق الصرف؟ والمأزق يتمثل في قياس الإحراج الآتي وهو من نوع الضرب المثبت المركب: إذا كان الله كاملا، وهو كذلك سبحانه، فإنه يعم أفعال الإنسان مسبقا، فإن الإنسان مسير، وإذا كان الله عادلا، وهو كذلك سبحانه، فإن الإنسان مالك لإرادته أي حر، وبالتالي قد لا يحقق علم الله الأزلي، وبالتالي الإنسان يكون حرا.

إذن، إما أن يكون الإنسان مسيرا أو لا يكون علم الله مطلقا.

فهذه النتيجة المنطقية تبين لنا ما يليك إذا كان الإنسان مسيرا فعلم الله مطلق وإذا لم يكن علم الله مطلقا فالإنسان حر، والحال أن المعتزلة يرفضون القول بالجبر وفي الوقت نفسه لا يستطيعون أن يشكلوا في مطلقية وأزلية علم الله.

وهو مأزق جرهم إليه تطرفهم في تحكيم العقل، فالعقل البشري محدود القدرة، وقدرته لا تكاد تتجاوز عالم الوقائع، أما الصفات الإلهية والقضايا الغيبية فلا يمكنه استيعابها إلا جزئيا.

وهو ما دعا كثيرا من المفكرين إلى ضرورة تجنب الاشتغال بالميتافيزيقية، ومنهم الإمام الغزالي وابن خلدون من مفكري الإسلام، والفيلسوف كانط وفلاسفة الاتجاه التجريبي أو الوضعي عبر تاريخ الفلسفة الغربية، ويبدو أن ابن خلدون وفق في تقريب الفكرة إلى الذهن بالتشبيه الذي جاء به، فهو يقول بأن عقل الإنسان في محدوديته، أشبه بميزان الذهب، فمن الخطأ استعماله في وزن الأحجار الثقيلة، ويقصد أن مسائل الغيب

من الصعوبة بحيث يقف العقل عاجزا عن استيعابها وتقديم الحلول الوافية الشافية بشأنها، ومن هنا تقتضي الحكمـــة في أن يقصـــر العقل نشاطـــه على دراسة ما يمكن دراسته مثل مسائل الكون أو الطب العضوي أو التاريخ.

ونظرا لهذا الوضع المحرج الذي يقود إليه استعمال العقل ودفعه إلى مداه الأقصى، تخلى الإمام الأشعري عن مذهب الاعتزال، ليؤسس مذهبا يعيد الاعتبار للنقل، ويعطيه الأولوية على العقل كما رأينا، وبالنسبة لمسألة الجبر والاختيار يتخذ موقفا يحاول التوفيق بين المعتزلة والجبرية، كما يحاول التوفيق بين الفقه وعلم الكلام.

وقد رأينا أن موقف الأشاعرة حول هذه المسألة اشتهر بنظرية الكسب، فالعبد ففي نظرهم لا هو مسير بصفة مطلقة، ولا هو مخير بصفة مطلة، فهو بين هذا وذاك، فالله تعالى هو الذي يخلق الفعل والعبد يكسبه أي يقوم به، وقد أتينا على ذكر حججهم العقلية والنقلية.

وبسبب اختيارهم وتحمسهم للنزعة التوفيقية، استطاعوا استمالة السواد الأعظم من جمهور المسلمين إليهم، لكن استمالة الجمهور لا تدل على قوة المذهب، حيث إن توسطهم تعسفي ومصطنع إلى حد كبير، وما يدل على ضعف نظريتهم، أنهم بدورهم وقعوا في تناقض صارخ وهو من جهة يقررون أن الله يشترك مع الإنسان في القيام بالفعل، وهذا مبدؤهم، ومن جهة أخرى يقولون باستحالة مساهمة الإنسان مع الله، في إحداث الاستطاعة بحجة عدم جواز اجتماع مؤثرين في إحداث أثر واحد.

ثم ما معنى هذا التقسيم التعسفي للفعل البشري؟ الفعل كحركات ممكنة والفعل وقد تم إنجازه أو بتعبير القدماء الفعل بالقوة والفعل بالفعل، والحق أنه لا يوجد إلا فعـــل

واحد وهـــو ما ينجزه الشخص، لذا فالأشاعرة أمام خيارين: إما القول بحرية الاختيار، فينسب العقل حينئذ للإنسان، ويبقى للمسئولية والجزاء ما يبررهما، وإمام القول بالجبر، فلا مجال للقول إذن بالإرادة البشرية، ولا جدوى حينئذ من هذا الفصل التعسفي بين الفعل الذي خلقه الله، والفعل الإرادي البشري أي الكسب بتعبيرهم.

نستخلص مما سبق أن مشكلة الحرية من أصعب المشاكل الفلسفية، التي طرحها المتكلمون والفلاسفة منذ القدم، ولا زالت مطروحة إلى زماننا هذا، وقد رأينا أن القول الجريء بحرية الاختيار وقدرة الإنسان على خلق أفعاله من طرف المعتزلة، يقود إلى بعض التناقضات والمواقف المحرجة، ورأينا أن كلا من المذهبين المعتزلي والأشعري يرفض الاعتقاد بالجبر لأنه يقود إلى نتائج تنال من كمال الله تعالى، كما رأينا أن اختيار التوسط ليس بالأمر الهين.

لكن إن عجز المذهبان معا على اختلاف منهجيهما، عن إقناع الجميع منطقيا ونظريا، بحيث يقع الاطمئنان بالاعتقاد بالجبر أو بالاختيار أو بصيغة توفيقيـــة لا تلفيقيـــة بينهمـــا، فلا أقـــل من الاحتكام إلى الجانب العملي النفعي البراغماتي لاختيار وتغليب أحد الموقفين دون الآخـــر، أي ما هو الصلح والأنفع من زاوية واقعية عملية نفعية: المذهب المعتزلي أو المذهب الأشعري؟

هل الأصلح للفرد والجماعة القول بأن الإنسان مالك فرادته وقادر على توجيه الأحداث، أم القول بأنه مجرد كائن مسلوب الإرادة، مقيد بقوى غيبية متعالية، تجرفه إلى حيث يعلم أو لا يعلم؟

واضح أن الأصلح هو الاختيار الأول، فعلى الإنسان أن يسلم إذن أنه كائن ذو إرادة وقوة، ومن هنا فعليه أن يعمل ليحسن أوضاعه السياسية، الاقتصادية، الاجتماعية، والثقافية، ليتحـــرر من قيود الجهل، الفقر والمرض، عوض الاكتفاء بالتأمل في موضوع الحرية والغيبيات بشكل عام.

وهكذا نستخلص أن الأخذ بمذهب الاعتزال أنفع من الأخذ بمذاهب الأشاعرة للفرد والأمة، لأنه يشكل اتجاها تقدميا، وصفحة مشرقة لامعة في تاريخ الفكر الإسلامي، غير أن وقوع الأمة الإسلامية في أحضان التخلف جعلها تفتش في تراثها عن مسكن روحي وإيديولوجي يبرر تخلفها وتواكلها، فوجدت ضالتها في المذهب الأشعري، فتمسكت به وعضت عليه بالنواجذ، فكتب له البقاء والسيادة، وطويت صفحة المعتزلة للأسف الشديد.

# الخـــاتمـــــة

إن التجربة الشخصية في التعامل مع القرآن الكريم هي التي تفتح مغاليق النصوص القرآنية، وتكشف دلالاته وأسراره، فالتدبر في القرآن هو أساس كشف تلك المعاني.

إن مفكري الفرق الإسلامية كالأشاعرة والمعتزلة والماتريدية قد أدركوا كثيرا من معاني القرآن الكريم، عن طريق تأويلهم للنصوص واستخدام البرهان كآلية في تحليل النصوص، أما الصوفية فهم أرباب التأويل وذلك لأنهم اعتمدوا على التفسير الإشاري وفك رموز ومصطلحات النص الديني عن طريق تجاربهم الروحية والذوقية.

إنه لا يمكن تأويل النصوص القرآنية بمعزل عن المعنويات التفسيرية التقليدية، كما أنه لا يمكن تأويل وإدراك دلالات القرآن الكريم دون الاعتماد على علومه والآليات الحدسية التي اعتمدها أهل التأويل والتفسير.

لا بد من ربط التأويل والتفسير بالعلوم الإنسانية المعاصرة، وذلك حتى نكشف عن كثير من الأسرار القرآنية واستثمارها في الواقع الاجتماعي والثقافي للأمة، هذا من جهة، ومن جهة أخرى استنباط نظريات اجتماعية واقتصادية وثقافية من القرآن الكريم، فالقرآن ليس كتابا للذكر والموعظة، ولكن هو منهج حياة.

إن قضية الغيب عميقة ومعقدة، ولقد خاض فيها العلماء والمفكرون منذ القدم و لم يبلغوا لها شأوا بالرغم مما بذلوه فيها من جهود.

فموضوع الغيب في القرآن الكريم محل الإعجاز بعينه، وكلما استطاع الدارس أن يقف على بعض مظاهر الإعجاز في القرآن الكريم أحس بامتداد أسراره التي مازلت تفتر لك عن بديعة وترميك بلطيفة، وتلوح إليك بنفيسة... ولعل أكبر معجزة هي اللغة التي

استعملها القرآن لإيصال هذه المعاني، وما أحسبني قد أتيت بجديد، وإنما حسبي ما قمت به من جهد في هذا المضمار.

إن أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال دراستي المتواضعة لمفهوم الغيب في القرآن الكريم يمكن حصرها فيما يلي:

1 - إن مسألة الغيب معطى أساسي في تحديد المفاهيم العقائدية من توحيد ونبوة ومعاد وعدل إلهي.

2 – إن النص القرآني رغم كونه ينتمي إلى المطلق متمثلا في الله سبحانه إلا أنه قابل للتأويل، وإدراك كثير من دلالاته الغيبية عن طريق عدة أداوت إجرائية حددها علماء التأويل.

3 – إن خير ملكة نعتد بها في نظرنا لفك رموز وإشارات كثيرة من الألفاظ القرآنية وما تحمله من دلالة وحقائق غيبية هي الذوق والكشف والحدس، وهذه أدوات لا يمكن أن يدركها إلا من تدرج في المقامات الروحية، والأحوال الربانية، وانتقل من الخلق إلى الحق عن طريق الرياضة الروحية والكشف والوجدان.

ذلك أن أسرار القرآن الكريم لا يجود بها الباري إلا على من أتى الله بقلب سليم، وروح طاهرة، وكشف رباني خرق الأستار والحجب الكثيفة، حجب المادة والدنيا والغرور.

وختاما أقول: هذا جهد مقل، أحسب أن أكون قد ساهمت ولو بقليل من خلال هذا العمل في تسليط الضوء على هذا النوع من الدراسة، كما أعتبر هذا المجهود المتواضع

الذي قمت به خطوة تفتح مجالا للتواصل في عملية البحث للإثراء أكثر ولاستدراك ما فاتني لكون الموضوع واسعاً، ويتطلب الإحاطة والتوسع نظرا لطبيعته وخصوصيته.

فأسأل الله أن يجزيني خير الجزاء فيما أصبت، وخير الصفح والتجاوز عما أخطأت، ﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ [سورة البقرة الآية 286] .

# الفهارس

# فهرس الآيات القرآنية


| الأية | السورة | رقم الأية | رقم الصفحة |
|---|---|---|---|
| | | – أ– | |
| ((ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ ...)) | النحل | 125. | 131. |
| (أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ ...)) | الأعراف | 185. | 132. |
| (أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ ...)) | الحجرات | 12. | 80. |
| (( ألم ذَلِكَ الْكِتَابُ ...)) | البقرة | 01- 02. | 18-19-47. |
| (الم (1) غُلِبَتِ الرُّومُ ...)) | الروم | 01-04. | 64-109. |
| (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا ...)) | المنافقون | 11-12. | 69. |
| ((أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ ...)) | يونس | 38. | 53-69. |
| ((أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ ...)) | الطور | 30-31. | 69. |
| (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ ...)) | البقرة | 258 – 260. | 96. |
| (أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ ...)) | الغاشية | 17. | 83. |
| (سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ...)) | فصلت | 46. | 141-146. |
| (أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ...)) | إبراهيم | 10. | 132. |
| (إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ ...)) | آل عمران | 190. | 132. |
| ((الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ ...)) | يوسف | 01- 04. | 40. |
| (الَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ...)) | التوبة | 107-110. | 62. |
| ((إلاّ إبليس كان ...)) | الكهف | 50. | 44. |

| | | | |
|---|---|---|---|
| ((إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ ...)) | النساء | 48. | 30. |
| ((إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ ...)) | لقمان | 34. | 25. |
| (( إِنَّ مَثَلَ عِيسَى ...)) | آل عمران | 59. | 33. |
| ( إنّ الذين يخشون ...)) | الملك | 12. | 49. |
| ((إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ...)) | المزمل | 05. | 75. |
| ((أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ ...)) | النساء | 82. | 76. |
| (( اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ ...)) | العلق | 01-05. | 50-75. |
| ((إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا...)) | الفتح | 01. | 54-66. |

– هـ –

| | | | |
|---|---|---|---|
| ((هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ ...)) | التوبة | 33. | 42. |
| ((هُوَ اللَّهُ الَّذِي ...)) | الحشر | 22. | 16. |
| ((هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ...)) | الحشر | 02. | 17. |

– و –

| | | | |
|---|---|---|---|
| ((وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا ...)) | الجن | 03. | 30. |
| (( وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ...)) | المائدة | 27- 30. | 38. |
| ((وَإِنْ طَائِفَتَانِ ...)) | الحجرات | 09. | 145. |
| ((وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ ...)) | الحج | 42-44. | 38. |
| ((والذين يؤمنون ...)) | البقرة | 01- 04. | 46-49-126. |
| ((وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ ...)) | مريم | 54-55. | 39. |
| ((وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى ...)) | الأنفال | 07-08. | 45-101. |

| | | |
|---|---|---|
| ((وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ ...)) المائدة | 56- 157-158. | 37. |
| ((ويبقى وجه ربك...)) الرحمن | 27. | 24. |
| ((وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ...)) الكهف | 83-97. | 39. |
| ((وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ ...)) القلم | 10- 16. | 67. |
| ((وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ...)) الكهف | 23-24. | 32. |
| ((ولله المشرق و المغرب ...)) البقرة | 115. | 140. |
| ((وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ ...)) آل عمران | 144. | 73. |
| ((وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ...)) البقرة | 204-205. | 61. |
| (( وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ ...)) القمر | 17- 22- 32-40. | 19. |
| ((وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ...)) آل عمران | 104. | 145. |
| (( وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ ...)) آل عمران | 07. | 19. |
| ((وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ ...)) القصص | 44. | 40-41. |
| ((وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ ...)) العنكبوت | 48. | 77. |
| ((وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى..)) النجم | 01- 02- 23. | 24-81. |
| ((وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا ...)) النور | 55. | 43. |
| ((وعلامات وبالنجم)) النحل | 16. | 24. |
| ((وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ...)) الأنعام | 59. | 25- 47-54. |
| ((وفي أنفسكم ... )) الذاريات | 20. | 84. |
| ((وإن من شيء إلا عندنا ...)) الحجر | 21. | 55-59. |
| ((وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ...)) التوبة | 30. | 29-70. |

| | | | |
|---|---|---|---|
| ((وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ ...)) | الإسراء | 81. | 84. |
| ((قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ...)) | الإخلاص | 01- 04. | 29. |
| (وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا) | طه | 114. | 132. |
| ((وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ ...)) | النساء | 64. | 40. |
| ((وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا...)) | سبأ | 03. | 91. |
| (( و ما يغرب عن ربك ...)) | يونس | 61. | 58. |
| ( وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ...)) | آل عمران | 44. | 20-41. |
| ((وَمَا كُنْتَ ثَاوِيًا فِي أَهْلِ...)) | القصص | 45. | 41. |
| ((وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ ...)) | يس | 38. | 90. |
| | – ي – | | |
| ((يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ ...)) | الحج | 05. | 85-57. |
| (يا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ ...)) | المائدة | 67. | 64. |
| (( يؤمنون بالغيب)) | البقرة | 03. | 15- 46 – 76. |
| ((يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ ...)) | الرعد | 39. | 58. |
| (( يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ ...)) | الحشر | 24. | 15. |
| | – ك – | | |
| ((كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ...)) | الرحمن | 26-27. | 30. |
| ((كنتم خير أمة...)) | آل عمران | 110. | 144. |
| ((كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ ...)) | القمر | 09-15. | 38. |
| | – ل – | | |

| | | |
|---|---|---|
| (( لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ ...)) الحشر | 19. | 16. |
| ((لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ ) الصافات | 47. | 20. |
| ((ليس كمثله شيء)) الشورى | 11. | 30-140. |
| ((لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي...)) الحجر | 72. | 82. |
| ((لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ ...)) الفتح | 26-27. | 46-66. |
| ((لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا ...)) يس | 40. | 89. |
| – مــ – | | |
| ((ما أصاب من مصيبة ...)) الحديد | 22. | 58. |
| ((مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ ...)) الأحزاب | 40. | 68. |
| (( مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ... )) المؤمنون | 91. | 30. |
| ((مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ ...)) ق | 33. | 49. |
| ((مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ...)) الجمعة | 05. | 29. |
| – س– | | |
| ((سبحانك لا علم لنا ...)) البقرة | 32. | 51. |
| (( سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ ...)) الحشر | 01. | 17. |
| ((سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ ...)) القمر | 45. | 52-66. |
| ((سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ ...)) الكهف | 22. | 32. |
| ((سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ ...)) فصلت | 51. | 84. |
| –ع– | | |
| ((عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ...)) الجن | 26. | 28-60. |

– ف –

| | | |
|---|---|---|
| ((فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا)) البقرة | 24. | 65. |
| ((في كتاب مكنون ...)) الواقعة | 79. | 59. |
| ((فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ ...)) سبأ | 14. | 51-61. |
| ((فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ ...)) الأنعام | 76 -79. | 99. |
| ((فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً)) الأنعام | 78. | 24. |
| (فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ ..)) الدخان | 10-16. | 67. |

– ق –

| | | |
|---|---|---|
| ((قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ ...)) الأنفال | 31. | 82. |
| ((قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي...)) الأنعام | 50. | 55. |
| ((قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ ...)) الإسراء | 88. | 53-65. |
| ((قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا...)) الكهف | 26. | 146. |
| ((قل لو كان فيهما آلهة)) الأنبياء | 22. | 31. |

– ش–

| | | |
|---|---|---|
| (( شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ...)) آل عمران | 18. | 132. |

– ت–

| | | |
|---|---|---|
| ((تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ ...)) هود | 49. | 40-60-62. |
| ((تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ...)) المسد | 01-03. | 52-68. |

– ث–

| | | |
|---|---|---|
| (( ثمّ استوى على العرش)) الأعراف | 56. | 140. |

-ذ -


| | | |
|---|---|---|
| (( ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ ...)) الحج | 06 - 07. | 86. |
| ((ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ...)) يوسف | 102. | 21. |
| ((أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ ...)) الطور | 37. | 55. |
| ((وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ...)) المنافقون | 07. | 56. |
| ((وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ ...)) الإسراء | 81 . | 56. |
| ((لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ ...)) الإنشقاق | 19. | 71. |
| ((يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ...)) الرحمن | 33. | 94. |
| ((وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى...)) النجم | 03-04. | 101. |
| ((وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيدًا...)) المدثر | 13. | 115. |
| ((فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ...)) الطارق | 05. | 132. |
| ((لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا...)) النبأ | 24-32. | 132. |
| ((أم من هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ...)) الزمر | 09. | 132. |
| (( يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ ...)) البقرة | 269. | 132. |
| ((أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ ...)) الملك | 16. | 140. |
| ((وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا...)) النحل | 118. | 141. |
| ((قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ...)) يونس | 108. | 146. |

# فهرس الأحاديث النبوية الشريفة


| الحديث | الصفحة |
|---|---|
| **– أ–** | |
| – أتخافني ، فقال : لا ... | 65. |
| – أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ... | 104. |
| – إن الله لا يقبض العلم انتزاعا ... | 111. |
| – إن بين يدي الساعة .... | 111. |
| – إستفتح رجل فقال لي.... | 112. |
| – أخرج النبي صلى الله عليه وسلم يوما الحسن ... | 113. |
| – أتي رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما بلحم .... | 124. |
| **–ب–** | |
| – بعث بكتابه إلى كسرى ... | 102. |
| – بينما أنا عند النبي صلى الله عليه وسلم ... | 103. |
| – بينما نحن جلوس مع النبي صلى الله عليه وسلم ... | 112. |
| – بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم ... | 112. |
| **– و–** | |
| – وكلني رسول الله صلى الله عليه وسلم بحفظ زكاة رمضان ... | 108. |
| **– ي–** | |
| – يوشك يا معاذ ... | 102. |
| – يا رسول الله إني رأيت حلما ... | 114. |

-ك-

- كنا مع عمر .... .101
- كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ... .106-105
- كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبل الهدية ... .107-106

-ل-

- لقد أنزلت علي آية .... .54
- ليس لعين ترى.... .144
- لما أمر النبي صلى الله عليه وسلم.. .105-104
- لا تقوم الساعة .... .106
- لما فتحت خيبر.... .107
- لأحدثنكم حديثا .... .111

-م-

- من أتى كاهنا... .34

- ص-

-صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الفجر... .115

- س-

- سيخرج من ثقيف كذابان... .115

- ق-

- قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقاما ... .115

- ت-

- تقتل عمار الفئة الباغية ... .113

- ذ-

- ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الدجال .... 118.

-خ-

- خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى جنازة.. 120.

# قائمة المصادر والمراجع

**أولا:**

القرآن الكريم، برواية حفص عن عاصم.

**ثانيا :**

_1أحمد: أبو عبد الله أحمد بن حنبل ، مسند الإمام أحمد، مصر، قرطبة الهرم، (د ت ط)

_2الأشعري: أبو الحسن علي بن إسماعيل ، مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، تحقيق: محيي الدين عبد الحميد، القاهرة – مكتبة النهضة (1980/1401)

_3الأصفهاني: أبو القاسم الحسين بن محمد الراغب،مفردات القرآن،بيروت – دار المعرفة (د ت)

_4أمين: أحمد، ضحى الإسلام، مصر – مكتبة النهضة، ط7 (د ت).

_5الباقلاني: أبو بكر محمد بن الطيب بن محمد ، إعجاز القرآن، تحقيق: سيد أحمد صقر، مصر، دار المعارف، 1963/1383).

_6البخاري: أبو عبد الله محمد بن إسماعيل ، صحيح البخاري، تحقيق: مصطفى ديب البغا، بيروت، دار ابن كثير، ط3 (1987/1407).

_7بدوي: عبد الرحمان، مذاهب الإسلاميين، بيروت، دار العلم للملايين، ط1، (1971/1392).

_8بكري: شيخ أمين، التعبير الفني في القرآن الكريم، بيروت، دار الشروق، ط4،(1980/1400).

_9البيهقي: أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي ، دلائل النبوة، تحقيق: عبد المعطي قلعجي، بيروت، دار الكتب العلمية، (1995/1406 ).

_10تركي: إبراهيم محمد، علم الكلام بين الدين والفلسفة، الإسكندرية، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، (2008/1429).

_11الترمذي: أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة ، الجامع الصحيح، تحقيق: أحمد محمد شاكر، بيروت، دار إحياء التراث العربي، (د ت).

_12التفتزاني: أبو الوفاء غنيم، علم الكلام وبعض مشكلاته، بيروت، دار الثقافة للطباعة والنشر، ط1، (1979/1400).

_13الجرجاني: أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمان بن محمد ، دلائل الإعجاز،تحقيق:رشيد رضا، بيروت، دار المعرفة، (1982/1403).

_14ابن جزي: محمد أحمد ، التسهيل في علوم التنزيل، بيروت، دار الكتاب العربي، ط3، (1981/1402).

_15ابن جني: أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي ، الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، بيروت، دار الكتاب العربي، (1965/1385).

_16ابن حجر: أبو الفضل أحمد بن علي العسقلاني ، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، رقمه: محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت، دار الفكر (د ت).

_17الحموز: عبد الفتاح أحمد، التأويل النحوي في القرآن الكريم، الرياض، مكتبة الرشد، ط1، (1984/1405).

_18خدمتلي: صري، العقيدة والفرق الإسلامية، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، (د ت).

_19الخطيب البغدادي: عبد القاهر بن طاهر بن محمد ، الفرق بي نالفرق، تحقيق: مجدي فتحي السيد، مصر، المكتبة التوفيقية (د ت).

_20ابن خلدون: أبو زيد عبد الرحمان ، المقدمة، بيروت، دار الصدر، ط1، 2000/1421).

_21أبو داود: سليمان بن الأشعث السجستاني ، سنن أبي داود، تحقيق: محي الدين عبد الحميد، بيروت، دار إحياء التراث العربي (د ت).

_22الرازي: أبو عبد الله فخر الدين محمد بن عمر بن الحسن ، مفاتيح الغيب، بيروت، دار الفكر، ط3، (1985/1405).

_23زعراط: محمد، الفرق الإسلامية الكبرى، الجزائر، دار الغرب للنشر والتوزيع، (د ت).

_24زكي: إبراهيم محمد، علم الكلام بين الدين والفلسفة، الإسكندرية، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، (2008/1429).

_25الزمخشري: أبو القاسم جار الله محمد بن عمر ، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيوب الأقاويل في وجوه التنزيل، رتبه: محمد عبد السلام شاهين، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، (1995/1415).

_26أبو زهرة: محمد بن أحمد ، زهرة التفاسير، القاهرة، دار الكتاب العربي، (1974/1394).

_27زهير: بن أبي سلمى، ديوان زهير بن أبي سلمى، شرح: أبو العباس ثعلب، القاهرة، الدار العراقية للطباعة والنشر، (1994/1415).

_28السعد: نروة خالد، التغيير الاجتماعي في فكر مالك بن نبي، الرياض، الدار السعودية للنشر والتوزيع، ط1، (1997/1418).

_29السيوطي: جلال الدين السيوطي والمحلي، تفسير الجلالين، بيروت، دار الفكر، ط3، (2004/1424).

_30السيوطي: أبو زيد عبد الرحمان بن أبي بكر، اللآلئ المصنوعة في الأحادي الموضوعة، بيروت، دار الكتب العلمية، (د ت).

_31السيوطي: أبو زيد عبد الرحمان بن أبي بكر ، الدر المنثور في تفسير القرآن بالمأثور، بيروت، دار المعرفة، ط1، (1985/1406).

_32الشعراوي: تفسير الشعراوي ،الجزائر ، مكتبة الشهاب ، (د ت).

_33الشنقيطي: محمد الأمين بن محمد المختار، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، حققه: محمد عبد العزيز الخالدي،بيروت ، لبنان ، دار الكتب العلمية ، ط2، (2003/1424).

_34الشهرستاني: أبو الفتح محمد بن عبد الكريم ، الملل والنحل، تحقيق: أبو محمد محمد بن فريد، مصر، المكتبة التوفيقية (د ت).

_35الصابوني: محمد علي، صفوة التفاسير، الجزائر، شركة شهاب (د ت).

_36صالح: السيد محمد، مدخل إلى علم الكلام، القاهرة، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع ، (2001/1422).

_37ابن طباطبا، الميزان، بيروت، دار الأعلمي للمطبوعات ، (1973/1392).

_38الطبري: أبو جعفر محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، بيروت، دار الفكر، (1988/1408).

_39عبد الستار: لبيب، الحضارات، بيروت، دار المشرق، ط7، (1986/1407).

_40عبدو: محمد خير، الكون والنسبية بين القرآن الكريم والنظرية، دمشق، مكتبة الأسد، (1994/1415).

_41عبد المعطي: عبد العزيز، قضية الإعجاز القرآني وأثرها في تدوزين البلاغة العربية، بيروت، عالم الكتب، ط1، (1985/1406).

_42العدوي: أبو عبد الله مصطفى، التسهيل لتأويل التنزيل، مصر، دالار ابن كثير، ط1، (1996/1416).

_43فخري: ماجد، موجز تاريخ الفلسفة الإسلامية، (د م) ، (1981/1402).

_44فخري: ماجد، مختصر تاريخ الفلسفة العربية ، (د ت م ).

_45الفراء: أبو زكريا يحيى ، معاني القرآن، تحقيق: عبد الفتاح شلبي، القاهرة، الخيئة العامة للكتاب، (1984/1405).

_46القافلي: عادل عبد الله، كشوف جديدة في إعجاز القرآن، القاهرة، دار الثقافة للنشر والتوزيع، ط1، (2006/1427).

_47القرطبي: أبو عبد الله محمد بن أحمد ، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: عرفان العشا، بيروت، دار الفكر، (2003/1424).

_48ابن القيم: أبو عبد الله محمد بن أبي بكر ، التبيان في أقسام القرآن، تحقيق: فواز أحمد زمرلتي، بيروت، دار الكتاب العربي، ط 1 ، (1993/1414).

_49المبرد: أبو العباس محمد بن يزيد ، الكامل في اللغة والأدب، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، دارلا النهضة، (د ت ).

_50محمد علي: عصام الدين، تاريخ الفلسفة الإسلامية، الاسكندرية، منشأة المعارف، (د ت).

_51مخلوف: حسنين ، صفوة البيان لمعاني القرآن ، بيروت ، دار الشروق ، ط3، (د ت).

_52مسلم: أبو الحسين محمد بن الحجاج النيسابوري ، صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت، دار إحياء التراث العربي، (1992/1413).

_53ابن نبي: مالك، مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، ترجمة: د: سامر بركة، دمشق، دار الفكر، ط 1، (1988/1409).

_54النسائي: أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي ، السنن الكبرى، تحقيق: عبد الغفار سليمان البنداري، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1 ، (1991/1411).

_55النووي: أبو زكريا بن شرف الدين ، صحيح مسلم بشرح النووي، بيروت، دار الفكر، ط1، (1996/1417).

_56النيسابوري: أبو عبد الله محمد بن عبد الله ، المستدرك على الصحيحين، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، (1990/1411).

_57ابن هشام: أبو محمد عبد الله جمال الدين،مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تحقيق: د. محمد علي حمد الله ، بيروت ، دار الفكر ، ط2 ، (1969/1390).

_58هويدي: يحيى، درراسات في علم الكلام والفلسفة الإسلامية، القاهرة، دار الثقافة والتوزيع، ط3، (2002/1423).

_59الواحدي: بن أحمد، أسباب النزول، تحقيق: عصام الحميدان، بيروزت، مؤسسة الريان، ط1، (1990/1411).

_60مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، (د ت ط).

61_ المنجد في اللغة والأعلام، بيروت، دار الشروق، ط1، (د ت).

**المراجع المساعدة:**

1_ أمين: أحمد، فجر الإسلام، بيروت، دار الكتاب العربي، ط 10، (1996/1389).

2_ البلخي: أبو القاسم، والقاضي عبد الجبار، فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة، تحقيق: فؤاد سيلا، تونس، الدار التونسية للنشر، (1986/1406).

3_ السكاكي: مفتاح العلوم، مصر، المطبعة اليمنية، (د ت).

4_ السيوطي: أبو زيد عبد الرحمان بن أبي بكر ، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، بيروت، دار إحياء الكتاب العربي، (د ت).

5_ شيخون: محمود السيد، الإعجاز في نظم القرآن، ط 1، القاهرة، مكتبة الكليات الأزهرية، (1978/1398).

6_ الطريحي: أحمد، مجمع البحرين، (د م ت).

7_ عبد الحليم: محمود، التفكير الفلسفي في الإسلام، بيروت، دار الكتاب اللبناني، (د ت).

8_ غرفة: عبد العزيز عبد المعطي، قضية الإعجاز القرآني وأثرها في تدوين البلاغة القرآنية، القاهرة، عالم الكتاب، (د ت).

9_ قطب: سيد، التصوير الفني في القرآن، بيروتن دار المعارف، (1966/1386).

10_ ابن كثير: أبو الفداء بن كثير الدمشقي ( 1357/744)، قصص الأنبياء، بيروت، دار الفكر، (د ت).

12_ مزري: سعد حاتم، معجزة القرآن والطوفان بين العلم والإيمان.

**مواقع الشبكة العنكبوتية والكتب الإلكترونية.**

81- المكتبة الشاملة: www. Shamela.net

82- المكتبة الوقفية: www.waqfeya.net

83- مكتبة صيد الفوائد: www.said.net.

84- مكتبة مشكاة: www.michkat.net.

85- موقع منهج القرآن: www.menhj-alquran-alhur.com

# فهرس الأعلام

| العلم | الصفحة |
| --- | --- |

– أ –

ابن النديم . 152.

أحمد بن حنبل 115.

أحمد بن يحيى المرتضى. 138.

إبراهيم النظام. 92-93 - 155.

أبيقور. 155

أمية بن أبي الصلت 23.

أبو إدريس الخولاني 116

أبو إسحاق الشيرازي. 168.

أبو إسحاق الإسفراييني. 169.

أسماء بنت أبي بكر الصديق 114.

أنس بن مالك 101-111- 122- 123.

– ب –

البغوي. 35.

البخاري 106- 111.

البراء بن عازب. 104- 120- 122.

أبي بكرة. 113.

أبو بكر الباقلاني. 76-163-167.

أبو بكر الصديق. 109- 110.

- ج -

عمرو بن بحر (الجاحظ) 92 - 93.-152- 155.

ابن جني. 79.

جبير بن نفير. 105

- د-

دمقراطيس. 155.

دحية الكلبي 102

أبو داوود 106.

- هـــ -

أبو هريرة 102-106-107-108- 124.

أبو هاشم الجبائي 158.

أبو الهذيل العلاف. 147-148-149- 153-154-155.

- و -

واصل بن عطاء. 152-137-153.

- ز -

زهير بن أبي سلمى ربيعة بن رباح. 32.

محمد بن عمر (جار الله الزمخشري). 94.

- ح -

أبو حامد الغزالي. 168 - 163.

ابن حجر العسقلاني 25- 171.

أبو الحسن الأشعري 167- 157- 158 -160-161- 164-167.

الحسين بن علي 114.

الحجاج بن يوسف 114-115

حذيفة بن اليمان 115-

116.

الحسن البصري. 137-152.

ابن حزم . 155.

– ط –

طرفة بن العبد بن سفيان بن سعد. 24.

– ي –

يسير بن جابر 117.

– م –

مالك بن نبي. 73.

محمد بن أحمد أبو زهرة. 47.

محمد الأمين الشنقيطي. 35.

معاذ بن جبل. 101- 102.

مرة البهزي .112

معبد بن هلال العتري .121

أبو المعالي الجويني. .163-.169

الإمام مسلم. 65 -101 ، 102- 111.

ابن مسعود .111

أبو موسى الأشعري .160-112

– ن –

النسائي .104

النواس بن سمعان. .118

أبو نعيم. .102

نيار بن مكرم الأسلمي. .110

– س –

سفيان الثوري .110

سلمان الفارسي .105

سفيان الثوري .110

أبو سعيد الخدري .113-112

أم سلمة .113

- ع –

عمرو بن عبيد. .153

عمر بن الخطاب. .112 -101 – 52

القاضي عبد الجبار. .158 -150-138-159

أبو علي الجبائي .158-.157

علقمة بن عبدة التميمي .35

ابن عباس عبد الله بن عباس. .109 -102

ابن عبد البر. .35

عدي بن حاتم. .103

عبد الله بن حوالة. .106 -105

عائشة بنت أبي بكر الصديق أم المؤمنين .111

عثمان بن عفان .112

عبد الله بن الزبير .114

عمرو بن يزيد بن الأخطب .116

عبد الواحد بن أحمد بن عاشر. .48

عبد القاهر الجرجاني. .78

عبد الرحمن بدوي . .166

ـ ف ـ

فاطمة بنت رسول الله .114

أم الفضل بنت الحارث .114

فخر الدين الرازي. 46 -163- 170.

ـ ص ـ

الصاحب بن عبادة. .158

ـ ق ـ

قس بن ساعدة الإيادي .22

القرطبي. 26

ـ ر ـ

رنيه ديكارت 151.

ـ ش ـ

الشهرستاني. 149

ابن شهاب 116

ـ خ ـ

ابن خلدون 24

# فهرس الموضوعات

**المقدمة** ........................................................................ أ

**مدخل** ..... 7

**الفصل الأول** : الغيب عند المفسرين ..... 21

ـــ المبحث الأول : دلالات الغيب على الماضي ..... 22

ـــ المبحث الثاني : دلالات الغيب على المستقبل ..... 41

**الفصل الثاني** : الغيب و الإعجاز في القرآن الكريم ..... 70

ـــ المبحث الأول : الغيب و الإعجاز البلاغي ..... 71

ـــ المبحث الثاني : الغيب و الإعجاز العلمي ..... 82

ـــ المبحث الثالث : الحديث الشريف و الغيب ..... 97

**الفصل الثالث** : الغيب عند علماء الكلام ..... 122

ـــ المبحث الأول : الغيب عند المعتزلة ..... 131

ـــ المبحث الثاني : الغيب عند الأشاعرة ..... 156

**الخاتمة** ..... 173

**الفهارس** ..... 177

فهرس الآيات القرآنية ..... 178

فهرس الأحاديث الشريفة ..... 185

فهرس المصادر و المراجع ..... 188

فهرس الأعلام ..... 198

فهرس الموضوعات ..... 206

Your complimentary use period has ended. Thank you for using PDF Complete.
Click Here to upgrade to Unlimited Pages and Expanded Features

**ملخص حول الرسالة:**

تضمنت هذه الرسالة قضية من أعقد القضايا القديمة والحديثة، فهي تتناول جانب الغيب والمستقبل في القرآن الكريم، وكان منطلق بحثي هذا من محاولة الإجابة عن مجموعة من التساؤلات من أبرزها ما ذكرته في مقدمة البحث، وهي كالتالي: ما هي علاقة الغيب بالعقائد في القرآن الكريم؟ وما هي علاقة الغيب بالإيمان؟ وعلاقته بالعقل؟ وعلاقة الغيب بالجانب الإنساني؟ . ولصعوبة هذا الموضوع فقد توخيت في دراسته أسلوب المقاربة التأويلية التحليلية، حيث اعتمدت على المنهج الوصفي الذي يصف الظاهرة ويتتبع تطورها ويفسرها، فالمنهج التحليلي منهج عقلي يعتمد على البرهان والاستقراء وتحليل الظاهرة، وأما النصوص التي كانت تحمل معاني الغيب وقد وردت في النص القرآني فقد عجز العقل عن تصور معناها وهي المتشابه، وقد أخضعتها لآلية التأويل والسياق، وما عداها من النصوص الواضحة الدلالة والبينة المعنى والتي عرفت بالآيات المحكمات فقد أخضعتها لآلية التفسير ودلالة الألفاظ، وقد كان منهجي وسطا بين ما وضعه النص القرآني كله موضع تأويل، و اعتبار كل آية لها ظاهر وباطن رغم اختلاف مستويات الخطاب القرآني، و هو منهج الباطنية، وفي مقابلهم نجد السلف والظاهرية الذين أولوا النص القرآني مستخدمين مبدأي الأخذ بظاهر اللفظ والتفويض، مع احترامنا لمبدأ التأويل والخضوع للضوابط التي وضعها أهل التأويل والمتمثلة أساسا في عدم تجاوز المنقول والمعقول أو أصل من الأصول.

**الكلمات المفتاحية**

الغيب – المستقبل – الدلالة – الإيمان – الإعتقاد – التوحيد – النعيم – الشقاء – الوحي – القرآن – الحديث – الخير – الشر – الكلام – المعتزلة – الأشاعرة – السحر – الشعوذة – الكهانة – الإعجاز .